أحمد توفيق المدني

محمد عثمان باشا

داي الجزائر 1766 - 1791

سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده



المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر



5

أحمد توفيق المدني

محمد عثمان باشا

داي الجزائر 1766-1791

سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

رقم النشر : 84/1689

الجزائر — 1986

الاهـداء

الى الرجل الذي أيقظ امة ، وأنشأ جيلا ، وربط بين ماضي الوطن وحاضره وهيأ له مستقبله في ميدان العلم والشرف ، فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة ، والجزائر الحاضرة المجاهدة ، والجزائر المقبلة الخالدة .

الى العالم العامل «عبد الحميد بن باديس» رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الثابت اصلها ، والمتسامي لآفاق العلياء فرعها ـ أتشرف بتقديم هذا الكتاب ، شاهد ولاء واكبار واعجاب ، وتقديراً لأعماله وتضحيته النادرة المثال في سبيل الله ، وفي سبيل العلم والعربية ، وفي سبيل الوطن المفدى .

الجزائر المحرم الحرام 1356هـ

أحمد توفيق المدني

تمهيـد

لدراسة تاريخ العصر التركي بالجزائر

لا أعرف أن عصرا من عصور التاريخ في بقعة من بقاع الارض ناله من الحيف والجور. ومن تلطيخ السمعة وامتهان الكرامة مانال من ذلك عصر حكم الاتراك العثمانيين بارض الجزائر.

انك لتقرأ ما يكتبه عن تلك الحقبة من تاريخ هذا الوطن كتاب الافرنج ومن نحا نحوهم من كتاب التاريخ، فيخيل اليك ان القطر الجزائري باسره ما كان خلال تلك الايام الطويلة الا مغارة من مغاور السفاكين، وملجأ يركن اليه السفاحون من لصوص البر والبحر. ويخيل اليك مع ذلك ان هذا القطر كان موطن المحن والبلايا، ومرتع المظالم وانتهاك الحرمات، بينما كان غيره من بقاع العالم يرتع في بحبوحة الامن، ويسبح في بحار من الحرية والعدل والمساواة.

ثم انك لاتجد اوقلما تجد كتبا نزيهة لمؤلفين صادقين لايكتبون في التاريخ الاخدمة للتاريخ ولا يقولون الا الحق ارضاء للحق فينصفون العصور وينصفون الناس بذكر مالهم وما عليهم دون تدليس اوتلبيس.

فاما المصادر الاروبية من هذا النوع فهي قليلة نادرة. ثم انها على قلتها وندرتها لم تخل من التأثر بالدعايات الدينية والسياسية الواسعة النطاق التي انتشرت في اروبا ضد الاسلام عامة وضد هذه الاقطار بصفة أخص لفائدة الكنيسة أولفائدة الدول الطامعة في امتلاك البلاد.

واما المصادر العربية التي بقيت الى اليوم والتى درست هذا العصر التركي من تاريخ القطر الجزائري فهي اقل من ذلك واندر. ومما لاريب فيه ان المؤرخين المسلمين الجزائريين

قد صانوا في بطون الاسفار حوادث هذا العهد واحاديثه مدونة بقلم نزيه . الا ان الحروب والاهوال التى توالت بعد ذلك على هذا القطر قد عملت عملها المدمر ، وما ابقت عليه يد الحرب ، نالته يد الاختلاس . فافلست المكتبة العربية من هذه الناحية افلاساً يكاد يكون تاماً . وما عثرت بعد طول البحث والتنقيب مدى عشرة اعوام ، الا على بعض رسائل مقتضبة . وعلى قسم من مذكرات نقيب اشراف الجزائر ، وهو الذي سأنقل لك عنه ما يتعلق بعصر «محمد عثمان باشا» وعلى كتاب : «التحفة المرضية في الدولة البكداشية» مؤلف بديع في صورة المقامات ، في سيرة الباشا «محمد بكداش» وما قيل فيه من مدائح الشعراء . ومن هذه الرسائل القليلة ، ومما سأنقله لك عن مذكرات نقيب الاشراف تدرك كيف كان المؤرخون الجزائريون يكتبون بنزاهة ، وبطريقة تحليلية بديعة .

° ° ° °

على انا حين نقول ان عصر الحكم العثماني بهذه البلاد قد ظلم وامتهن ، لانريد بذلك انقول انه كان خير حكم بها ، ولا نريد أن نقول انه كان عصر مدنية ورفاهية وعدل يفوق في ذلك او يضاهي عصورا أخرى . كلا ! فهيهات لعصر الحكم التركي ان يقارب من حيث ازدهار المدنية وإنباع اسواق العلم والادب شأو العصر الرستمي او العصر الحمادي او العصر الزياني مثلا .

انما عصر الحكم التركي يمتاز في هذه الديار عن العصور التى سبقته بامور اربعة :

اولها ـ ان البلاد الجزائرية من الحدود التونسية الى التخوم المراكشية ومن ساحل بحر الروم الى ماوراء الزيبان قد توحدت ادارتها وخضعت لسلطة مركزية واحدة ، فتكونت بذلك هذه الوحدة الجزائرية .

ثانيها ـ ان الحكم التركي قد صان الارض الجزائرية عندما اشتدت رغبة المسيحية في اكتساحها على ايدي المحاربين الاسبان ، بعدما اخمدت نور الاسلام ببلاد الاندلس . ومنذ عهد (شرلكان) الى غزوة (اوريلى) فلولا وقوف الاتراك على راس البلاد الجزائرية في وجه غزاة الاسبان ، لذاقت هذه البلاد من صنوف العذاب الاسباني الوانا لاقبل لها بها ولكان كرب المسلمين بها يشابه كرب مسلمي الاندلس . ولأصبحت المدن الساحلية كلها مدنا اسبانية بحتة . كمليلة وسبتة بالمغرب الاقصى .

ثالثها ـ ان القطر الجزائرى بعدما توحدت ادارته وظهرت قوته العسكرية في البر والبحر قد أصبح رغم علاقته الاسمية بالباب العالي دولة واسعة الاستقلال تقبل الممثلين السياسيين وتمضي المعاهدات وتعلن الحروب وتعقد الصلح وتتفاوض بصفة رسمية مع كل الدول

فالاستقلال الجزائرى ايام الحكم التركي كان اوسع كثيرا من استقلال بلاد «الدومنيون» الانكليزي الحالية امثال كندا واستراليا واتحاد جنوب افريقيا وهي لاترتبط مع لندرا الابرباط التاج والمصالح المشتركة .

رابعها ـ ان القطر الجزائرى الذى توحد وانتظم بهذه الصفة قد ذاع صيته واصبحت شهرته عالمية وشارك في عدة محاربات خارجية واشتبك في القتال مع أعظم الدول شأنا في تلك العصور وخرج من تلك المعامع ظافراً منصوراً .

° ° ° °

يقولون في كتب التاريخ ان عصر الحكم العثماني كان عصر ظلم وارهاق . وعهد قرصنة في البحار فظيعة ، ولم تكن البلاد آخذة فيه باسباب التقدم والعمران وكانت الانفس تزهق خلاله لمجرد الشبهات او الظنون ، وان مدن الساحل الجزائري كانت تعج بالاسارى المسيحيين من سائر الاقطار . وان حركة العلم والأدب قد خبت نارها خلال ذلك العصر . وان الحكومة كانت مستبدة يرضخ الشعب لأحكامها وليس له قول ولارأي . وان الثورات كانت تقع في مختلف الجهات بالبلاد وكانت تخمد بشراسة وقساوة .

هذه التهم ان محصناها تمحيصاً تاريخيا علمياً وجدناها كلها جائرة وان كانت أصولها كلها صحيحة . واليك البيان :

ان هؤلاء المؤرخين لايكتبون تاريخ هذا العصر من حياة الجزائر الا بصفة محلية موضعية ضاربين صفحاً عن بقية انحاء العالم وما كان يجري فيها اثناء وقوع الحوادث الجزائرية .

فاذاهم صوروا لك ظلم ولاة اودايات الاتراك بالجزائر لم يصوروا لك الى جانب ذلك مظالم الملوك والأمراء والنبلاء في اروبا عامة . شرقها وغربها ووسطها وشمالها وجنوبها . ولو أنهم صوروا لك ذلك وصوروا حياة الذل والمسكنة والفاقة التي كانت عليها الشعوب الاروبية قبل الثورة الفرنسية الكبرى ، ولو أنهم صوروا ما وقع خلال تلك الثورة وبعدها من حكم إرهابي فظيع ترتعد له الفرائص . أولوأنهم صوروا لك مثلا اعمال الاسبان الشنيعة مع اليهود والعرب اذاً لرأيت الحكم التركي بهذه البلاد خلال تلك القرون الثلاثة جنة وارفة الظلال ولرأيت أن ارض الجزائر كانت تعتبر تجاه تلك المظالم والآثام ـ ملجأ الحرية وموطن العدل والانسانية .

ثم أنهم بعد ذلك يريدون أن يناظروا بين حالة الجزائر بالامس ، وحالة اروبا اليوم ، أوبين حالة الجزائر في أمسها الغابر ، وبين حالتها في يومها الحاضر ، وان هذه المقارنة لمغالطة

شنيعة يفترونها عن علم . فهم يريدون أن يتناسوا بانه بين ذلك الامس وبين هذا اليوم ــ قد مر قرن وبعض قرن من التاريخ . وان الدنيا كلها قد تطورت وتغيرت ، وأن الارض قد بدلت خلال هذا الزمان غير الارض . فكيف تصح اذا هذه المقارنة التى يتشدقون بها في كل مناسبة ، وحتى بغير مناسبة ؟

. . . .

وأغرب من ذلك أنهم يرتكبون غلواً فاحشاً في وصف القرصنة الجزائرية . ضاربين صفحا عن قرصنة اروبا في ذلك العصر نفسه . فكانوا في الغالب يطلقون لفظ لصوصية البحر (PIRATERIE) على قرصنة الجزائر . والحال أنها كانت خاضعة لنظام القرصنة المشهور في أروبا وفي أميركا . فمراكب قرصان الجزائر كانت لا تهاجم ولا تصادر الامراكب الدول المحاربة فحسب والتى لاتربطها بدولة الجزائر معاهدة . أما الدول التى لم تكن في حالة حرب مع الجزائر فالقرصان لا يتعرضون لها بسوء الا نادراً وعن غلط .

ثم أن القرصنة الجزائرية ما نشأت في عهد الاتراك إلا دفاعا ضد القرصنة الاسبانية البرتغالية التى كانت في الحقيقة لصوصية بحر لامبرر لها .

على أن قرصان الاتراك والجزائريين لم يكونوا وحدهم يعملون على سطح البحر بل أن تاريخ القرصنة حافل باسماء رجال من مختلف البلاد والشعوب . وفيهم من تمجدهم امهم اليوم تمجيداً وطنياً وتطلق اسماءهم على دوارعها ومدمراتها الكبرى . امثال سركوف وجون بار الفرنسيين . وامثال قرصان الانكليز الذين وصلوا بلاد الكاب بالجنوب الافريقى ، وكانوا مؤسسى تلك المملكة الكبرى التى اصبحت اليوم تدعى اتحاد الجنوب الافريقى . وهي من ازهر بلاد الدومينيون التابعة اسماللتاج الابريطاني .

ولأنقل اليك هنا فصلا عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى . (ج 13 ــ ص 178 ــ مادة (CORSAIRE) ففيه من المعلومات عن قضية القرصنة الاروبية ما يشفي الغليل :

«كانت الحكومات فيما سلف تسلم اوراقا رسمية للقرصان فتكسبهم بذلك صبغة ماذونة وتميزهم عن لصوص البحر وتجعلهم شبه الجنود المتطوعين الاحرار بالبحر .

«ومن الملاحظ أن لصوص البحر يباشرون مهنتهم باستمرار ، بينما القرصان لا يعملون الا مدة الحروب فقط .

«ولقد انتشرت القرصنة انتشاراً هائلا أثر اكتشاف الدنيا الجديدة . فقد كانت السفن الاسبانية التى تحمل الذهب ــ فريسة طيبة تستثير الطمع في النفوس فارتمى عليها القرصان

المغامرون من الانكليز والهولانديين . وكان نجاحهم منشطا لغيرهم على الاقتداء بهم . (1)

«ولقد سلحت فرنسا نفسها عدداً جسيما من سفن القرصان لان حب المغامرة الذي هو من طباعنا يتفق تمام الاتفاق مع هذه الغزوات الخطرة . وفي هذه المدرسة الصلبة العنيفة نشأ امثال جون بار وسيركوف ودوكى تروان . ولقد اشتهرت اعمال سيركوف بصفة أخص في خليج البونقال (ناحية الهند) وفي مدخل مضيق السند وذاع صيتها . ولأجل القيام بهذه الاعمال يجب تكوين رجال من اصحاب العزيمة والشدة . ولم نفقد أبداً امثال هؤلاء الرجال .

«فمن سنة 1793 الى سنة 1815 (اي 15 عاما فقط قبل احتلال فرنسا للجزائر) ضبط القرصان الفرنسيون 10871 سفينة تجارية انكليزية منها 949 سفينة في سنة 1797 وحدها .» انتهى .

واستمرت القرصنة العالمية موجودة بعد استيلاء فرنسا على القطر الجزائري . ففي سنة 1856 (2) عقدت الدول مؤتمراً في باريس قررت فيه الغاء القرصنة واعتبارها خارجة عن القانون . لكن دول اميركا واسبانيا والبرتغال والمكسيك قد امتنعت من امضاء تلك المعاهدة . واستمرت اعمال القرصنة بين رجال البحر منها الى ان انتهت الحرب الاسبانية الاميركية في اواخر القرن التاسع عشر .

. . . .

نعم إن الجزائر لم تكن ايام العهد العثماني آخذة باسباب التقدم العلمي . ولم تكن سائرة بخطى حثيثة في مضمار العمران . انما كان شانها في ذلك شان بقية بلاد العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها . وما ذلك الا لأن المسلمين قد اصبح كل همهم النضال ضد اروبا المسيحية منذ الحملات الصليبية الوحشية الفتاكة ومنذ اصبحت اروبا تنظر الى بلاد الاسلام نظرتها الجشعة الطامعة فقلما وجدنا قطراً اسلاميا من قلب آسيا الى ساحل المحيط لم يواصل الاشتباك في معارك قتالة فتاكة مع طلائع المسيحية الاروبية والاستعمار الاروبي . ومن اجل ذلك كانت أغلب جهود كل أمة وكل دولة من أمم ودول الاسلام موجهة للحرب والدفاع ، أو الهجوم على العدو قبل اندفاعه كما كان يفعل سلاطين الاتراك العثمانيين (قدس الله ارواحهم) عند نشوء دولتهم .

---

(1) لاحظوا أن هذه الاعمال انما هي لصوصية لا قرصنة . وانها كانت تقع قبيل نشوء القرصنة التركية الجزائرية .

(2) اي 26 عاما بعد احتلال الجزائر .

على انا ان قسنا حالة مسلمي القطر الجزائري في العهد التركي بحالة اهل اروبا الشرقية والجنوبية ، والكثير من جهاتها الشمالية والغربية في ذلك العهد وجدنا البون شاسعا والفرق واضحا جليا . فشتان بين حالة المسلم في الجزائر يومئذ ، وبين حالة المسيحي الخاضع لروسيا والساكن ببلاد ايطاليا وجزرها وبلاد اسبانيا وغير ذلك من البقاع . فالمسلم الجزائري كان يعتبر بحق حراً سعيداً وعالما اذا قيس بهاتيك الاقوام .

وهنالك حقيقة يجب الاصداع بها ألا وهي : ان الامية كانت في القطر الجزائري اثناء تلك الفترة اقل مما هي الآن . فهم يقولون ان الامة الجزائرية لم يكن عددها يومئذ إلا نحو ثلاثة ملايين من الانفس (1) ويقولون ان القطر الجزائري كان يشمل نحواً من ثلاثة آلاف كتاب ومسجد وزاوية لتعليم القرآن والقراءة والكتابة فلو فرضنا أن كل كتاب ومدرسة وزاوية لم يكن يشمل الا عشرين فقط من الطلاب ـ وجدنا عدد الطلبة يومئذ ستين الفا . واليوم وقد اصبحت الامة الجزائرية تشمل 6 ملايين من الانفس ، يقول لنا الاحصاء : إن عدد التلامذة الذين يؤمون المدارس منها هو 60 الفا فتأمل ! على ان الاحصاء الرسمي الفرنسي يثبت ان الامية كانت موجودة في فرنسا سنة 1833 على نسبة 53 في المائة من مجموع الامة .

....

وان قالوا : ان الانفس البشرية كانت تزهق في الجزائر احيانا لمجرد الشبهات أو لمجرد الظنون . فهل كانت للانفس البشرية طيلة تلك العصور حرمة في كامل البلاد الاروبية ؟ فان قارنا بين عدد الانفس البريئة التي ازهقها ولاة الاتراك بهذه البلاد طيلة ثلاثة قرون ، وبين عدد الانفس البريئة التي ازهقت في أي بلد من بلاد اروبا وفي قرن واحد لا في ثلاثة قرون ! ـ وجدنا ان ضحايا أي دولة اروبية خلال ذلك القرن تفوق ضحايا الاتراك في الجزائر خلال الثلاثة قرون .

اما القتل السياسي ، فان ثبت انه كان يقع في القطر الجزائري ايام الحكم التركي ، وفي القرن الثامن عشر فما فوق ، فانه ما كان يقع الا على الافراد لا على الجماعات . وذلك بخلاف القتل السياسي والديني الذي كان يقع في اروبا سواء أكان قبل الثورة الفرنسية الكبرى او اثناءها ، حيث كانت مقصلة الاعدام تشتغل أشهرا على التوالي ، وتكاد تواصل الليل بالنهار في قطع رؤوس ضحايا الثورة الابرياء ، وخاصة رؤوس الذين كونوا نفس تلك الثورة من رجال الجيروندان الاحرار .

---

(1) كذلك كان عدد فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا في ذلك العهد ـ نصف عددها اليوم .

وما لنا ولاختراق غياهب التاريخ القديم ، وبين ايدينا في نفس هذا اليوم من حوادث هذا العصر ما يعتبر بالنسبة للزمان والمكان افظع الف مرة من جميع ما اقترف من آثام طيلة عصر الحكم التركي بالجزائر ! ويكفينا ان نضرب مثلا على ذلك حوادث شهر اجوان 1934 بالمانيا ، حيث عمد الزعيم هتلر ورجال حزبه النازي وهم رجال الدولة والحكومة الى اغتيال سائر خصومهم الذين لا يفكرون ضمن الحزب ، تفكيرهم من القبطان ريم ، الى الجنرال فون شلايشر ، ومن والاهما من رجال المانيا . فاولئك قوم قتلوا ومثل بهم دون ان يعلم الناس الى يومنا هذا شيئا مما نسب اليهم من التهم !

هذا إذا مررنا مرور الكرام على مذابح التروتسكيين رجال الشيوعية الحقة في روسيا . حينما آل امر البلاد الى الطاغية ستالين ، فتخلص من سائر خصومه في المبدإ بارسال الفوج منهم اثر الفوج الى ساحة الاعدام بعد محاكمة بسيطة تشبه في كثير من وجوهها محاكمات الثورة الفرنسية الكبرى .

....

ثم أن من المؤرخين من يحاول ان يصور حالة الاسارى المسيحيين بالجزائر صورة شنيعة بائسة تدعو الى الاشفاق والرحمة والرثاء .

فهل تعالوا وانشروا الصحف التى كتبها اسرى المسيحيين بالجزائر والتي كتبها اسرى المسلمين ببلاد المسيحية ، وخاصة باسبانيا ومالطة والبرتغال ، ثم قارنوا بين ما كان يتمتع به الاسارى المسيحيين بهذه الارض من حرية في الدين وتسامح في المعاملة ، وحرية تجارية ، ومساواة تامة في الحقوق لمن اعتنق منهم الاسلام حتى تولى منهم امر الدولة امثال قورصو ، وبيزوموزتو ، وبتشني ، وبين ما كان يعانيه اسرى المسلمين في تلك البلاد من عنت وارهاق ، وظلم مبين ، وفتنة في الدين . فاذا نحن استثنينا بعض الحوادث الفردية الخاصة في الجانبين ، رأينا ان اسرى المسيحيين بالجزائر كانوا ـ حسبما اعترفوا به في رسائلهم ، وحسبما أقر به المستشرق الكبير دى بارادى مما سأنقله لك في هذا الكتاب ـ يعتبرون احراراً سعداء بالنسبة للمسلمين الذين اوقعهم سوء حظهم في الاسر .

....

واغرب من كل ماسبق ان بعض المؤرخين يذكرون حرية الشعوب عند ذكرهم تاريخ الجزائر التركية ، ويقولون : ان هذا الحكم كان في حكم جوروارهاق وان الشعب في هذا القطر كان يئن من وطأة الحيف والظلم ! ولا يستطيع ان يقول كلمة ! فمن تجرأ على الكلام جوزي بقطع العنق !

لتسلم ـ جدلا فقط ـ ان حكم الاتراك كان كذلك بالقطر الجزائري ، وما كان في الاغلب إلاحكم قوم يؤمنون بقول الله عز وجل : «ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» فمارايهم لو اجرينا مقارنة بين افظع عصر من عصور باشوات الاتراك بالجزائر ، وبين ازهر عصر من عصور اي مملكة من ممالك اروبا في ذلك التاريخ نفسه ، ايام كان الامراء الاقطاعيون في اروبا يملكون الارض ومن عليها ، ويتصرفون في القوم وفي النساء والاطفال تصرفهم في املاكهم الخاصة . ايام كانت طبقة الفلاحين والعمال تباع مع الماشية والكراع اذا استبدلت الارض سيداً بسيد ؟

يجب الا ننسى ان اول حركة شعبية جدية قامت في وجه الطغيان الحكومي الوحشي ، والنظم القاسية التى تشوه وجه الانسانية ، والتى قاومها الاسلام وتخلصت منها الامم الاسلامية ، انما كانت حركة الثورة الفرنسية الكبرى ! وان هذه الثورة لم تقع الا منذ اربعين سنة قبل احتلال فرنسا لأرض الجزائر .

فاذا فرضنا ان الثورة الكبرى رغما عما وقع فيها من تخريب وتدمير وسفك دماء عشرات الآلاف وانتهاك كل الحرمات . اذا فرضنا ان تلك الثورة كانت فاتحة عهد الحكم الشعبى والحرية والمساواة . فمن المسلم ان سائر الشعب الفرنسي بقطع النظر عن شعوب اروبا الشرقية والجنوبية التى كانت دونه علما ومدنية ، كان يعاني من الجور والبلاء ، والحيف والارهاق ، سواء من الحكومة او النبلاء والاشراف ، اومن رجال الدين اضعافا مضاعفة مما كان يقاسيه الشعب الجزائرى في ذلك العصر .

وقد كان الشعب الجزائري سيد ارضه (1) وسيد نفسه وسيد محصوله ، ولم تكن له علاقة بالحكومة الا عند دفع ضريبته المقررة المشروعة ، والتى كانت خفيفة جداً بالنسبة لضرائب الفلاحين في اروبا بتلك العصور(2)

---

(1) جاء في كتاب كلامارجران Clamargeran صفحة 266 ـ 267 ان الارض الفلاحية الجزائرية كانت موزعة اثناء العصر التركي على النمط الآتي :

5 ملايين هكتار تملكها العروش على الشياع
3 « « ملك خاص للقبائل
1.5 « « « « « تحصل عليه العرب اثناء العهد التركي
2 « « ملك اوقاف المسلمين
1.50 « « املاك الدولة
23 « « صحراء وارض بور

(2) قال بيكي في كتابه (مدنيات شمال افريقيا) ص 214 : «كانت الضرائب التى تتقاضاها الدولة=

فعندما كانت الجزائر خاضعة لحكام الاطلاق من الترك ـ كانت الدنيا باسرها ومن دون استثناء خاضعة لملوك الاطلاق الظالمين المستبدين . وكان الفرد يتمتع عندئذ وهو في كنف دول الاسلام الخاضعة ـ ولو اسما ـ لأحكام القرآن ومنها بلاد الجزائر ، بحرية أوسع ، وعدل اوفر ، ونعمة اسبغ مما كان يتمتع به اي فرد آخر في بلاد أخرى . وكتب التاريخ بين مطولة ومختصرة حافلة بالشواهد التى تؤيد ما نقول .

° ° ° °

يقولون أن البلاد الجزائرية لم تكن طيلة ذلك العهد هادئة مسالمة . وان لهيب الثورات كان يندلع احيانا في مختلف الجهات ، وان اعمال القمع كانت تقع قاسية صارمة !

=التركية تنحصر في :

1 ـ العشـر ـ اي الجزء العاشر من محصول الفلاحة
2 ـ اللزمـة ـ وهي ضريبة البدوسكان الواحات . ولها عدد معين على كل نخلة
3 ـ الزكاة ـ وهي الضريبة الدينية على الماشية
4 ـ الحكر ـ وهي ما تتقاضاه الادارة عن إجارة ارضها للفلاحين

وقال في صفحة 215 : ان الاتراك قد احتلوا البلاد بواسطة عدد ضئيل جداً من الجند لا يستطيع العقل تصديقه . فلم يكن عند باي تونس الا 40 فرقة في كل منها 100 جندي . ولم يكن عند داي الجزائر أكثر من ذلك . فسلطة الاتراك لم تكن لذلك ثقيلة على سكان البلاد .

ومن هذا نفهم كيف ان القبائل العربية تحملت بسهولة سلطة الفاتحين الجدد الذين تركوا أهل البلاد يعيشون حسب ارادتهم ، ولم يكونوا يتقاضون منهم الضرائب الا بصفة غير مستمرة .

وقال في صفحة 251 : «كان عدد الاتراك ضئيلا جداً . انما كان لهم نظام محكم متين . فكانوا لايحتلون الا عدة نقط ، وكانوا يجتهدون في استخلاص الضرائب من السكان الذين كانوا يحكمونهم بصفة أسمية أكثر مما هي فعلية .

وفي صفحة 252 : «لم يكن البايات يبسطون سلطانهم على البلاد الا بواسطة القبائل الممتازة التى يطلق عليها لقب «المخازنية» . وبعض الجهات كانت تناط بعهدة القياد والاغوات . وعلى هذه الصفة تشكلت عدة هيئات عائلية اقطاعية ، على مثل قبيلة (اولاد سيدي الشيخ) بالجنوب الوهراني .

«وكان بايات قسنطينة على الاخص يعتمدون على الرؤساء الاهالي ، وكان أهمهم : شيخ بنى عباس الممتد نفوذه من مجانة الى بنى عباس ، وشيخ العرب الذي يحكم القبائل العربية من الزاب الى الحضنة وشيوخ الحنانشة الخ .

أي نعم . ان ذلك كان يقع حقا ، انما هل كانت حالة الشعوب الاروبية طيلة ذلك العهد أكثر هدوءاً واستقراراً ؟ وهل لم تكن الثورات والقلاقل والفتن التي وقعت في تلك القرون ببلاد فرنسا وانكلترا واسبانيا وايطاليا وروسيا وبولونيا وغيرها من بلاد العالم - تفوق في هولها وفظاعتها وفي شراسة اخمادها ماوقع في القطر الجزائري ؟

إن من قرأ تاريخ الشعوب الاروبية خلال القرون الخامس والسادس والسابع والثامن عشر ، ونظر ما قاسته تلك الشعوب البائسة المسكينة من مصائب وبلاء وما قامت به من فتن وثورات ، وما قدمته من ضحايا عديدة فوق اعواد المشانق وفوق المحارق وتحت ضربات السيوف والفؤوس ! ثم قرأ تاريخ الشعب الجزائري خلال تلك العصور - رأى ان كفة الخير راجحة من جهته وان الفرق بينه وبين بقية الشعوب كان جليا كوضح النهار.

....

على ان قمع الثورات لم يكن في وقت من الاوقات ، ولا في عصر من العصور عملية رحمة ورفق وحنان ، بل كانت ولم تزل عملية زجر وشراسة وبطش شديد !

وان اعمال القمع التركية لا تعد شيئاً مذكوراً اذا قسناها باعمال الزجر والقسوة التي ارتكبها الفرنسيون انفسهم عندما دخلوا ارض الجزائر وحطموا المقاومة الشعبية بها . ونحن نسوق اليك بعض امثلة رسمية من ذلك ، ولا غاية لنا من هذا الا الاستدلال على ان اخلاق الامم في ذلك العصر كانت متساوية في ميدان الحرب وقمع العصيان ، ولربما كان الشرقي المسلم افضل في هذا الميدان وارحم من غيره :

ارسل ملك فرنسا يوم 7 جويلية 1833 لجنة بحث للاطلاع على حالة الجزائر المحتلة حديثا ، ولمعرفة الحقيقة عن التهم التي اخذت المعارضة توجهها الى الحكومة السالفة . فجاءت اللجنة وبحثت واستطلعت ، ثم رفعت الى الملك تقريرها . ومما جاء فيه قولها :

«اذا فحصنا الاعمال التي قمنا بها نحو الاهالي وجدنا انها لم تكن غير منطبقة على اسس العدل فحسب ، بل انها كانت غير منطبقة على اصول العقل والمنطق أيضا . فنحن رغما عن وجود معاهدة تسليم علنية ، وانتهاكا لكل الحقوق المدنية البسيطة التي لكل شعب - قد تجاهلنا كل حقوقهم ، وامتهنا عوائدهم وكيانهم .

«...ضممنا الى املاك الدولة سائر العقارات التي كانت من املاك الاوقاف ، واستولينا على املاك طبقة من السكان كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها .

«...بلغ بنا الامر الى درجة اننا كنا نغتصب الاملاك ثم نجبر مالكيها على دفع المصاريف اللازمة لهدمها . اوكنا نجبر الناس على دفع مصاريف هدم المساجد !

«لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية . ونبشنا القبور . واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين..

«... ثم ارسلنا الى التعذيب والقتل بدون محاكمة ولمجرد الظنون - جماعة من الذين لم تثبت ادانتهم الى الآن ، وحجزنا املاكهم ، ومنعناها من ورثتهم فان كانت حكومتنا قد ارجعت من بعد الاملاك لمستحقيها - فانها لا تستطيع ارجاع الحياة الى الانفس التي ازهقت بدون حق !.

«...لقد ذبحنا جماعة من الناس كانت تحمل جواز المرورمنا ، ولمجرد ظنون قمنا باعدام سكان جهات واسعة ثم ثبتت براءتهم فيما بعد . واوقفنا امام المحاكم رجالا من ذوي النفوذ الديني ، ماكان ذنبهم الا انهم تجرأوا على الوقوف امامنا باخلاص يسألوننا الشفقة على أبناء ملتهم ، فوجدنا حكاما يستطيعون ان يصدروا على هؤلاء الرجال حكم الموت . ووجدنا رجالا متمدنين يستطيعون تنفيذ هذا الحكم والخلاصة ان وحشيتنا كانت تفوق كثيراً وحشية الذين ذهبنا نحمل اليهم المدنية !

وخطب النائب دوساد بمجلس الامة (28 افريل 1834) فقال : «في مدينة الجزائر حطمنا 900 منزل (1) بدون سابق انذار ، واستولينا على 60 مسجداً فاستعملناها للمصالح العسكرية ، وهدمنا عشرة منها ، وكنا حيثما قمنا باعمال البناء ننبش القبور ونبعثر العظام ، دون ادنى احترام . ولقد كانت الجزائر محاطة بالحدائق الغناء التي بها المقاصف الجميلة ، وهذه الحدائق المتتابعة كانت تشبه ضواحي مرسيليا ، فجميع هذا قد اتلفناه ، واتلفنا كذلك قنوات الري التي كانت تاتي بالماء لسقي الحدائق تحت الشمس المحرقة ، فهدمت المنازل لاستعمال سقوفها حطبا للتدفئة ، وعندما انتهى ذلك قطعنا الاشجار المثمرة لنفس ذلك الاستعمال !».

وخطب النائب (دولاروشفوكولد) في نفس ذلك اليوم يصف تدمير وهران فقال :

«كانت هذه المدينة زاهية بديعة البناء ، وكانت بها المنازل الغنية ، والقصور البهية ، فكل هذا تهدم تحت ضربات علم الانقياد ، واقتلع الرخام وكسر الفرش ، فلم تبق هنالك

(1) كانت هذه المنازل كلها واقعة بالناحية البحرية المنخفضة حيث تقع المدينة الاروبية اليوم . وكانت اغنى واجمل وأكبر ديار المدينة الاسلامية ، يدل على ذلك مابقي منها موجوداً اليوم وهو من املاك الامة.

إلا الاطلال الخربة ، فالفرنسيون قاموا هنالك باعمال تحطيم تفوق ما عمله الزلزال الذى خرج على أثره الاسبانيون من وهران !».

هذا شيء من اعمال التخريب التى وقعت أثر العصر التركي ، والتى لم يقع خلال ذلك العصر شيء مثلها ، أومما يشابهها ! أما عن سيرة الحرب فاليك بعض نتف نستقيها عن مصادر رسمية نزيهة :

جاء في كتاب كريستيان (ص 143) مانصه في وصف مذبحة قبيلة الحليفية التى قام بها الجنرال (دوروفيقو) : «غادرت فرقة الجند مدينة الجزائر حسب التعليمات ليلة 6 ابريل 1832 ففاجأت عند مطلع الفجر تلك القبيلة مستسلمة للنوم تحت خيامها ، وعندئذوقع ذبح سائر أولئك المساكين دون أن يحاول أحد منهم الدفاع عن نفسه ، ولقد وقع ذبح كل حي بتلك القبيلة دون ميز بين شيخ وصبي ، أورجل وامرأة ، وعندما رجع رجالنا من هذه الغزوة المخجلة كانوا يحملون فوق رماحهم رؤوس القتلى ! أما الماشية التى اغتنمت في ساحة الموت فقد بيعت الى قنصل الدانمارك . وأما بقية الاسلاب الواردة من هذه المذبحة الفظيعة فقد عرضت للبيع في سوق باب عزون . وكان الناس يرون بغاية الهلع اساور النسوة وهي لاتزال معلقة بالايدى المقطوعة ! واقراط الآذان ولا تزال بقايا اللحم عالقة بها ! اما ثمن هذه الاسلاب فقد اقتسمه الذابحون فيما بينهم ! و في عشية ذلك اليوم اصدرت ادارة الضبط امرها للمسلمين بانارة دكاكينهم احتفالا !».

ولو نحن اردنا ان نقدم لك مئات الامثلة عن هذه الحوادث لقدمناها لك منتخبة من رسائل الجنرال سانت ارنو نفسه ، وهو أحد الفاتحين ، وقد طبعت رسائله هذه في كتاب بباريس من مثل هذه القطعة :

«نحن الآن في الجبال التي بين شرشال ومليانة ، ونحن لا نرمي رصاص البنادق إلا نادرا ، إنما نحن نحرق سائر الدواوير (جمع دوار) وكل القرى والمساكن (رسالة 5 أفريل 1842).

أوهذه الرسالة (5 ماي 1842) :

«ان بلاد بني مناصر بديعة حقا ، وهي من اغنى الجهات التى رأيتها في افريقيا فاحرقنا فيها كل شيء واتلفنا كل شيء !».

أوهذه : (رسالة 2 نوفمبر 1843) :

«من الغد نزلت الى حيماوة ، فاحرقت في طريقي كل شيء ، واتلفت هذه القرية

الجميلة ، وفي الساعة الثانية سار الوالي (الماريشال بيجو) فكانت النار التى لاتزال تلتهب في الجبال تدلني على الطريق الذى سلكه . وكنا نجد اكداسا من الجثث يلتصق بعضها ببعض لأن أهلها ماتوا متجمدين من البرد في الليل ! وأولئك هم بنوا مناصر الذين احرقت قراهم ومساكنهم واطردتهم امامي .»

أو لنقلنا لك رسائل الجنود التى تتعلق بتلك الحوادث وهي جمة غفيرة امثال هذه الرسالة التى يصف فيها كاتبها اعدام قبيلة (اولاد ضيا) التى التجأت بماشيتها الى كهوف عظيمة لتنجو من الشر فسد الجند عليها ابواب الكهوف واشعلوا النار عندها فمات سائر من بها مختنقاً . وقد نشر هذه الرسالة كريستيان في كتابه (ص 442) بتاريخ 19 جوان 1845 :

«أي قلم يستطيع وصف هذا المنظر ، في الليل كنا نرى على ضوء القمر فرقة من الجند الفرنسي تعمل على اذكاء لهيب هائل ، وكنا نسمع حينئذ انين وتوجع الرجال والنساء والماشية ، ونسمع اصوات الحجارة التى كانت تتكلس فتتساقط .

«وفي الصباح عندما اخذنا نفتح ابواب الكهوف رأينا منظراً من ابشع مايراه الانسان ، وقد زرت الكهوف الثلاثة وهذا ما رأيت عند مدخل الكهوف وجدنا جثث البقروالغنم والحمير فقد دفعتها غريزتها الى هنالك علها تجد الهواء الذى فقدته في الداخل ، وبين جثث هذه الحيوانات كنا نجد جثث النساء والاطفال . ولقد شاهدت جثة رجل قد وضع ركبته الى الارض وجمدت يده ممسكة بقرن ثور ، وامامه جثة امرأة تحمل صبياً على ذراعها . ومن الميسورفهم هذا الوضع : فالرجل كان يحاول أن يحمي امرأته وولده من ذلك الثورالمتهيج الى ان اختنق الجميع .

«وهذه الكهوف جسيمة الحجم . ولقد أخرجنا بالامس منها 760 جثة ، ولم ينج من الذين التجأوا اليها الانحوالستين لكنهم الى الموت اقرب منهم الى الحياة .».

وخلاصة ما يقال في هذا الباب هو ما قاله النائب روجي امام مجلس الامة الفرنسي يوم 13 جانفي 1834 : «ان الفرنسيين قد ارتكبوا في بعض اعوام من القسوة اضعاف ما ارتكبه الاتراك في مأتي عام .».

ولقد كنا نستطيع ان نستمر على سرد مثل هذه الامثلة وكنا نستطيع ان نأتي بوصف الفظاعة التى استعملت في تحطيم مدينة الزعاطشة مثلا بجهة الجنوب ، ونأتي بامثال ذلك مما يملأ المجلدات ، لكن ذلك ليس هو غرضنا الآن . فنحن مااوردنا هذه الامثلة الرسمية الا لكي نستدل بها على ان اعمال القسوة التى ينسبها المؤرخون للاتراك اثناء توليهم امور القطر الجزائري ، والتى بالغوا في وصفها والتشهير بها ، لها ما يضاهيها بله ما يفوقها اضعافا

مضاعفة ، لا في زمانهم وفي غير ارض الجزائر فحسب ، بل في نفس الارض الجزائرية بعد انقراض دولتهم وظهور طلائع التمدن الاروبي الحديث.

° ° ° °

على ضوء هذه المقدمة الوجيزة يستطيع الانسان ان يدرس تاريخ العصر التركي في القطر الجزائري.

واننى لأتقدم اليوم بكتابي هذا الى الشعب الجزائري النبيل ، وبه افتح باب البحث عن هذه الفترة الطويلة من تاريخ الوطن . فلقد تصفحت عشرات المجلدات الغربية واستخرجت من بينها هذه الفذلكة عن تاريخ الجزائر التركية بلساننا العربي فهي فترة من التاريخ لم يكن لنا فيها تاليف جامع أو أثر نافع .

على أننى حيث أقص على قارئي كتابي موجز تاريخ الجزائر في هذا العهد ، أقص عليه أيضا على هامش ذلك موجز الحوادث العالمية عامة والاروبية خاصة المعاصرة لذلك التاريخ . فهو يستطيع ان يطلع من ناحية على حالة العالم في تلك العصور . وهو يستطيع من ناحية أخرى ان يقارن ويناظر بين حالة بلاده اذ ذاك وبين حالة البلاد الأخرى . ولعله يجد ان نتيجة هذه المقارنة تكون في اغلب الاحيان لفائدة امته ولتبييض وجه تاريخه . واننى ما اخذت هذه الخلاصة عن تاريخ العالم في ذلك العصر الا من كتاب معروف يدرس رسميا في المدارس العليا ، الا وهو كتاب المؤرخ الفرنسي الشهير مسيو مالي ، حتى لا ينسب الي الغلو او التفتيش عن صحائف السوء في الكتب المجهولة .

وبعد ان درست تاريخ العهد التركي دراسة موجزة على تلك الصفة ، حررت فذلكة عن ترجمة اشهر العلماء والادباء بذلك العصر . ثم خصصت عصر المبرور المغفور له «محمد بن عثمان باشا» رحمه الله بدراسة واسعة . فذكرت ماجاء عنه بمذكرات نقيب السادة الاشراف بالحضرة الجزائرية ، وما اختص بدولته من دفتر التشريفات ، وما جاء عن هذا الباشا ودولته بمذكرات المستشرق الكبير فونتيردى بارادي ، وغير ذلك مما يجده القارىء الكريم مبسوطا على هذه الصفحات .

واننى لأرجو ان اكون قد تمكنت بهذا العمل من تصوير العصر التركي في القطر الجزائري صورة واضحة دقيقة . وليس لي من وراء ذلك غاية الا خدمة التاريخ الحق ، والاصداع بكلمة الصدق . والله ولي التوفيق ؟

القسم الاول

خلاصة عن الولاة والحوادث في العصر التركي

من عام 1515 — الى عام 1830

(في أواخر القرن الخامس عشر كان الشمال الافريقي كله مرتعاً للفتن ، وموطنا للقلاقل والاضطرابات ، قد مزقت الفوضى اوصاله ، وعبث غزاة الاسبان بسواحله وأهم مدنه عبثاً كان وصمة وعاراً على صفحات التاريخ . وبلغت الشيخوخة بالدول الاسلامية الثلاثة مبلغاً اوصلها الى درجة الموت . فدولة الحفصيين التى ازدهرت وابنعت بتونس الخضراء – وكانت من أهم دول الاسلام ومن أشدها قوة وبأساً – قد تضاءلت ونخر سوس الشقاق عظامها . ودولة بنى عبد الواد في تلمسان وقد كانت من أعظم الدول الراقية التى اخرجت للناس قوة مادية وسمواً في العلوم والآداب والمدنية قدانحطت الى اسفل دركات الضعف والانحطاط . ودولة بنى مرين الزاهية الزاهرة صاحبة الآثار العظمى والبدائع العمرانية الفتانة اصابها بفاس الانحلال وضعفت قواها المادية والمعنوية واشرفت على الاضمحلال) وأمام هذا الارتباك وهذا الاضطراب كانت دولة اسبانيا قد تنمرت ولما تزل دماء شهداء الاندلس عالقة بادرانها ، ورمت انظار الطمع والجشع على الشمال الافريقي فكادت تثبت اقدام المسيحية المتعصبة الفتاكة بهذه الاقطار ، لولا ان الله نظر الى مسلمي الشمال الافريقي نظر رحمة – وهو الرؤوف الرحيم – فمن عليهم بالحادثين الجليلين في ذلك العصر الحالك السواد :(حادث ظهور القوة التركية الناشئة ايام السلطان الاكبر سليم الأول تحت إمرة سيد الغزاة المجاهدين بربروس خير الدين (

فانقذ تونس والجزائر. وحادث ظهور دولة الاشراف السعديين الشامخة الذرى ببلاد المغرب الاقصى فكان هذان الحادثان سبباً في انقاذ البلاد المغربية وحفظ كيانها وسلامة دينها وراحة سكانها ودرء اخطار حكم الرهبان وطغيان محاكم التفتيش عنها (1) وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

---

(1) في نفس الوقت الذى ثبت فيه اقدام العثمانيين بالقطرين : الجزائري والتونسي كان الاسبانيون قد طغوا بسيلهم العرمرم على بلاد أميركا الوسطى والجنوبية التى أكتشفت قبيل ذلك بقليل (سنة 1492)

فاذا كنا سنرى في الصفحات الموالية خلاصة عن سيرة وسياسة الاتراك بالبلاد التي افتتحوها باسم الاسلام فحري بنا ان نلقي نظرة وجيزة على اعمال الاسبان بالبلاد التي افتتحوها باسم المسيحية ، لنستطيع ان نقارن بين السيرتين ، ولنستطيع أيضاً ان نتصور انواع البلاء التي كانت تنصب على بلادنا لو قدر الله لجنود الاسبان احتلالها :

قال البير مالي في كتابه الجليل (العصور الحديثة) : كانت سيرة الفاتحين الاسبان ببلاد المكسيك وبلاد البيروسيرة مثيرة في أكثر الاحيان هى خليطة من الجشع وسوء النية والوحشية ! وكانوا في سبيل التفتيش على الذهب يرتكبون القسوة والفظاعة. ولقد رأينا ذلك الغدر الذى ارتكبه في مكسيكو اليوتنان الاسباني دى كورتز اللص السفاك. وبعد الاستيلاء على مكسيكو امتنع فاتيموزان (ملك مملكة «موتزوما» التى كانت ذات مدينة شامخة الذرى) ان يدل القائد الاسباني على الموضع الذى أخفى فيه كنوزه وثروته داخل البحيرة فوضعه الاسبانيون حيا على المحرقة. ثم أن عوناً آخر من اعوان الوالي كورتز قد وضع على المحرقة دفعة واحدة 460 من المكسيكيين فماتوا محروقين !

أما في مدينة كيتو ببلاد البيرو فان اليوتنان دى بيزار قد أمر بذبح سائر الرجال في المدينة فذبحوا وبعدئذ أمر باحراق المدينة فالتهمتها النيران واثر ذلك أمر بذبح النساء والاطفال.

لم تكن هذه الاعمال تقع اثناء الحرب فحسب بل استمرت بعد ان أتم الهنود الحمر خضوعهم واستسلامهم للمغيرين فقد وقع «توزيع» الهنود على المستعمرين الاسبان ليعملوا لهم الاعمال الفلاحية بدون مقابل واصبحوا رغم الاوامر الواردة من ملوك اسبانيا عبيداً رقيقاً ! وكانوا يستعملونهم في التفتيش عن مناجم الذهب والفضة واستخراج المعادن وتلك هى أشق الاعمال ، فكان الهنود يموتون وينقرضون **بالملايين**. (والمؤلف هو الذي يضع السطر تحت كلمة الملايين) وفي جزيرة سان دومينيك وحدها كان عدد السكان عند اكتشاف كولومب لها نحو المليون من الناس (سنة 1492) فبعد سبعة عشر عاما من ذلك لم يبق بها الا نحو الاربعين الفاً. (سنة 1509) وبعد خمسة اعوام من ذلك لم يكن بالجزيرة الا ثلاثة عشر الفاً وانقرض الباقون باسرهم.

ثم يقول مالي عن النخاسة أو تجارة العبيد الذين أتى بهم الاسبان للعمل بدل الهنود الذين كادوا ينقرضون : كان ذلك العمل مصيبة جديدة فان الاسبان اخذوا يشترون العبيد من افريقيا ويذهبون بهم الى أميركا فكان ذلك احياء للنخاسة التى كانت موجودة في الاعصر القديمة. ودامت هذه النخاسة الاسبانية الى القرن التاسع عشر (أي اربعمائة عام) كانت الحروب مضطرمة أثناءها بين الزنوج الذين يحاول بعضهم اسر بعض لبيعهم للاروبيين. فكان ذلك سبباً في هلاك الملايين من الانفس البشرية بقارة افريقيا.

والبك خلاصة عن تاريخ البلاد الجزائرية منذ ماثبت بها قدم الاتراك العثمانيين الى ان غادرها آخر ملك من ملوكهم بعد حكم دام نحو الثلاثة قرون :

....

ينقسم حكم الاتراك العثمانيين في هذه البلاد الى خمسة ادوار :

الدور الاول : عصر الفتح باباعروج وخير الدين 1512 ـ 1546 دام 34 عاما

الدور الثاني : حكم الولاة البايلاربای (باي البايات) 1546 ـ 1587 دام 41 عاما.

الدور الثالث : الباشوات الثلاثيين (اي لمدة ثلاثة اعوام) 1587 ـ 1659 دام 72 عاما

الدور الرابع : حكم الاغوات 1659 ـ 1671 دام 12 عاما

الدور الخامس : حكم الدايات 1671 ـ 1830 دام 160 عاما

فجملة حكم الاتراك العثمانيين للقطر الجزائري : 319 عاما

1 ـ عصر الفتح

بابا عروج وشقيقه خير الدين : تركيان صميمان ولدا بجزيرة مدلي وخاضا غمار البحر مجاهدين في سبيل الله واشتهر صيتهما في البحر المتوسط فاصبحا على رأس عمارة قوية. ثم اتفقا مع السلطان الحفصي ابي عبد الله محمد على جعل تونس مركزاً لغاراتهما البحرية واشتغلا مدة بنقل المسلمين واليهود من اسبانيا الى سواحل افريقيا فانقذوهم من موت محقق وعذاب أليم.

ابتدأت عملية انقاذ القطر الجزائري في شهر أوت 1512 وذلك بمهاجمة بجاية ثم مهاجمة واحتلال جيجل التى كانت تحت نير أهل جنوة الطليانيين منذ سنة 1260 وتم احتلال المدينة عام 1514 باعانة القبائل المحيطين بها. واثر ذلك أعاد عروج وخير الدين مهاجمة بجاية لكن بدون طائل ـ استغاث شيخ جزائر بنى مزغنة سليم التومي بالأخوين التركيين لأنقاذ المدينة من خطر الاسبان الذين يهددونها باستمرار

قدم بابا عروج مع 800 تركي و 3000 قبائلي وانقذ المدينة وتقدم نحو شرشال وافتكها من الاعداء . ثم انتصب ملكا بمدينة الجزائر واخذ في مهاجمة وتدمير المعقل الاسباني - هاجم الاسبان الجزائر في سبتمبر عام 1516 بثمانية آلاف رجل للقضاء على الدولة الناشئة فالتحمت معركة شديدة وانهزم الاسبان شر هزيمة وتركوا 3000 قتيل و 400 اسير بين ايدى الاتراك والعرب والبربر وأخذ عروج يوسع ملكه فامتد الى المدية ومليانة وكامل بلاد القبائل . ووضع أخاه خير الدين واليا على الناحية الشرقية وجعل مركزه مدينة دلس . ثم هاجم تنس واحتلها . وفيها وصلته وفود من اهل تلمسان تستغيث به ضد سلطانهم الظالم بوحمو الذى استعان بالاسبان على قضاء مأربه وتوصل الى العرش تحت حمايتهم - فهاجم بابا عروج تلمسان ودحر بوحمو ودخل المدينة وقضى على بقية بنى زبان} ثم اعاد الاسبان الكرة من وهران لاحتلال تلمسان وارجاع بوحمو الى العرش . ولم يصل المدد الى باباعروج فعزم على مغادرة تلمسان . وفي اثناء الطريق التقى بفرسان الاسبان فنازلهم وتغلبوا عليه فاستشهد بعد معركة حامية دامية وجز الاسبان رأسه وطافوا بها كامل مدن اسبانيا وذلك سنة 1518 .

تولى خير الدين الامر بعد استشهاد أخيه فوقف موقف الابطال لاصلاح الامر بعد حادث تلمسان وايده اهل الجزائر وأمده السلطان سليم العثماني بنجدة كانت قيمتها الادبية تفوق قيمتها المعنوية . وفي سنة 1518 (1) جهز شارلكان حملة في 40

---

(1) في سنة 1520 نشأ المذهب البروتستاني المسيحي رسميا وقطع علاقة المصلحين المسيحيين بكنيسة روما . وكان القس لوثر الالماني المولود سنة 1483 هو القائم بهذه الحركة وقد قام برحلة الى روما سنة 1511 واطلع على خفايا قصر الفاتكان وفضائح الرهبان وابتعاد الكنيسة الكاثوليكية عن تعاليم المسيحية الحقة . ثم كانت فضيحة البابا ليون العاشر الذى احتاج الى مال جزيل ليتم به بناء كنيسة سان بيار فاعلن في كل بلاد المسيحية بيع «الغفران» لكل من يدفع مقداراً من المال . فكل من يدفع مالا للكنيسة يعلن البابا أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه ولم يكتف بغفران ذنوب الاحياء بل أخذ يتناول الاموال من العائلات ليغفر ذنوب الذين ينتظرون يوم الحساب في العالم الآخر ! فثار لوثر ضد هذه الفضائح واعلن مذهبه الاصلاحى الذى هو اقرب للمسيحية الحقة من المذهب الكاثوليكي . ولقيت دعوة لوثر نجاحاً كبيراً في البلاد الجرمانية ثم حوكم وصدر عليه حكم الكنيسة بالاحراق ! لكنه اختفى وترجم التوراة الى الالمانية اثناء اختفائه وكان محرما ترجمتها الى غير اللاتينية . وعندما كثر عدد المصلحين خرج لوثر من مخبأه وجهر بدعوته . وكان نصيراً لفرنسوا الاول ضد شارلكان .

سفينة للقضاء على سلطة خير الدين ونزل الاسبان الى ناحية الجزائر وتقدموا فاحتلوا المرتفعات حولها ، وقعت ملحمة عنيفة بينهم وبين المدافعين انتهت باندحار الاسبان . واهلكت زوبعة في البحر اسطولهم فانسحبوا تاركين كل مدافعهم وسلاحهم بايدي المسلمين . وبعد هذا النصر نصب خير الدين السيد احمد بن القاضي والياً على الناحية الشرقية الجزائرية ، وجعل مركزه كوكو ببلاد القبائل (18 كيلو متر من فور ناسيونال) والسيد محمد بن علي واليا على الناحية الغربية . وأراد ان يحكم معتمداً على ولاة من أهل البلاد - استمال اهل تونس ابن القاضى واهل فاس ابن علي ودفعوهما للثورة ضد خير الدين محاولة التخلص من سلطته فثارا وانتصر ابن القاضى واحتل الجزائر فانسحب خير الدين الى جزيرة جربة وحكم ابن القاضى الجزائر ونواحيها سبعة اعوام . ثم أعاد خير الدين الكرة ودخل الجزائر باعانة اهلها 1527 (1) وتمكن من اخضاع كامل البلاد مابين قسنطينة وتلمسان . ثم تمكن من

= ذلك ان الحرب الهائلة بين مملكة فرنسا - وعلى رأسها فرنسوا الأول - وبين الأمبراطورية الاسبانية التى كانت تشمل : اسبانيا ونصف ايطاليا وسردينيا وصقليا وبلاد النمسا والتيرول والبلجيك وهولاندا وبلاد الفلاندر وأمبركا . وعلى رأسها الامبراطور شارلكان وقد كان يطمع في ضم مملكة فرنسا اليه وقد اعلنت سنة 1520 .

وكانت الحاجة الى المال شديدة في فرنسا فعقد فرنسوا اول قرضاً داخلياً بفائض قدره 8 في المائة ! ثم اصبحت الوظائف العامة تباع بالمال واصبح لا يرتقى في مناصب الدولة الا اصحاب اليسار والثروة الذين يستطيعون اشتراء الوظيف . ولكثرة الراغبين قرر الملك هنرى الثاني ان الحاكم في البرلمان لا يتولى منصبه الا ستة أشهر فقط في السنة .

ثم وقع اختراع مناصب جديدة كلما وقع الاحتياج للمال فانشأت مثل وظائف مراقبى التبن . كما انشأ من بعد الملك لويس الرابع عشر لمثل تلك الغاية وظائف المحلفين لذوق الزبدة المملحة ومراقبي الشعر المستعار الذي يلبسه رجال البلاط والنبلاء وهكذا .

وقد كان لبيع الوظائف نتيجة اجتماعية . وهي وصول المثرين من رجال الشعب الى مناصب الحكم بعد ان كانت وقفا على النبلاء والاشراف وقد شمل البيع وظائف الجندية فكانت رتبة القبطان والبوتنان تباع كمنصب الحاكم . (مالي) ودامت الحال هكذا الى أواخر القرن الثامن عشر عند ما قامت الثورة الكبرى .

(1) 1525 - وقعت معركة بافي بين فرنسا واسبانيا فانكسر الجند الفرنسى ووقع فرنسوا الأول ملك فرنسا في اسر الاسبان فساروا به الى مدريد ، وكتب لأمه يقول كلمته التى صارت مضرب المثل : (قد خسرنا كل شيء الا الشرف) . ومكث في الاسر ستة أشهر ، ثم أطلق سراحه بعد ان امضى معاهدة مدريد التى سلم فيها بلاد بورغونيا لأمبراطورية اسبانيا . =

16 نطهير قلعة الجزائر (برج الفنار) المبنية على جزيرة مقابلة للمدينة من الاسبان في 16 ماي 1530 وكانت خطراً دائما ، وبعد ذلك وصل تلك الجزيرة بالارض وأنشأ المرسى الجزائري بوصل الجزر الجزائرية بعضها ببعض ـ احتل الاسبان شرشال 1531 وأخذوا ينهبون ويسلبون ، فاعاد عليهم المسلمون الكرة ومحقوهم . ثم جهز خير الدين مراكبه ونقل الى سواحل الجزائر ستة آلاف من مسلمي اسبانيا كانوا تحت خطر الموت والدمار ـ وفي سنة 1533 اشتدت وطأة الاسبان على اتراك الشرق فاصدر السلطان امره بتسمية خير الدين (قبطان باشا) فسافر الى استامبول لتولى قيادة الاسطول التركي ووضع مكانه على رأس الادارة الجزائرية :

حسان اغا (1533 ـ 1544) في ايامه احتل خير الدين تونس واسقط دولة الحفصيين ـ ثم احتل الاسبان تونس وارتكبوا بها فظائع لاتوصف عام 1535 (1) واحتلوا بعدها عنابة 1536 ومدوا نفوذهم نحو قسنطينة ـ فهاجم خير الدين ماهون في اسبانيا واحتلها واسر فيها 800 اسباني ـ عزم شارلكان على محق السلطة التركية بالشمال الافريقي فجهز حملة ذات 510 سفينة تحمل 25 الف جندى ، وانزلها شرقي الجزائر (حسين داي) 23 اكتوبر عام 1541 ووضع شارلكان مقر قيادته في سيدي يعقوب (فورلمبرور فوق الجزائر) فاهلكت الزوبعة وحارب المسلمين هذه الحملة التى فشلت وقتل فيها 12000 من الاسبان .
وتحطمت فيها 250 من السفن وباء المسلمون بنصر عظيم ـ مدحسن اغا اثر هذا

= وفي العام التالي عقد فرنسوا محالفة مع السلطان سليمان القانوني العثماني فهاجم السلطان مدينة فيا عاصمة النمسا وحاصرها ، واعلن فرنسوا الحرب من جديد على اسبانيا وأعانه الاسطول العثماني فانتصر واضطر شارلكان لعقد صلح كامبرى (عام 1529) والترم بعدم المطالبة ببلاد بورغونيا .

(1) في سنة 1534 اراد ملك الانكليز ان يطلق زوجه كاترين فرفض البابا في روما اصدار اذنه بالطلاق وكانت دعوة لوثر قد اثرت في البلاد الانكليزية تاثيراً عظيما فاعلن الملك هنرى الثامن فصل بلاد الانكليز عن سلطة البابوية ، وقرر بارلمان الانكليز ان الملك هو الرئيس الوحيد للكنيسة الانكليزية . وهكذا نشأ المذهب الانكليكاني الذي لايزال الى يومنا هذا .

ثم أخذ الملك يرهف الحد في تابعي المذهب الكاثوليكي الذين لا يعترفون الا بسلطة روما وفي تابعى المذهب البروتستاني الذين يريدون اصلاح التقاليد الكنسية فكان يامر بشنق الكاثوليكي لأنه خائن الوطن ويامر باحراق البروتستاني لأنه خائن الدين . وكان عدد الذين أمر باعدامهم شنقاً واحراقا نحو الخمسين الفا (مالي) .

النصر سلطته الى بسكرة ودخلت ناحية الزيبان تحت سلطته ـ جهز شارلكان جنده من جديد مدداً لمولاي عبد الله الزباني ضد شقيقه مولاي احمد الذي ملك تلمسان تحت حماية حسن آغا فمحق المسلمون هذه الحملة بصفة تامة في شعبة اللحم عند عين تموشنت عام 1543 . وفي سنة 1544 أعاد الاسبان الكرة في عشرة آلاف مقاتل فافتتحوا تلمسان ونهبوها وفتكوا باهلها تحت سمع وبصر مولاي عبد الله الذى نصبوه ملكا ـ ثار اهل تلمسان بهذا الشقي فالتجأ الى قبيلة انجاد على نحو 30 ميلا من وجدة حيث قتل . وعاد مولاي احمد للملك . وفي نفس هذه السنة توفي حسن آغا رحمه الله فخلفه مؤقتا الحاج بكير الى ان قدم من استانبول :

2 ـ حكومة الباي لارباي :

حسن باشا بن خير الدين (1544 ـ 1552) ثار اهل تلمسان على مولاي احمد فالتجأ للاسبان وأعانه شارلكان على استعادة ملكه من اخيه الذى نصبه حسان باشا بدلا منه ـ وتم الأمر أخيراً لصاحب حسان باشا ـ اراد مولاي محمد المهدى سلطان المغرب ان يضم الى السلطنة الشريفة ناحية تلمسان وينقذها من فوضى اواخر الزبانيين وتدخل الأسبان والأتراك فاحتل المدينة ونواحيها . لكن حسن باشا باي لارباي سار اليه ولاقاه عند مستغانم ودحره ثم نصب مولاي الحسن الزباني ملكا على تلمسان تحت حماية الجزائر 1552 (1) .

---

(1) في سنة 1553 استولت ماري تيدور ملكة على انكلترا وارادت ارجاع البلاد تحت سلطة البابادينيا فبالغت في شنق واحراق المعارضين حتى أطلق عليها الأنكليز لقب «مارى الدموية» ولم تنجح في محاولتها .

وفي سنة 1562 اعلنت الملكة اليزابيت التى وليت الحكم بعدها نظام الديانة الانكليكانية . وهي ديانة خلبطة بين الكاثوليكية والبروتستانية ، فاخذت من الاولى مظاهرها وابهتها واخذت من الثانية نظامها الدينى .

وأثر ذلك قامت حركة في المانيا وبلاد السويد والنرويج وانكلترا لمصادرة اموال واملاك الكنيسة الكاثوليكية فاتسعت ثروة ملوك هذه البلاد وازداد نفوذهم لأنهم اصبحوا يملكون السلطة الدينية والدنيوية معاً .

أما في فرنسا فقد أصدر البرلمان امراً بمعاقبة انصار مذهب لوتر ، فمن تاب منهم ورجع الى الكاثوليكية عفي عنه ، ومن أصر منهم على مذهبه حكم عليه بالاحراق حياً ! وفي ثلاثة اعوام (1547 ـ 1550) وقع احراق نيف وخمسمائة أما اصحاب الحيثيات والذين لهم من يعطف عليهم فقد كانوا يخنقونهم قبل الاحراق كي لا يذوقوا عذاب النار الأليم . وقد كانوا يقطعون لسان المصلح قبل وضعه فوق المحرقة . (مالي)

وفي هذه السنة شيد الباشا القلعة المعروفة ببرج مولاي الحسن (فور لمبرور) ثم استدعي الى اسطامبول.

صالح رايس (1552 - 1556) احتل تقرت وورقلة وضمها لبلاد الجزائر ثم أراد التخلص من سلطة الأشراف السعديين الناشئة بمراكش فعزم على نصب أبي عزون المريني ملكا بفاس، وسافر (براً وبحراً) واحتل فاس ونصب المريني بها، ثم رجع على طريق تلمسان فعزل مولاي الحسن عن الملك لأنه رآه ذاعلاقة مع الاسبان، وضم تلمسان لملك الجزائر وانتهت بذلك دولة بني زيان بصفة بائسة تتنافى مع عظمتها التاريخية عام 1554 - ثم توجه صالح رايس الى بجاية لانقاذها من الاسبان فداهمها بقوة وافتتحها وأخذ يستعد بقوة لفتح وهران الا ان الموت اختطفه سنة 1556 (1) عن سبعين عاما.

حسان قورصو (1556 - 1557) اشتد في حصار وهران براً وبحراً إلا ان السلطان كان في حاجة لأسطوله لمقاومة الاسبان في البحر المتوسط فاضطر الى فك الحصار عن وهران.

جلبى كرداوعلي 1557 - ارسله الباب العالي والياً فرفض حسان قورصو تسليم الامر اليه ووقع اضطراب في الحكومة فقتل حسان قورصو أولا ثم قتل جلبى.

حسن باشا للمرة الثانية (1557 - 1567) ارسله السلطان والياً فارجع النظام - فك تلمسان من حصار مولاي محمد المهدي سلطان المغرب وتتبعه الى نواحي فاس - اراد الاسبان بسط سلطانهم حوالي وهران فكسرهم حسن في مازغران شر كسرة 1558 - تزوج حسن بنت ملك كوكو ببلاد القبائل واستعان بصهره الجديد

---

(1) 1555 - تنازل الامبراطور شارلكان عن العرش أثر مامني به من انهزام امام الجزائر وأثر حروب هنري الثاني خليفة فرنسوا الأول. وبتنازل شارلكان عن الملك انقسمت الأمبراطورية الى شطرين فاستقل آل هابسبورج بالنمسا واستقل الفرع الثاني منهم باسبانيا.

وفي سنة 1556 أعلن فليب الثاني أمبراطور اسبانيا الحرب على فرنسا وكانت زوجه ماري تيدور ابنة ملك الأنكليز. فانضم الجند الانكليزي إليه في محاربة فرنسا وانتصر في سان كانتان وتقدم نحو باريس لكن الفرنسيين تمكنوا من مهاجمة مدينة كالي واسترجاعها بعد ان مكثت في قبضة الأنكليز نحو المائتي عام.

وانتهت هذه الحرب بصلح (كاتوكمبرسي) سنة 1559 حيث سلمت فرنسا لاسبانيا ماكانت تملكه في ايطاليا الا بعض معاقل على جبال الألب وربحت مقابل ذلك مدن كالي وتول وفردان.

على اخضاع البلاد. وعام 1560 (1) أسس الفرنسيون بامر من الباب العالي قرب القالة مركزا تجارياً سيكون له ذكر خلال التاريخ - استاء الترك من رواج حسن فخلعوه وارسلوه مقيداً الى استانبول - تولى احمد باشا مكانه ومكث ثلاثة اشهر لم يفعل خلالها شيئاً مكتفياً بحفظ النظام الى ان توفي - أعاد الباب العالي حسن باشا للمرة الثالثة - فحاصر وهران حصاراً ضيقاً في البر بثلاثين الف جندي وفي البحر بـ 35 سفينة، ولم يستطع احتلالها (1) ثم قسم الجزائر الى 4 ولايات: الشرق والجزائر وتيطري والغرب: فمركز باي الشرق قسنطينة. ومركز باي تيطري والجنوب المدية، ومركز باي الغرب مازونة ثم معسكر ثم وهران. أما الجزائر فالباشا هو الذي يتولاها مباشرة بواسطة اعوانه، وبقيت الادارة هكذا طيلة ثلاثة قرون تقريبا - شارك في حصار مالطة مع العثمانيين بدون جدوى وانتصر فرسان مالطة على الاتراك، ثم استدعاه السلطان لوزارة البحر.

---

(1) في غرة مارس سنة 1562 وقعت معركة فاسى الشهيرة في فرنسا: كانت الملكة كاترين دى مديسى اطلقت الحرية الدينية للبروتستان يوم 17 جانفي من هذه السنة فاصبحوا يقيمون علناً شعائرهم الدينية. وكان جند الدوق دوكيز ماراً بمدينة فاسى فوقعت مناوشات بينه وبين الخمسمائة من البروتستان مات فيها نحو الثلاثين منهم. وبهذه المعركة انتهت الحرية الدينية في فرنسا وابتدأ عهد الحرب الاهلية بين الكاثوليك والبروتستان.

ابتدأت الحرب الأولى فاستنجدت فرنسا باسبانيا واستنجد البروتستان بملكة الانكليز أليزابت التي ارسلت اليهم المال والسلاح واستلمت مرسى لوهافر وانتهت الحرب بعد فظائع عديدة فعاد الكاثوليك والبروتستان في فرنسا لسالف اتحادهم واسترجعوا لوهافر من يد الانكليز ودام الصلح اربعة اعوام.

ثم عادت الحرب واستمرت ثلاثة اعوام (1567 - 1570) وانتهت باعلان الحرية الدينية من جديد.

ولم يدم الصلح الا عامين فقط حيث ان كاترين دى مدسى دبرت مذبحة سانت باوتليمي الشهيرة.

(1) انتهت في سنة 1563 اجتماعات المؤتمر الدينى الاكبر الذى عقده البابا في مدينة تارونت، وقد رفض البروتستان حضوره رغم جميع المحاولات. وفي هذا المؤتمر تقرر ان نص التوراة والانجيل لايكون الا النص اللاتيني الذى ترجمه عن اليونانية سان جيروم في القرن الرابع. وقرر انه لايجوز لرجال الدين ان يتزوجوا. وقرر أخيراً مبدأ الأكاريستي: وهو أن الخبز والخمر في الكنيسة يحوبان بصفة حقيقية فعلية مادية لحم المسيح ودمه وروحه والوهيته. وذلك علاوة على تقرير نظام خاص للرهبنة والاقلاع عن مظاهر الترف واليسار التي كان يتظاهر بها البابوات والرهبان.

محمد بن صالح رايس (1567 ـ 1568) حدثت في ايامه المجاعة الكبرى فاشتغل بتخفيف وطأتها واثار التونسيين ضده باي قسنطينة فاخضعه . وأقام حصون باب الواد بالجزائر ـ ثم استدعاه السلطان لولاية أخرى .

قلج علي (1568 ـ 1571) من قدماء الاسارى النصارى اشتهر بالقوة والعزم ، حارب الاسبان حربا عنيفة واعان بقايا مسلمي الاندلس وانقذهم ثم شارك في الحرب البحرية الكبرى في ليبانت مع الاسطول التركي (1571) فانهزم كامل الاسطول الاسلامي الا اسطول الجزائر تحت قيادته وغنم مراكب الاعداء الرئيسية وعليها علم البابا فكلفه السلطان بتنظيم الاسطول العثماني من جديد ، واستدعاه لاستانبول (1)

عرب احمد (1571 ـ 1573) قضى ايامه في ترتيب الادارة وتأمين سبل البلاد ـ عزم قلج علي الآنف الذكر على انقاذ تونس من ايدي الاسبان الذين عاثوا فيها فساداً فاستعان بعرب احمد وهاجما الخضراء معا فانقذاها في اكتوبر 1573 ـ ضبط قرصان الجزائر سفينتين فرنسيتين رغم المعاهدات . ولم ينجح عرب

---

(1) مابين سنتي 1567 ـ 1571 ، باشر ملك اسبانيا الوحشي فيلب الثاني اخراج بقايا المسلمين من بلاد الاندلس واعدام من لم يخرج منهم . وارتكب اثناء ذلك من الفظائع والاهوال والوحشية مالم يذكر التاريخ له مثيلا . قال مالي في كتابه الآنف الذكر :

«كان العرب الذين بقوا في مملكة غرناطة العتيقة من الفلاحين المقتدرين الذين لامثيل لهم وكانوا السبب في ثروة قسم عظيم من بلاد مملكة اسبانيا . فدارت عليهم الدائرة في وقت واحد مع رجال الاصلاح الديني والقت محاكم التفتيش القبض عليهم جميعاً . وفي مدينة اشبيلية وحدها وقع احراق ثمانمائة منهم دفعة واحدة»

اما في بقية مدن بلاد الاندلس فكان الامر مثل ذلك . وقد كان المسلمون الذين فروا بدينهم من ذلك الاتون يركبون السفن ويحملون ماخف من متاعهم ويلتجئون الى الجزائر وتونس وبلاد المغرب الاقصى ، وفي عرض البحر تعتدي عليهم مراكب القرصان الاسبان فلا ينجو منهم الا القليل فكانت نكبة المسلمين في هذا العهد من اكبر نكبات التاريخ .

وفي هذه السنوات ارهق الاسبان الحد في أهل هولاندا وبلجيكا الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني وأرسلت محاكم التفتيش 1700 شخص الى المحرقة في ثلاثة أشهر . فوقعت الثورة العامة واستقلت بلاد هولاندا بعد حروب وفظائع ومذابح عديدة .

احمد في اقناع الرياس بارجاعها فرفعت فرنسا امرها للباب العالي الذى أجاب مطلبها وعزل الوالي وارسل : (1)

قائد رمضان (1574 ـ 1577) تداخل مع قلج علي في شؤون المغرب الاقصى محاولة وضعه تحت الحماية التركية لكن بدون جدوى ـ وقع اسر الشاعر الاسباني الكبير سرفانتيس مؤلف دون كيشوت وغيره على باخرة اسبانية . فمكث في اسر الجزائريين الى عام 1580 ـ رفض قائد رمضان قبول قنصل فرنسي الى ان اضطره السلطان لذلك ، ثم وقعت تسميته باشا بتونس .

حسن فنزيانو (1577 ـ 1580) تصلب في محاربة الاسبان واقلق راحتهم في البحر وفي بلادهم وأتم تحصين الجزائر وأعدها لمقابلة كل هجوم .

جعفر باشا (1580 ـ 1582) أعاد في أيامه قلج علي الآنف الذكر الغارة على المغرب الاقصى بأعانته الا ان حكومة فاس رفعت الامر للباب العالي في استانبول ، فأمر السلطان قلج علي بالسير الى بلاد العرب وارسل جعفر باشا الى ولاية أخرى .

---

(1) يوم 24 أوت 1572 ، وقعت مذبحة سانت بارتلمى التى دبرتها كاترين دى مدسى للتخلص من نفوذ الاميرال كوليني زعيم البروتستان الذى اصبح من أكبر رجال الملك شارل التاسع الخاضع لنفوذ امه . فبينما كان رجال البلاط يجتمعون عند الملك ويقيمون مأدبة حافلة ، كان الملك قد خضع لأرادة أمه وقال : اقتلوا البروتستان ، انما اقتلوهم كلهم ! وشعر زعماء الاصلاح بالمكيدة انما بعد فوات الوقت وبتلك المناسبة قال زعيمهم اثناء الرقص كلمته التى صارت مثلا : «انا نرقص فوق بركان» وباشارة من الملكة انقض رجالها على زعماء البروتستان وذبحوهم ذبح الأغنام . وقد جاء في معلمة لاروس مانصه : دامت المذبحة الفظيعة عدة ايام ، ومات فيها جمهور عظيم من الرجال والنساء والاطفال . وخضبت فرنسا كلها بالدماء . صدر الاشعار بابتداء المذبحة بدق نواقيس سان جرمان دوكروا فكانت مذبحة فظيعة ، وكان من اعيان الذين ذبحوا فيها الاميرال كوليني ، ولافاردان ، والفيلسوف راموس ، والمؤرخ لابلاس . اما في قصر اللوفر الملوكي فقد ابتدأت المذبحة حوالي الساعة الخامسة صباحاً . واخذ البؤساء الذين تعينوا ضحايا لهذه المجزرة فقبض عليهم وجردوا من السلاح ثم ذبحوا كالأغنام بعد ماكان اكثرهم يشاطر الملك طعامه بالامس ، فبعضهم ذبح في داره وبعضهم في البلاط الملوكي وبعضهم ذبح تحت انظار الملك شارل التاسع الذي كان يشرف على المذبحة من نافذة .

وكان بهذه المذبحة ابتداء الحرب الدينية الخامسة بفرنسا التي انتهت باستقلال البروتستان في مدينة لاروشيل واصبحت عاصمتهم الدينية .

قائد رمضان للمرة الثانية (1582) اراد أن يمنع بامر السلطان القرصنة ضد سفن الفرنسيس وارجاع المراكب المغتنمة اليهم فاخفق لأن الجزائريين اعتبروا انهم في حرب مع فرنسا مالم تتعاقد معهم رأساً . وتولى مامي الارناووط كبر مقاومته فعاد الوالي من حيث اتى .

حسن فنزيانو للمرة الثانية (1583 ـ 1587) كان غازيا في شرق البحر المتوسط . فلما بلغته هذه الانباء جاء الجزائر وتولى امرها من عند نفسه ولم يعارض السلطان في ذلك . نشطت القرصنة في ايامه نشاطا غريبا وكثرت الغنائم في البحر وفي ايامه 1587 توفي القبطان باشا قلج علي وكان من أشهر رجال البحر في عصره . (1)

3 ـ حكم الباشوات الثلاثيين :

غيرت حكومة استانبول طريق الولاية في الجزائر فعزمت على ارسال باشوات من قبلها يحكم الواحد منهم ثلاثة أعوام :

دالي احمد باشا (1587 ـ 1589) لم تطل ايامه ولم يقع فيهما يستحق الذكر ارسله الباب العالي لاخضاع طرابلس الثائرة فاستشهد .

الخضر باشا (1589 ـ 1592) اخضع ثورة قامت بها قبائل بني عباس ، ونشط القرصنة ضد سفن الدول التى لاترتبط بمعاهدة مع الجزائر . ولما انتهت مدته رجع لاستانبول واتهم بالاختلاس فسجن الى ان اظهر براءته .

---

(1) في جويلية 1585 اصدر الملك هنري الثالث امره بتحجير الديانة البروتستانية بفرنسا . وكان البروتستان قد اصبحوا شبه دولة قوية . ولهم جندهم واتباعهم . فاشتعلت في فرنسا من جديد الحرب الاهلية الدينية وكانت الحرب الثامنة والاخيرة ، فاشتهر فيها الدوق دوكيز شهرة واسعة وحطم قوة البروتستان وارغم الملك على تعيينه قيما عاما على المملكة وأصبح هو السلطان المطاع . ولما كبر شأنه على الملك استدعاه اليه وعندما كان يخترق حجرة الملك للمثول بين يديه برزله ثمانية من الاشراف اتباع الملك وقتلوه طعنا بالخناجر . وعندئذ صاح هنرى الثالث : الآن صرت ملكا ! لكن الشعب ثار واراد الانتقام للدوق القتيل ونادى الناس بخلع الملك واقامة شقيق الدوق قيما عاما على المملكة فسادت الفوضى في فرنسا بصفة مدهشة وفر الملك وتعاقد مع ملك نافار الذي هو زعيم البروتستان وهاجما باريس معا . وفي اثناء الحصار قتل الملك هنري الثالث فاصبح ملك نافار الذي كان وليا للعهد ملكا على فرنسا تحت اسم هنري الرابع . ولم تخضع باريس للملك الجديد لانه بروتستاني . فقال كلمته المأثورة : «ان باريس تساوي صلاة كاثوليكية» واعلن رجوعه للمذهب الكاثوليكي فدخل باريس واعترف الجميع به ملكا واعلن الحرية الشاملة للبروتستان في اقامة دينهم .

شعبان باشا (1592 ـ 1595) لم يقم باعمال تذكر . جدد بناء وتجهيز قلعة صور الغزلان .

الخضر باشا للمرة الثانية (1595 ـ 1596) عاد للجزائر يريد الانتقام من خصومه الذين اتهموه بالاختلاس فاستعان بالاعراب على الجند التركي ، وثارت قلاقل في وجهه فعزله الباب العالي .

مصطفى باشا (1596 ـ 1599) في ايامه ابتدأت فرنسا تتمتع في الجزائر بالامتيازات القنصلية كبقية البلاد التركية . عجز عن قهر ثورات القبائل فرجع لاستانبول وسجنه السلطان .

الخضر باشا للمرة الثالثة (1599 ـ 1603) وقعت مشادة بينه وبين فرنسا فهدم مركزها التجاري القديم في القالة وسجن قنصلها ثم اعاد له الحرية بعد قبض جعل باهض . تدخلت فرنسا لدى الباب العالي فاصدر حكمه باعدام الخضر .

محمد قوصة باشا 1603 ـ 1605) نفذ حكم الاعدام في الخضر ، وصادر أملاكه ، صدغارة اسبانيا عن مرسى ازفون (بورقيدون) ثم عقد معاهدة مع فرنسا تحمي تجارتها في البحر وتجعل باشوات الجزائر مسؤولين عن كل غلطة تقع من القرصان ضد السفن الفرنسية ، وتوجب تحرير الاسرى الفرنسيين ، واعادة بناء مركز القالة . لكن الديوان في الجزائر امتنع رغم جهود الباشا من تنفيذ هذه المعاهدة فارسل السلطان مندوبا لقبه (القابجي) لاقناع الديوان فلم ينجح ، وثار أهل الجزائر مع رجال الديوان ضد القابجي والوالي الذي مات تلك الاثناء عن سن 80 عاماً .

قوصة مصطفى باشا (1605 ـ 1607) وهو القابجي الآنف الذكر ، تولى الحكم فاعاد الامن واملى ارادته على رجال الديوان فقبلوا تنفيذ المعاهدة مع فرنسا مرغمين . انما اشترطوا عدم ارجاع اسرى الفرنسيين الا بعد ارجاع اسرى المسلمين من فرنسا . وهكذا كان . استنجد به المسلمون المقيمون حول وهران ضد الاسبان فسار اليهم لكنه لم ينجح في قهر الاسبان ثم عقد اتفاقا مع القبائل البربرية جعلت به للطاعة .

رضوان باشا (1607 ـ 1610) في عامه الأول هاجمت مرسى عنابة حملة من الطوسقان (من دويلات ايطاليا قبل الاتحاد) فاحتلتها، وجاء لنجدتها محمد بن فارح باي قسنطينة فاستشهد اثناء معركة. ونهب الطوسقان المدينة نهبا. ثم انسحبوا في سفنهم. في تلك الاثناء هرب لفرنسا احد القراصنة وهو من أصل فرنسي وأخذ معه مدفعين من البرونز فطلب الديوان من فرنسا ارجاع المدفعين ومعاقبة الفار. لكن فرنسا لم تجب هذا الطلب فاعلنت الجزائر الحرب عليها من جديد ونقضت المعاهدة السالفة التى ارغمها الباب العالي على قبولها، وجاء قرصان من الفرنسيس يركبون سفنا طوسقانية فخربوا وحطموا مرسى برقش (قورايا).[1]

قوصة مصطفى باشا للمرة الثانية (1610 ـ 1613) أعاد الهدوء لبلاد القبائل الثائرة، وجاءت سفن الاسبان فخربت نواحي جيجل. وعام 1611 وقع الوباء الاكبر الذي اهلك خلقاً كثيرا في كامل المغرب.

حسين الشيخ باشا (1613 ـ 1617) عقد اتفاقية مع داي تونس حددبها التخوم بين البلاد الجزائرية والبلاد التونسية. فتح مذاكرات مع فرنسا لفك اسر المعتقلين المسلمين بالبلاد الفرنسية، فاشترطت فرنسا لذلك اقلاع الجزائريين عن الحرب البحرية وخابت المذاكرات[2].

---

(1) يوم 14 ماي 1610 وقع اغتيال ملك فرنسا المصلح العظيم هنري الرابع وقد تمكن مع وزيره الشهير سولي من اصلاح فرنسا وارجاع الامن والاطمئنان الى سائر ربوعها، واعان الفلاح والصانع وانمى الثروة العامة.

الا انه اثقل الضرائب وأخذ يسعى لتحطيم دولة النمسا وحليفتها دولة اسبانيا وراجت اخبار هذا الاستعداد فانكره الشعب، وكانت الامة تريد الراحة والسكون لاصلاح ما افسدته الحرب من امرها. وذلك مادفع بأحد الناقمين المدعو رافاياك لاغتيال الملك حتى لايتم برنامجه الحربي.

وبموت الملك قامت في فرنسا اضطرابات وفتن دامية دامت زهاء العشرين عاما وقتل الملك الجديد أثناءها وزيره كونسيني. ولم ينته ذلك العهد الاسود الا باستلام الكاردينال رشليو زمام الوزارة، وقبضه على ناصية الدولة بيد من حديد.

(2) في اوائل القرن السابع عشر كانت دولة روسيا تدعى «موسكوفيا» وكانت دولة شرقية بعيدة عن أوروبا يلبس أهلها القفاطين ذات الاكمام الطويلة. وتحتجب نساؤها ولا يختلطن اصلا مع الرجال. وكانت العادات غليظة والمعاملات جافة والجهل المطبق مخيما على كافة البلاد.

سليمان باشا قاطانيا (1617) عاد قوصة مصطفى باشا للولاية بعد انعزال حسين الشيخ فمكث بضعة اسابيع ثم سلم الكرسي لسليمان الذي قدم من استانبول. سعى أهل مرسيليا لارجاع اسرى الجزائريين الى وطنهم ونجحوا طمعاً في ارجاع السلام التجاري للبحر، الا أن أهل الجزائر بعد رجوع اسراهم من بلاد فرنسا امتنعوا من ارجاع اسرى الفرنسيس وجهزوا حملة خربت من جديد مركز فرنسا التجاري في القالة. فلما بلغت انباء هذه الحوادث استانبول أمر السلطان بعزل سليمان باشا.

حسين الشيخ باشا للمرة الثانية (1617 ـ 1620) ارجع الهدوء الفكري للجزائر، وأرسل مفاوضين جزائريين لبلاط ملك فرنسا فانعقدت اتفاقية وقع بها تبادل الاسارى بين البلادين ورجع السلم بينهما. وعندما استعد المفاوضان والاسارى ومن معهم لركوب البحر نحو الجزائر بلغ أهل مرسيليا أن أحد القرصان قد فتك بركاب سفينة مرسيلية؛ ودون أن يتأكد أهل مرسيليا من صحة الخبر هاجموا الجزائريين من رسل ومن اسرى وفتكوا بهم، فكان عدد المقتولين 48 شخصا وقد اقتصت العدالة الفرنسية من الجناة فاصدرت حكمها بالاعدام ونفذته على 14 منهم. الا ان هذه الحادثة اثرت في الجزائر تأثيراً مزعجا فالقى الجزائريون القبض على كل الفرنسيين بهذه المدينة واسترقوهم وامروا قرصانهم بالغزو في البحر ضد مراكب الفرنسيس 8 أوت 1620[1]

= وفي سنة 1613 استولى عرش مسكوفيا ميشال رومانوف جد العائلة الملكة التى دامت في الحكم الى سنة 1917 واتلفتها الثورة الروسية.

(1) يوم 26 أوت 1619 سمي الملك فرديناند امبراطوراً على ألمانيا التى كانت تشمل كل البلاد الجرمانية وما يليها من جهة الشرق، لكن بلاد التشيك لم تقبل هذه الامبراطورية واشتعلت الحرب الداخلية بألمانيا بسبب الدين فدامت ثلاثين عاما متوالية. وبعد ان كانت حربا بين الكاثوليك والبروتستان اصبحت حرباً عنصرية اراد بها الجرمانيون ان يحطموا كل الشعوب التى تسلكتهم ويصيروها ألمانية. فكانت محاولة شنيعة ارتكبت فيها فظائع هائلة وذاقت شعوب التشيك وأهل بوهيميا صنوفاً من العذاب والشقاء. لكنها قاومت بشدة وصلابة وقوة مراس الى ان غلبت على امرها وبقيت تحت نير الجرمانيين في امبراطورية النمسا الى ان انتهت الحرب العامة فتحررت تلك الأمة بفضل جهاد زعيمها الاكبر الرئيس مازاريك وبفضل محافظتها على مميزاتها القومية ولغتها وتعلقها بتراث اجدادها الادبي.

وقد استشهد من رجال التشيك اثناء نضالهم مع الجرمانيين في اوائل القرن السابع عشر نحو الثلاثة ملايين من الانفس «مالي».

الخضر باشا (1629 - 1623) تظاهرت فرنسا بالقوة ضد الجزائر دون نتيجة، ثم أعادت بناء مركزها التجاري ووضعت به حامية، فاحاط بها الاتراك واستأصلوها وحطموا المركز. جاء الهولانديون صحبة 6 سفن حربية يطالبون الجزائر بعقد الصلح وترك الحرية البحرية لسفنهم، فامتنع الديوان. فامر القائد الهولاندى بشنق عدد من الاسرى المسلمين الذين تحت قبضته وعاد ادراجه فضبط بعض سفن جزائرية واسر من فيها. ثم عاد للجزائر يهدد بشنقهم ان لم تجب مطالبه فخضع الديوان امام هذا التهديد وعقد اتفاقية مع هولاندا. وكان الوباء الذي ظهر في تونس وانتشر منها قد اهلك في مدينة الجزائر نحو خمسين الفا من السكان حسب رسالة بعث بها احد الفرنسيين الى اهله.

خسرف باشا (1623 - 1627) ابعد الانكشارية عن الجزائر لارجاع الهدوء إليها فارسل تلك الفرق العسكرية لتمهيد الأمر بتلمسان، ثم ارسلها لاخضاع ملك جبل كوكو ببلاد القبائل، ونشط قرصان البحر فمدوا اعمالهم الى المحيط الاطلسى ووصل مراد رايس عام 1627 الى جزيرة ازلاندا في البحر الشمالي فرجع بغنائم كثيرة و400 اسير[1].

حسين باشا (1627 - 1633) اشتد الخلاف بين الجزائريين والتوانسة في مسألة الحدود حيث ان القبائل التونسية لم تحترم تخطيط سنة 1614 ولم تنجح المذاكرات السلمية، فهاجم الجزائريون البلاد التونسية ودحروا الجند التونسى قرب

---

(1) في سنة 1625 اتهى ملك فرنسا باشارة وزيره ريشيليو عهد نانت القاضى بحرية البروتستان الدينية. وذهب ريشيليو فحاصر قلعة لاروشيل بشدة. واستعان اهلها بالانكليز فانجدوهم. وقال زعيمهم: مادام فينا رجل يحرس الابواب فانا لا نسلم المدينة، ودام حصار المدينة 14 شهراً. وقد أقام امام مرساها جداراً يمنع دخول المدد اليها، طوله 1500 متر وعرضه 8 امتار. ولم ينجح اسطول الانكليز في التعرض لبنائه وهكذا قضت المدينة نحبها جوعاً فمات من أهلها 15 الفاً، ولم يبق بها من المحاربين الا 158 رجلا، عندئذ استسلمت ودخلها الملك فكانت جثث الموتى تغطى الطرقات، ولم تكن الجثث معفنة لأن اهلها قد جفوا من الجوع قبل موتهم. وهذا ماقصه ريشيليو نفسه بعد ذلك. وانتهى كل امتياز بعد ذلك لرجال البروتستان واعلن الكردينال مساواتهم التامة مع بقية الخاضعين لملك فرنسا.

وفي سنة 1635 تفاقم امر الضرائب واشتد البؤس بالشعب الفرنسى فقامت الثورات في مختلف جهات فرنسا، واهمها ثورة: «حفاة الاقدام» فاستعمل الكاردينال قساوة ووحشية لاخماد تلك الثورات وعامل الثائرين بكل شراسة الى ان مات مغضوباً عليه من الجميع سنة 1642.

الكاف في الستارة (ماي 1628) وبعد هذه الملحمة المؤلمة اتفق الجانبان على تخطيط الحدود من جديد هكذا: من الشمال الى الجنوب بمتد الحد من البحر الى رأس جبل الهفا، ومنه الى قلوب الثيران، ومنه الى الكبريش ومنه الى وادي ملاق، ومنه الى وادي السيرات في الجنوب. واتفق الفريقان على أن كل من اجتاز الحد عد من أهل المنطقة التي نزل فيها ولايجوز تتبعه اليها. ثم عقد معاهدة جديدة مع فرنسا نوطد بها السلام بين الجانبين وارجعت فرنسا للجزائريين المدفعين البرونزيين السالفي الذكر. بعد مدة من هذه الوقائع ثار الجند التركي ضد الباشا لاستبداده بالحكم دون الديوان. فوضع الباشا الشيخ في السجن عام 33 واستلم الديوان زمام السلطة.

يوسف باشا (1634 ـ 1637) ارسله الباب العالي، فابتدأ أعماله بنقض الصلح مع فرنسا نزولا عند ارادة الديوان، وعادت الحرب البحرية بينهما فارسلت فرنسا عمارة قوية لارضاخ الجزائر تحت قيادة الكوماندور مانتان. لكنه اخفق في العملية لأن الزوبعة البحرية لم تمكنه من اتمام العمل.

علي باشا (1637 ـ 1639) رضخ للديوان ولرؤساء البحر فاعلن الحرب رسمياً ضد فرنسا، وارسل عمارة تحت قيادة علي بتشنى فدمرت مركزها التجاري بالقالة ورجعت بـ 317 اسيرا بيعوا رقيقاً في الجزائر.

ثار أهل قسنطينة على الباي فارسل الباشا جنده لتأييده تحت إمرة القائد يوسف فانكسر قرب ميلة ـ جهز الجزائريون اسطولهم لاعانة الاسطول العثماني تحت إمرة علي بتشنى رايس فحارب في الادرياتيك وانكسر امام اسطول البندقية وخسر الجزائريون 18 سفينة، ووعد السلطان بدفع تعويض عنها للرياس الجزائريين (جمع رايس في الاصطلاح البحري الجزائري)

الشيخ حسين باشا (1639 ـ 1640) لم يقع في أيامه مايذكر، مات بالوباء في سنة ولايته.

أبو جمال يوسف باشا (1640 ـ 1642) حرر مع مندوب فرنسا اتفاقية فرفضها الكاردينال دى ريشيليو لأنه لم يجدها وافية بالغرض، لكن العلاقات

التجارية رجعت لعنادها مع فرنسا . سافر الباشا بنفسه على رأس الجند فمهد امور قسطينة وسار الى بسكرة ومنها رجع للعاصمة . ثار عليه جند الانكشارية فسجنوه .

محمد بورصالي باشا (1642 ـ 1645) طلب الباب العالي بواسطته من رياس الجزائر المشاركة في اخضاع مالطة ، فاجتمع هؤلاء تحت رئاسة علي بتشني وقرروا رفض طلب السلطان لأنه لم يف بعهده في دفع التعويض عن كارثة الادرياتيك ، فارسل السلطان رسولين للمفاهمة ، وشاع في الجزائر انهما مرسولان لقتل علي بتشني ، فثار الجزائريون والتجأ الباشا والرسولان الى ضريح سيدى عبد الرحمن حتى أخرجهم علي بتشني نفسه تحت حمايته ، ورأى السلطان مهارة علي بتشني فاولاه مرتبة قائد عام للاسطول لكنه مات قبل ان يستلم هذه الخطة السامية . وقد شيد مسجداً فخما في الجزائر من ماله الخاص ، هو اليوم كنيسة نوتردام دى فيكتوار في طريق باب الواد بالعاصمة .

أحمد باشا (1645 ـ 1647) دامت مدة هذا الباشا عشرة أيام وقد تأكدت تركيا وتأكد الجزائريون فساد نظام الثلاثة اعوام . فكانت هذه السنوات ذات اضطراب في الحكم وأشتد بأس القرصان ، وكثر عدد الاسارى المسيحيين بالجزائر انكسر الاسطول الجزائري امام فوسان مالطة ، وخسر الجزائريون 250 شهيداً و150 أسيرا .

يوسف باشا (1647 ـ 1650) اثر هذا الانكسار لم يجد الباشا الجديد بداً من القاء قنصل فرنسا في السجن لارضاء الراي العام . ظهر شريف سجلماسى يدعى مولاي محمد (رأس الدولة الشريفة الحالية) وجهز جيشاً هاجم به بني سناسن وهزم الاتراك عند ابواب تلمسان . وبعد أن قضى الشتاء بوجدة تحرك الى الجنوب فاحتل عين ماضى والاغواط . جهز الباشا جنده للقضاء على الشريف ، الا ان هذا رجع الى وجدة فاقتسم مع جنده الغنائم والاسلاب بها ، ثم قفل الى سجلماسة دون ان يلتقي بالجند التركي . فارسل الجزائريون رسلا الى سجلماسة عقدوا معه اتفاقية خططوا بها الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى ، ولم تكن لهذا الشريف سلطة رسمية ببلاد المغرب . طلب السلطان اعانة قرصان الجزائر ضد أسطول البندقية

وارسل لهم 60 الف سلطاني ذهبا (نحو مليون ونصف من نقود اليوم) تعويضا عن خسارة الادرياتيك [1]

محمد باشا (1650 ـ 1653) انكسر الاسطول الجزائري امام البندقية ، ثم انكسر أيضا في بحر اليونان . في داخل البلاد ساد الامن بكامل الوطن الجزائري .

أحمد باشا (1653 ـ 1655) جاءت عمارة انكليزية دفعت الجعل ورجعت بالاسارى الانكليز وعقدت اتفاقية تجارية مع الجزائر .

ابراهيم باشا (1656 ـ 1659) سارت الامور سيراً هادئافي ايامه . ظن مدير المركز الفرنسى أنه في خطر بدون موجب فاخذ معه كل ما ينقل ، واسر 50 مسلما بغير ذنب فساقهم معه رقيقا الى فرنسا واخلى المركز . فارتاعت فرنسا لهذا الحادث الذى كونه نائبها ، وارسل لويز الرابع عشر سفيراً للمفاوضة مع الجزائر في شان الترضية الا ان الاضطراب الذى وقع تلك الأيام منع حصول النتيجة . فان رؤساء البحر ورجال الديوان العسكري ثاروا ضد الباشا ونظام الثلاثة أعوام فابقوا منصب الباشا احتراما للسلطان . لكنهم قرروا أن السلطة الفعلية يتولاها الديوان العسكري مباشرة . ويرأس الديوان آغا لمدة ستين فقط . ثم يتولى آغا آخر مكانه . ووظيفة الاغا تنفيذية بحتة وسلطة التشريع للديوان . ثم ارسلو للباب العالي يطلبون المصادقة على هذا النظام . فاقرهم السلطان عليه مرغما على شرط أن الديوان هوالذي يدفع في المستقبل النفقات العسكرية للجند التركي . وبذلك نالت الجزائر استقلالها . فكان حكم الاغوات «جمع اغا : رئيس الجند» حكم انتقال مهد السبيل لحكم الدايات [2]

---

(1) في سنة 1648 قام الشعب الانكليزي بثورة عنيفة ضد الملك شارل الاول الذي وقع اعدامه ، وقامت الجمهورية وعلى رأسها كروموبل فحكم حكما عسكريا صارما انفه الانكليز . فبعد موت كروموبل عادت الملوكية . لكنها رجعت الى سالف استبدادها فبقى الحال مضطربا في البلاد .

(2) خلال سنة 1650 كتب احد الفرنسيين يصف حال امته بقوله : «كانت حالة الضنك والخصاصة مزعجة ، وفي أغلب النواحي وخاصة ببلاد نورماندیا كان أهل البادية يجبرون على بيع آخر قميص لديهم كي يدفعوا ما عليهم من الضرائب . وكان هؤلاء المساكين لا يملكون شيئاً من قار او منقول الا أرواحهم =

وما بقوا يملكونها الا لأنها لم تكن قابلة للبيع في المزاد» .

4 ـ حكم الاغوات :

خليل آغا (1659 ـ 1660) هو مدير الحركة ومنشىء النظام الحديث. حاربه الفرنسيون وفرسان مالطة وتغلبوا على الاسطول الجزائري فثار عليه الجند وقتله بعد أشهر من ولايته.

رمضان آغا (1660 ـ 1661) افتتح اعماله بمباشرة بناء المسجد الجديد الشهير بالجزائر ـ اشتدت فرنسا في محاربة رؤساء البحر الجزائريين ـ سن الاغا نظاما جديداً لقسمة اسلاب البحريين الحكومة وطائفة الرياس حيث وقع اسر 12 سفينة انكليزية و12 سفينة فرنسية وأيطالية و9 سفن هولاندية، فلم يرق نظامه للطائفة البحرية فتآمروا عليه وقتلوه.

شعبان آغا (1661 ـ 1665) تفاقم أمر الخلاف بين فرنسا والجزائر. وجاءت عمارة فرنسية لتحطيم الاسطول الجزائري فغنمت نحو اربعين سفينة وارادت تدمير الاسطول داخل مرسى الجزائر فاخفقت. عزم ملك فرنسا لويز الرابع عشر على احتلال مرسى جيجل لجعله مركزاً لحماية مصالح فرنسا فخابر فرسان مالطة وانكلترا وهولاندا لمشاركته في هذا العمل ولم يتم الاتفاق فجهز حملة فرنسية من 8000 مقاتل و83 سفينة ونزل الجند في جيجل يوم 23 جويلية دون مقاومة تذكر. لكن القبائل أخذت تهاجم الفرنسيين وتقض مضاجعهم بصفة مستمرة، وجهز الاغا احسن فرق الجند وزودهم باقوى المدافع وارسلهم لاسترجاع جيجل فنصب المسلمون الحصار على المدينة وضيقوه الى ان اضطر الجند الفرنسى لاخلائها

= وكانت الثورة قد اندلع لهيبها في باريس ضد الملكة حنة النمساوية وصية الملك لويز الرابع عشر حتى اضطرت الملكة للفرار (سنة 1649). وكان البرلمان هو القائم بالثورة على رأس الشعب، لكن هذه الثورة اخفقت بعد ثلاثة أشهر وعادت الملكة الى باريس. والذى تجب ملاحظته هو ان البرلمان لم يكن يجمع ممثلي الأمة بل كان يجمع القضاة والحكام الذين يشترون وظائفهم بالمال.

ثم قام النبلاء والاشراف بثورة أخرى ضد الحكومة، وسادت الفوضى في كامل البلاد الفرنسية بصفة مدهشة، أنتهت بفوز الوزير مازاران الذي أصبح المتصرف المطلق في فرنسا، وكان همه حسب عبارة مالي: اعادة جمع ثروة الطائفة التي مستها الثورة وجمع ثروة عظيمة لعائلته فتمكن بواسطة بيع الوظائف بصفة فاضحة، وبواسطة التدليس وسرقة اموال الدولة من جمع حطام هائل، وعندما مات ترك خزينة الدولة خاوية على عروشها، انما ترك لورثته 50 مليونا من الفرنكات (نحو ثلاثمائة مليون من نقود اليوم).

وركوب البحر تاركا للمسلمين القسم الاكبر من سلاحه وذخيرته واقواته. واحدث هذا النصر رجة عظيمة في بلاد المسلمين، لكن اسطول فرنسا استمر بعدها يحارب اسطول الجزائر حربا عنيفة. واحدث للجزائريين خسائر فادحة، فوقعت فتنة في المدينة ذهب ضحيتها شعبان آغا[1]

علي آغا (1665 ـ 1671) افتتح اعماله بالمذكرات مع فرنسا لارجاع السلام، فتم الصلح سنة 1666 على تنفيذ المعاهدة السالفة (1628) ووقع سراح 1127 من اسرى الفرنسيين. واراد الانكليز ان يعوقوا اتمام هذا الصلح وعرضوا خفية على الآغا 30 سفينة فاخفقوا. استمر بعض صغار الرياس على مهاجمة السفن الفرنسية فاحتجت فرنسا وقبل احتجاجها ووقع الحكم بالاعدام على 3 منهم. تألبت اساطيل أروبا ضد سفن الجزائريين والحقت بها خسائر كبيرة فصب رجال البحر نقمتهم على علي آغا وتآمروا عليه فقتلوه.

لكن لم يتقدم احد للجلوس على كرسى الآغوية من بعده، وانتخب الرياس عدة شخصيات فامتنعت كلها من تولي هذا المنصب الذى كاد يصبح من التقاليد أن يموت صاحبه مقتولا.

عندئذ اجتمع الديوان واصحاب الحل والعقد، وقرروا الغاء نظام الآغوية وتعويضه بنظام آخر أكثر استقراراً واضمن للراحة والهدوء. فاحدثوا نظام الدايات (جمع داي ومعناه باللغة التركية الخال والزعيم، وينطق حرف الدال مفخما مثل حرف ض) فالديوان ينتخب الداي لمدة العمر. ومهمة الداي تنفيذ مقررات الديوان، وادارة المملكة حسب دستورها وتقاليدها. فالدايات كانوا ملوكا مستقلين

---

(1) في سنة 1659 انتهت الحرب الدينية في المانيا، وقد تركت هذه البلاد في حالة بؤس وخراب لامثيل لها. قال مالي: كان الفلاحون يلتجئون الى الغابات وقد فقدوا الماشية فكانوا يربطون أنفسهم في المحاريث اربعة اربعة لخدمة الارض وفي كثير من الاماكن لم يكن عددهم الضئيل يسمح لهم بهذا العمل. اما في جهة نهر الرين وقد كانت اغنى وانضر جهة بالمانيا، فان القرى التي كان يسكنها سمائة شخص اصبحت بعد الحرب وليس بها الانحو العشرين فقط. وكانت الذئاب تجوس خلال المدن نفسها، ثم ان المجاعة قد ضربت اطنابها بالبلاد عدة مرات بفظاعتها المؤلمة وخاصة سنة 1635، وذلك لأن الجنود اثناء انسحابهم كانوا يخربون البلاد تخريبا تاماً ويقتلعون الاشجار ويحرقون الكروم ويقطعون السنابل خضراء كيلا يتركوا شيئا للعدو.

استقلالا واسعا لا يتبعون الدولة العثمانية الا اسما ، ويرتبطون معها ارتباط مصالح . شأنهم معها شأن المستعمرات الحرة اليوم مع انكلترا حسب نظام «الدومنيون» وكل من ارتقى لرتبة الداي اتخذ فعلا رتبة الباشوية .

5 ـ حكم الدايات :

الحاج محمد باشا (1671 ـ 1682) كان من قدماء الرياس (رؤساء البحر) وكان عجوزاً هرما ترك الامور لصهره بابا حسن ، واسترجع الرياس سطوتهم ولم يعترفوا بالمعاهدة السالفة مع فرنسا ، فرجعت حالة الحرب معها كما كانت ـ اراد الاسبان في وهران احتلال تلمسان فهاجموها واخفقوا امامها وتتبعهم المسلمون ونصبوا الحصار على وهران وامدهم الباشا بالمدفعية وادوات الحصار . انما لم يتمكنوا من فتحها ـ سنة 1679 أعاد الباشا عقد المعاهدة الآنفة الذكر مع فرنسا ـ اراد سلطان المغرب الاقصى مولاي اسماعيل الاستيلاء على ما يليه من ارض الجزائر فهاجمها لكن قوة الاتراك كانت بالمرصاد وكانت المدافع متوفرة لديها فصدته ورجع الى المغرب واعترف بالمعاهدات السالفة ـ طالب الجزائريون فرنسا بارجاع الاسارى المسلمين الذين لديها فاعتذرت بانهم يعملون في السفن التى بالشرق ولايرجعون الا بعد رجوع تلك السفن ، فهاج الجزائريون وحملوا الديوان على اعلان الحرب ضد فرنسا وأخذ الرياس يهاجمون سفن فرنسا فغنموا منها 29 سفينة بها 300 رجل ، وقع استعبادهم . ادرك الباشا الهرم فاعتزل من نفسه الحكم واستقر بطرابلس ، وولى مكانه صهره[1]

(1) فيما بين سنتي 1670 و1675 قام أهل البادية في فرنسا بثورات عنيفة ضد الحكومة سببها الفقر وشدة الضرائب . فأخمدت تلك الثورات بعنف . وقال والي بروتانيا حيث وقعت الثورة : ان الاشجار كانت تميل الى ان تقارب الارض من ثقل الذين يشنقون عليها ! وكتبت مدام دوسفيني وكانت يومئذ في بروتانيا تصف أعمال القمع التي يقوم بها الجند فقالت : «انهم لايعرفون الا القتل والنهب وفي أحد الايام وضعوا صبيا على المشوى !»

وقال لابروير أكبر كتاب ذلك العصر يصف حالة البدو خلال القرن السابع عشر هذا الوصف البليغ : «كنت ترى بعض الوحوش الكاسرة تملأ الفيافي وهي سوداء قذرة قد احرقتها الشمس ، وكانت تنبش الارض بعنف ، وتسمع لها اصوات غليظة ، فاذا وقفت تلك الحيوانات على ساقيها تبينت لها وجوها آدمية ، وهم في الحقيقة من البشر ، كانوا يأوون اذا جن الليل الى مغاور وحشية ويقتاتون بالخبز الاسود والماء وجذور الاشجار» =

باباحسن باشا (1682 ـ 1683) قدمت عمارة فرنسية تحت امرة الاميرال دوكين لارضاخ الجزائر ، فابتدأت أعمالها برمي القنابل على شرشال (25 جويلية 1682) ثم على الجزائر 16 أوت ، وحاول الرياس الخروج لمقابلة الاسطول الفرنسي فلم ينجحوا ، واستمر رمي القنابل الى 13 سبتمبر مع محاولات صلح لم تنجح . ثم قفل دوكين راجعا لفرنسا دون ان ينال شيئا ، لكنه رجع في جوان من السنة الموالية على رأس عمارة قوية وضرب مدينة الجزائر من يوم 24 الى يوم 26 بدون انقطاع واحدث بها اضراراً كبيرة . ثم عقدت هدنة 24 ساعة ، وطلب دوكين ارجاع 550 أسير فرنسي ، وتقديم عدد من الرياس يبقون تحت يد فرنسا ضمانا . فقبل الطلب ووقع تنفيذه واستلم الاميرال الاسرى ، كما استلم عدداً من الرياس من بينهم رئيس الطائفة (القرصان) المدعو حسين ميزومورتو (معناه بالطلياني نصف ميت) وهو من قدماء قرصان الطليان اسلم بالجزائر واصبح من ذوي النفوذ العظيم . ولما طالت مذاكرات الصلح اقنع ميزومورتو الاميرال دوكين باطلاق سراحه لكي يعجل بعقد الصلح فاقتنع هذا واطلقه . لكن ميزومورتو جمع رجال الطائفة واقنعهم بوجوب محاربة فرنسا الى النهاية وعدم قبول مطالب دوكين ، ثم نادى بخلع باباحسن الراغب في الصلح وانتخب هو دايا مكانه[1]

= وقال الطبيب الكبير فرباتان : «ان الفقراء يموتون في فرنسا جماعات بؤساً واضطهادا ويأساً»

وقال الضابط دوبرى : «ان حالة الفلاحين اتعس عندنا كثيراً من حالة العبيد في تركيا» وقال فنلون اسقف كامبري : «ان فرنسا كلها ليست الا بيمارستانا كبيراً خيمت عليه الفاقة وليست له مؤونة ، وكان عدد المتسولين يجاوز المليونين (أي عشر الامة)»

ومات لويز الرابع عشر بعدما قاد امته طيلة 50 عاما نحو الفاقة والخراب ، وهو وافراد حاشيته النبلاء يتمتعون في قصور فرساي الضخمة ويلهون ويقيمون الحفلات التي لا مثيل لها في اروبا ، وحولهم جمهور من الادباء والكتاب والشعراء النابغين .

قال سان سيمون الكاتب الاكبر : «ان شعوب فرنسا قد سجدت لله شكراً عندما بلغها نبأ موت لويز الرابع عشر ، ورأت ان ذلك الموت انما هو انقاذ لها مما هي فيه .»

لكن هذا العصر رغم سيآته وآثامه قد اشتهر بمن نبغ فيه من كتاب وشعراء وفنيين ورجال علم وتأليف . ولاتزال قصور ذلك العصر واهمها قصر فرساي وما فيها من آيات وروائع فنية شاهدة بعظمة الملك وابهته المقامة على انقاض الرعية والعائشة من دمها وروحها .

(1) قامت في سنة 1678 حملة عنيفة ضد الكاثوليكية في انكلترا وسجن من اتباع هذا المذهب نحو الالفين وشنق الكثير ، وحجر دخول الرهبان الكاثوليك الى انكلترا .

الحاج حسين باشا ميزومورتو (1683 ـ 1688) بادر باطلاق النار ضد الاسطول الفرنسي ، فعاد دوكين لرمي المدينة ، واتهم الباشا قنصل فرنسا الراهب لوفاشي بالخيانة في الوساطة بين الجزائريين وفرنسا فحكم باعدامه بقذيفة مدفع. استمر رمي المدينة الى شهر أكتوبر حيث عاد دوكين الى فرنسا من غير طائل . ولم يسع فرنسا الا ارسال مندوب صحبه نائب من قبل السلطان لأجل الصلح ، فتم الاتفاق على عقد معاهدة لمدة مائة عام ، ومارضي الجزائريون بعقد الصلح الا مراعاة لنائب السلطان . ثم ارسل الباشا ابراهيم خوجه على رأس قوة لتمهيد امور تونس ، فاحتل الجزائريون العاصمة التونسية واثبتوا فيها كرسي محمد باي . ثم رجعوا للقطر الجزائري ، وذهب ابراهيم خوجه من قبل الباشا لنصب الحصار على وهران رغم المعاهدة السالفة مع فرنسا . وقعت حوادث بين الاسطولين الفرنسي والجزائري في البحر المتوسط وكل من الجانبين يلقى تبعتها على الآخر ، فارسلت فرنسا عمارة ضد الجزائر تحت إمرة الماريشال ديستري . «26 جوان 1688» وضع الاتراك بعض الفرنسيين أمام فوهة المدافع واطلقوا النار . فوضع الفرنسيس مثل ذلك العدد من الاسرى المسلمين أمام فوهة مدافعهم وأطلقوا النار انتقاما . رمى الفرنسيون 10000 قنبلة على الجزائر ودمروا الكثير منها . لكن الباشا لم يستسلم ، ورجع ديستري لفرنسا بدون نتيجة ـ استرجع الباشا جند ابراهيم خوجه من وهران واستمرت حرب القرصان عنيفة ضد فرنسا ثم ادركت هذه ان سياسة رمي القنابل لا تفيد . وعزمت على المفاوضة مع الجزائر رأسا . لكن الحاج حسين ميزومورتو آثر اعتزال الحكم على المفاوضة مع فرنسا فذهب الى استانبول واصبح فيها قبطان باشا قائد عموم الاسطول[1]

---

(1) في سنة 1685 عادت حملة جديدة من حملات التعصب الكاثوليكي في فرنسا . فالملك لويز الرابع عشر الذي أعاد للدولة بعض الراحة والسكينة . وحكم بصفة فردية مستبدة لم يسبق لها نظير ، اعلن الغاء الحرية الدانية التي سمح بها الكاردينال ريشليو . وبعد ان ارهف الحد في رجال البروتستان واضطهدهم اقنعه رجال حاشيته بان البروتستانيين في المملكة ليسوا الا بعض مئات من الناس فقط. فأمر بتحطيم كنائسهم وابعاد رهبانهم وتعميد ابنائهم رغماً عنهم . وكان رجال البلاط وكبار الكتاب امثال راسين و بوسوى ولافونتين ومدام دى سفيني ولابرويير قد حبذوا هذا العمل الدال على تعصب ممقوت . اما فوبان العالم المعماري الشهير وسان سيمون الكاتب الاكبر فقد انتقداه بشدة .

فكان البروتستاني يجبر على الرجوع للكاثوليكية وتحجر عليه الهجرة فان لم يرجع للكنيسة الرومانية=

الحاج شعبان باشا (1688 ـ 1695) أخذ يفاوض فرنسا حسب رغبتها لعقد الصلح ـ لم يعترف محمد باي بفضل الجزائريين في تنصيبه بتونس ، واراد الاستقلال عنهم . فايد الحاج شعبان احد المطالبين بعرش تونس محمد شركس وارسل جنداً لتأييده فدحر محمد باي وانتصب محمد شركس بالخضراء . لكن محمد باي أثار البلاد في وجهه فانهزم هو ومن معه من الجزائريين واستتب الأمر لمحمد باي الى حين ـ طمع مولاي اسماعيل سلطان المغرب في بسط سلطانه على غرب الجزائر فهاجم بغتة البلاد . إلا أن الجند التركي كان مستعداً للقائه فدحره عند نهر الملوية ، وانعقدت معاهدة وجدة التى اعترف فيها مولاي اسماعيل بالمعاهدات السالفة ـ أعاد الباشا بنفسه الكرة على محمد باي بتونس فدحر جنده بناحية الكاف ، ونصب بتونس محمد شركس بايا تابعاً لباشا الجزائر . وسبب هذه الفتن بين اتراك تونس والجزائر هو أن الجزائريين كانوا يدعون أن بايات تونس يجب أن يكونوا تابعين لمركز الجزائر ، بينما يدعي التونسيون أن علاقتهم رأساً مع الباب العالي وانهم متساوون في ذلك مع الجزائريين[1] أعاد محمد باي مهاجمة محمد شركس ودحره عند القيروان ثم دخل تونس وارسل وفداً يعرض

= او حاول الهروب من فرنسا فانه يعاقب بالاشغال الشاقة في السفن حيث ينتظره الموت السريع ، ولما كثرت الهجرة خفية اعلن الملك عام 1689 ان كل مهاجر يحكم عليه بالموت . لكن رجال البروتستان ضحوا بالأهل والمال والوطن والروح وغادروا فرنسا زرافات ووحدانا حتى بلغ عدد المهاجرين مائتي الف شخص كانوا علية القوم ورجال العلم والادب والصناعة فعمروا انكلترا والمانيا وكانوا نواة مدينة برلين عاصمة المانيا . وخربت عدة جهات من فرنسا كجهات توروليون وبلغ حماس البروتستان في كل اروبا مبلغاً عظيما ضد فرنسا .

(1) في سنة 1688 دخل ملك هولاندا غليوم دورابع حفيد ملك الانكليز شارل الاول على رأس جند عنيد الى انكلترا بدعوة من أهلها لحماية المذهب البروتستاني وابعاد سلالة ستوار المالكة . ففر الملك جاك وبايع البرلمان غليوم الفاتح ملكا على انكلترا . فبادر بالمصادقة على امر «اعلان الحقوق» وهو اول دستور حر عالمي . وأهم مواده : ان الملك لا يستطيع أن يمنع تنفيذ القانون ولا أن يسن ضريبة جديدة ولا يجند جندا في وقت السلام الابعد مصادقة مجلس الأمة ـ الانتخابات لمجلس الامة تكون حرة وكذلك تكون مناقشاته حرة ـ يجتمع مجلس الأمة باستمرار ـ الحرية لجميع الرعايا في تقديم الشكايات الى الملك ـ حرية المذاهب في الدين البروتستاني خاصة .

فكانت سنة 1688 هي السنة التي ظهرت فيها أول حكومة شعبية دستورية في أروبا ، وفي ظل هذا النظام الشعبي تألق نجم الانكليز الى يومنا هذا . وكانت الثورة الانكليزية بمبادئها الحرة قد سبقت بنحو مائة عام الثورة الفرنسية الكبرى واعلان حقوق الانسان .

خضوعه على الحاج شعبان باشا فرفض هذا بكل كبرياء وتوعده بالسير إليه فثار ضده الجند وسجنه.

الحاج احمد باشا (1695 ـ 1698) لم يقع في ايامه ما يستحق الذكر سوى وباء اتلف كثيراً من الناس في الجزائر.

حسن باشا الشاوش (1698 ـ 1700) اتفق مراد باي تونس مع مولاي اسماعيل سلطان المغرب على محق حكومته. وابتدأ محمد باي العمل فهاجم ناحية قسنطينة وقهر فيها الباي علي خوجة، وبلغت هذه الانباء الجزائر فاستقال الداي من خطته.

الحاج مصطفى باشا (1700 ـ 1705) ابتدأ العمل بنجدة قسنطينة ضد التوانسة وسافر بنفسه على رأس قوة مهمة، فالتقى الجمعان المسلمان عند جوامع العلمة «سات ازبو الآن 30 ميلا شرق سطيف» فانهزم الجند التونسي وارتد فلم يجتمع إلا في الكاف، ولم يتتبع الباشا فلوله، فمهد امر قسنطينة ونصب بها أحمد بن فرحات بايا مكان علي خوجة الذي استشهد اثناء الحصار. وبعد ذلك أراد السلطان أن يعيد الصلح بين الجارين فامتنع مراد باي تونس من قبوله ـ هاجم مولاي اسماعيل حسب الاتفاق مع تونس بلاد الغرب الجزائري وتوغل فيها، فلاقاه الحاج مصطفى باشا عند وادي الجديوية «من فروع الشلف» ودحره واستحر القتل في المغاربة ورجع مصطفى للجزائر منصوراً، وعاد مولاي اسماعيل للمغرب ـ أولى الباشا بايا على ناحية الغرب مصطفى بوشلاغم فنقل مركز البايليك من مازونة الى معسكر استعداداً لمهاجمة وهران ـ استعد مراد باي تونس لمهاجمة الجزائر من جديد فثار عليه الجند وقتله ابراهيم الشريف الذي اصبح من بعد صاحب السلطان المطلق بتونس. وسمي ابراهيم الشريف باشا، باي، داي ـ عام 1703 أعاد مولاي اسماعيل الكرة على الغرب الجزائري واندحر من جديد عند ارزيو في غابة هنالك، ورجع حزيناً الى سلطنته ـ ضيق مصطفى بوشلاغم الحصار على الاسبانيين بوهران.

سار الحاج مصطفى لقهر ابراهيم الشريف بتونس الذي كان يستعد لمهاجمة الشرق الجزائري، وثار جند ابراهيم ضده واسره الجزائريون. فبايع التونسيون

احد فضلاء واعيان الاتراك حسين بن علي وهو مؤسس العائلة الحسينية بتونس. ورجع حسين بن علي لتونس وحصنها فلم يستطع الحاج مصطفى باشا احتلالها وقفل للجزائر فاعلن الديوان عزله.

حسين خوجة باشا (1705 ـ 1707) ابتدأ أعماله باطلاق ابراهيم الشريف وارساله لتونس لعله يسترجع ملكه معترفا بسيادة الجزائر، فنزل الارض التونسية وتلقاه جند حسين بن علي وقضى عليه عند غار الملح. وخابت عملية حسين خوجة فاعتزل الحكم من عند نفسه(1).

محمد بقطاش باشا (1707 ـ 1710) كان من أصل عربي ومن كبار العلماء والادباء وجه كل عنايته لاسترجاع وهران واعانة بوشلاغم على ذلك فارسل صهره وزان حسان على رأس قوة كبيرة نصبت الحصار على ناحية وهران واحتلت عنوة كل الحصون المحيطة بالمدينة ففر والي وهران الاسباني تاركا الجند بلا قائد! فهاجمها وزان حسان بكل قوته واحتلها أخيراً بعد ان دافع الاسبان عنها دفاعا حاراً. وبعد انقاذ وهران وجه المسلمون قواهم للمرسى الكبير فحاصروه براً وبحراً مدة ثلاثة أشهر، وقهروا المقاومة الاسبانية واحتلوا المركز عنوة ولم يبق في الساحل الغربي الجزائري من مركز للاسبان، ونقل مصطفى بوشلاغم مركز البايليك الغربي الى مدينة وهران ورجع وزان حسان الى الجزائر يقود الفين من اسارى الاسبان

---

(1) في سنة 1707 مات بمدينة دهلي السلطان اورنج زيب امبراطور الهند وكان أعظم سلاطين المغول بتلك البلاد. وبلغت دهلي في ايامه عظمة لا تضاهيها فيها مدينة أخرى. وصار عدد سكانها نحو المليونين من الناس. وفيها مساجد وقصور فريدة عصرها.

وبعد موته أخذ الفرنسيون والانكليز يثبتون اقدامهم في بلاد الهند: ونجح الفرنسيون في استعمار أكبر اقسام المملكة. كما كانوا من جهة أخرى قد وطدوا اقدامهم بمستعمرة كندا في شمال أميركا منذ مائة عام تقريبا

ولم تلبث الحرب ان استعرت بين الفرنسيين والانكليز. وبعد مقاتلات عديدة نجح الانكليز في ابعاد الفرنسيين عن الهند واستأثروا بها سنة 1761.

وفي أميركا خسر الفرنسيون في تلك الآونة بلاد الكندا كلها. وعقد الفرنسيون في 10 فيفري 1763 معاهدة باريس التي اعترفوا فيها بتسليم مستعمراتهم في الهند وكندا لانكلترا. وكان ذلك أيام لويس الخامس عشر ومدام دى بومبادور وقال احد الوزراء برنيس يبين سبب هذه النكبة: «ليست لنا حكومة ولا ادارة ولا جند».

وغنائم عظيمة . ووقعت في الجزائر افراح عامة شارك فيها كل الشعب ، ثم ارسل محمد بقطاش كبار الاسبان الى السلطان العثماني ـ تآمر عليه شقي يدعى دالى ابراهيم مع بعض الجند واغتالوه واستولى دالى ابراهيم متغلبا مدة شهر مضطرباً بالجزائر الى ان قتله احد الجنود[1]

علي باشا شاوش (1710 - 1718) اخمد الفتنة واسقط الرؤوس المهيجة ثم ارادت استانبول ارجاع نفوذها الفعلي في الجزائر فارسل السلطان باشا من قبله ليمثل السلطنة الى جانب الداي والديوان . لكن علي شاوش رفض قبول الباشا ، وفتح مفاوضات مع الباب العالي قائلا : ان الداي يمثل السلطان والسلطة الجزائرية معا . فاقتنع السلطان بنظرية الديوان ، واصبح الداي هو الباشا واستقلت الجزائر فعلا عن تركيا كاستقلال الدومنيون كما اسلفنا ـ 1715[2] حدث الزلزال بمدينة الجزائر ودام من 3 الى 26 فبفري ، وتحطمت أكثر حارات المدينة . توفي الباشا في مفتتح سنة 1718 .

محمد بن حسن باشا (1718 ـ 1724) قضى ايامه في تمهيد الراحة ، وخيب محاولات الباب العالي في التدخل بامور الجزائر . أراد القضاء على نفوذ طائفة الرياس فتآمروا عليه وقتلوه[2]

---

(1) في سنة 1707 توحدت انكلترا بانضمام مملكتي الانكليز وايكوسيا .

(2) في سنة 1714 انتهت الحرب الاروبية الكبرى التى اثارها لويس الرابع عشر باعانة الانكليز ضد اسبانيا المضعضعة وضد لويس امبراطور المانيا وبلاد هولاندا وغيرها . ولقد دامت حروب الملك لويس الرابع عشر من سنة 1668 الى سنة 1714 . وكانت تنقسم الى 4 حروب بين الواحدة والأخرى فترة تتراوح بين ثلاثة وعشرة اعوام . وانتهت تلك الحروب بان اقتنع ملك اسبانيا ببلاده ومستعمراتها . واستلم امبراطور المانيا هولاندا وبلجيكا وقطعا من ايطاليا . ونالت انكلترا الناشئة جبل طارق وجزيرة مينورقة والارض الجديدة بامبركا امام كندا سلمتها لها فرنسا . وبذلك أخذ نجم الانكليز في التألق والصعود الى اليوم . وكانت فرنسا بفضل سياسة لويز الرابع عشر هي الخاسرة في هذه المحاربات الطويلة حيث ضعفت قواها وفني رجالها ونضبت اموالها ولم توسع حدودها بينما قويت الدول المجاورة لها .

(3) حوالي سنة 1715 أخذ بطرس الاكبر امبراطور روسيا ينظم دولته نظاما أروبيا ، فامر بضرب اتاوة على اللحى الطويلة والاثواب الشرقية الفضفاضة ثم أمر بحلق اللحى وأجبر الناس على ارتداء الملابس الاروبية كما أمر بنزع الحجاب عن النساء وامر باختلاطهن مع الرجال . ومن جهة الاقتصاد امر بانشاء المعامل والمصانع وحفر الترع والقنوات ، وشرع للدولة نظما محكمة تسير عليها وبث الجواسيس والارصاد في كل جهات المملكة=

كرد عبدى باشا (1724 ـ 1732) كانت قوته الشخصية ضامنة لبقاء الامن والسلام بالبلاد . التجأ اليه علي باشا التونسي عندما أخفق في ثورته فاجاره وابقاه عنده ووعد بعدم اطلاقه مقابل ان حسين باي تونس يدفع لخزينة الجزائر 10000 سكة سنويا «نحو 435000 فرنك من نقود اليوم» . أعاد الباب العالي الكرة وارسل باشا من قبل السلطان ليمثله بالبلاد فرفض عبدي باشا قبوله كما رفض الداي الاسبق فرجع ممثل السلطان من حيث أتى ـ جهز فليب الخامس حملة عتيدة لاسترجاع وهران : 525 شراع و30000 جندي فنزلت يوم 29 جوان 1732 في عين الترك . وبعد مقاتلة عنيفة مع مصطفى بوشلاغم تمكن الاسبان من استرجاع وهران واحتلال المرسى الكبير وانسحب بوشلاغم الى مستغانم ليعيد الكرة على وهران . وعندما بلغت هذه الانباء مدينة الجزائر بلغ من حزن عبدي باشا انه امتنع عن الاكل والشرب الى ان قضى نحبه جوعا .[1]

ابراهيم باشا (1732 ـ 1745) ارسل نجدة قوية الى مصطفى بوشلاغم ليسترجع وهران ويعوق تقدم الاسبان ـ ثارت في تونس الفتنة الملعونة بين انصار

=للتخلص بسرعة من كل معارض . ثم شرع في ابتناء مدينة سانت بطرسبورغ وأجبر جميع اصحاب الاموال على بناء المنازل بها لتكون عاصمة فخمة للملك . وقد استمرت عاصمة الى سنة 1917 واستعمل بطرس الاكبر جميع وسائل الارهاب والتعذيب والقتل الفظيع لنجاح خططه ! ورغم كثرة ضحاياه ووفرة الآثام التي استعملها فانه قد نجح في تكوين دولة روسيا التي أصبحت منذ تلك الساعة ذات مقام أول في عالم الحرب والسياسة باروبا .

(1) بلغ لويز الخامس عشر سن الرشد في اوائل 1723 وسار في فرنسا سيرة ابيه لويز الرابع عشر . وبالغ في التظاهر بالتهتك والدعارة . فكانت خليلته الفتانة مدام دى بومبادور هي الحاكمة الحقيقية في فرنسا مدة تزيد عن العشرين سنة . وكانت امور الولاية والعزل والترقية ترجع اليها وحدها ، وقد وصفه وزيره شوازول بقوله «هو رجل ليست له نفس وليس له عقل يحب الشر كما يحب الصبيان تعذيب العصافير ، وفيه جميع عيوب ارذل النفوس واخسها .»

وقد كان الملك وهو ينحدر في هاوية غوايته يقول لمن حوله ممن يتجرأ على نصحه : «من بعدى فليكن الطوفان !»

وقد كان الطوفان فعلا بعده ، وهو الثورة الكبرى التي لم تبق ولم تذر.

وفي هذا العصر نشأ فولتير وروسو والرجال الذين هيأوا الثورة الفرنسية ولقنوا الشعب مبادئها بما كانوا ينشرونه في دائرة المعارف (الانسكلوبيدى) .

حسين باي وعلي باشا وانقسمت القبائل التونسية بين باشي وحسيني ولم يدفع
حسين لخزينة الجزائر ما وعد بدفعه ، فاطلق الجزائريون علي باشا وأيدوه بجند
لمقاتلة حسين فانتصر علي باشا والجزائريون على حسين باي بسمنجة وانهزم الى زغوان .
ثم الى القيروان . ودخل علي باشا تونس فانتصب بها معترفا بالتبعية للجزائر ،
متعهداً بدفع نحو 350000 فرنك سنويا لخزينة الجزائر مع كمية من القمح -
توفي سنة 1736 باي وهران المجاهد مصطفى بوشلاغم ، وباي قسنطينة منذ
32 عاما : بوكمية - ثار خلاف جسيم بين فرنسا والجزائر ، لأن الفرنسيين اساؤوا
معاملة سفن جزائرية فامر ابراهيم باشا بسجن جميع الفرنسيين ومعهم القنصل
بالجزائر ، وارسلت فرنسا في الحين نائبا استرضى الديوان ودفع له تعويضا ،
ثم تنازل الباشا لحفيده :

ابراهيم باشا كوجوك (1745 ـ 1748) ثار في تلمسان القائد رجم البجاوي
وطرد الحامية التركية منها واستقل بها ، ومات الباشا فجأة فانتخب الديوان بعده :

محمد بكير باشا (1748 ـ 1754) مهد السلام مع الدول الاروبية في الخارج
ومع كل الجهات الجزائرية في الداخل - اسر القرصان قائد سفينة فرنسية اتهموه
بمهاجمة السفن الجزائرية فصدر الامر بجلده ومات من أثر ذلك . فاحتجت فرنسا
واستدعت قنصلها . وظن أحد الجنود المدعو وزان علي بأن موت الباشا ينجي
الجزائريين من محاربة فرنسا فاغتاله ، وقتل القاتل حالا[1]

علي باشا نقسيس (1754 ـ 1766) انتخب دايا فابتدأ أعماله بمحاولة
اخضاع تونس وقهر علي باشا المتولي بها وأخذ يتجهز لذلك ، وفي تلك الاثناء

---

(1) كتب سيد كتاب فرنسا وفلاسفتها مونتسكيو سنة 1750 يصف المجتمع الانكليزي اثر رحلته ببلاد الانكليز فقال : اصبح الدين عند رجال الطبقة العليا مسخرة وهزؤاً ، وأصبح السكر والعربدة مرضاً قوميا ، اما الشعب الذي انغمس في الميسر والخنا فقد كادت فكرة الوطنية تموت فيه .

لكن الوزير الاكبر الانكليزي وليم بيت تمكن بعد جهد وعناء من أنقاذ امته وارجاعها الى سالف عزها .

ونشأت بعدئذ عدة صحف انكليزية كبرى أهمها جريدة التايمس التي لاتزال الى يومنا هذا من أهم صحف الدنيا . واخذت بلاد الانكليز تتجه نحو الصناعة واشتهرت بمناسج القطن التي اصبحت انكلترا من اجلها تسيطر على القسم الاكبر من بلاد الدنيا .

وقعت بالعاصمة الجزائرية زلازل متوالية مدة شهرين «من أول نوفمبر الى آخر ديسمبر عام 55» . عام 56 احتل الجزائريون تونس بعد حصارها واعدموا علي باشا ، ونصبوا على العرش الحسيني محمد باي بن حسين وما لبث هذا أن وقع في خلاف مع باي قسنطينة . فاعاد الجزائريون احتلال تونس والتجأ محمد باي لباردو ، فجهز علي شقيق محمد باي جنداً من اعراب المملكة التونسية وفك حصار اخيه وأخرج الجزائريين من تونس بعد ان امضى محمد باي وثيقة التزم فيها بدفع الاداء السنوي للجزائر .

أعاد احتلال تلمسان عنوة واعدم القائد رجم البجا وي الذى ثار فيها وحكمها نحو العشرين عاما .

محمد عثمان باشا (1766 ـ 1791) هو صاحب الترجمة في هذا الكتاب انظر في القسم الثاني تفصيل ولايته وغزواته مع الاسبان والدنمارك ، ووصف الادارة التركية وغير ذلك . وفي القسم الثالث بقية حوادث ولايته التي لم يذكرها نقيب الاشراف في ترجمته[1]

---

(1) سنة 1774 توسطت النمسا بين تركيا وروسيا فانعقد صلح قاينارجي بينهما حيث أرجعت روسيا لتركيا اغلب البلاد التي انتزعتها منها ما عدا بلاد القريم التي اصبحت مستقلة . وتعهد السلطان بحماية ورعاية المسيحيين في بلاده . فكانت روسيا نصبت نفسها حامية للمسيحيين ببلاد البلقان وأخذ نفوذها يعظم هنالك حتى تمكنت فيما بعد من نزع السلطة التركية عن البلاد البلقانية .

أما النمسا فقد أخذت مقاطعة بيكوفين الرومانية جزاء على توسطها في عقد الصلح .

وفي هذه السنة (1774) وقعت الثورة الكبرى في امريكا ضد السلطة الانكليزية التي اثقلت كاهل الشعب بالضرائب الفادحة فاعلن الاميركيون اولا سياسة عدم الشراء من انكلترا ثم اعلن جورج واشنطون العظيم استقلال أميركا يوم 4 جويلية 1776 واعلن مع الاستقلال حقوق الانسان : المساواة التامة . الامة مصدر السلطات . حرية القول والنشر والمؤسسات وغير ذلك من المبادىء التي قررتها من بعد عشرة أعوام الثورة الفرنسية الكبرى .

وجرت حوادث الثورة بشدة وقاومتها انكلترا بقسوة وعنف . واعان الفرنسيون الثوار اعانة محسوسة وانتهى الامر بعقد معاهدة فرساي التي اعترفت فيها انكلترا باستقلال الولايات المتحدة الاميركية . وأرجعت فيها لفرنسا بلاد السنقال وجزر الانتيل . وكانت ثورة أميركا من أكبر العوامل على ايقاد نار الثورة الفرنسية الكبرى لأن الفرنسيين الذين شاركوا في ثورة أميركا رجعوا لفرنسا يحملون إعلان حقوق الانسان ونشروا ذلك بوطنهم نشراً ذريعا فتشبعت به الافكار المتعطشة للحرية .

حسان باشا (1791 ـ 1798) كان من نتيجة الصلح الذى عقده سلفه اثر انتصاره العظيم على الاسبان ان المسلمين يحتلون وهران وتقيم اسبانيا مركزاً تجاريا في المرسى الكبير مقابل دفع نحو 600000 فرنك من نقود اليوم سنوياً لخزينة الدولة فاحتل محمد باي الغرب وهران واعطاه الباشا لقب «محمد الكبير» وقضى بقية حياته في تعمير وهران وترميمها ـ اقرض حسان باشا حكومة الديركتوار الثورية بفرنسا قرضا قيمته نصف مليون فرنك بدون فائض «مليونين ونصف من نقود اليوم» ـ اخلى الاتراك وجدة على حدود المغرب الاقصى ـ وقع مقتل صالح باي قسنطينة حسبما يرد تفصيله في القسم الثاني «25 ديسمبر 1797»[1][2]

---

(1) سنة 1786 مات فريدريك الاكبر من عائلة هوهنزلرن ، وقد بلغت المانيا في عهده أوج رفعتها واتسعت دائرتها وتوحدت ادارتها واصبحت من اعظم دول اوروبا قوة ومنعة ونظاما . وحوالي هذه السنة كانت امبراطورية النمسا قد توسعت في بلاد المجر وايطاليا وضمت اليها شعوبا كثيرة ، وكانت امبراطورية النمسا مكونة من اتحاد دولي ، لكل دولة عاصمتها الخاصة ونظامها والكل يجتمعون في العاصمة «فينا» تحت سلطة الامبراطور.

وكانت الامبراطورة العظمى مارى تيريز قد ادخلت على الدولة اصلاحات كبرى أهمها ديوان المحاسبات ووحدت القوانين والقضاء.

وفي سنة 1781 أعلن الامبراطور يوسف الثاني الغاء العمل المجاني الذى كان يقوم به الشعب للنبلاء والاشراف لأنه «مخالف لكرامة ولحرية الانسانية» وسن قوانين تجعل أهل البادية يملكون الارض التي يعيشون فيها ، واخيراً اعلن مساواة سائر الرعايا امام القانون وامام القضاء ، فكانت هذه الاصلاحات الهائلة سابقة للثورة الفرنسية وسابقتها بثمانية اعوام.

(2) سنة 1789 ثارت هولاندا وبلجيكا ضد النمسا واعلنتا استقلالهما.

وفي هاته السنة (1789) اندلع في فرنسا لهيب الثورة الكبرى ، وقد كانت حالة فرنسا عندئذ اسوأ مايكون نلخصها عن مالي فيما يلي : «كان الفلاح في فقر مدقع ، لايلبس صيفاً وشتاءاً الا رداء من الكتان ويذهب لأعماله الفلاحية عاري القدمين ، وكان قذراً الى درجة ان كاتبا انكليزيا وصفه بانه مدخنة متنقلة . وكان منهم القليل جدا ممن يأكل اللحم حتى في ايام الاعياد والحفلات»

أما المجاعات فقد كانت مستمرة وخاصة مجاعة عام 1739 التى كان الناس يتساقطون فيها امواتاً كالذباب ، اما الحالة العامة فقد كانت مستمرة على ما وصفناه في الصفحات السالفة . وكان كبار الكتاب امثال روسو وفولتير ومونتسكيو ورجال العلمة قد تمكنوا من ايقاظ الشعب واثارة عواطفه ضد المعاملة الحيوانية التى يلقاها من ولاة اموره وخاصة الاشراف والبلاط الملوكي.

واستحكم الخلاف بين الملك لويز السادس عشر والمجلس العمومي حول السياسة المالية . وانفجر ينبوع الثورة الكبرى وكانت حوادثها الاساسية كمايلي :
=

= يوم 5 ماية 1789 اجتمع المجلس العمومي وكان اعضاؤه متأثرين بالافكار الحرة الحديثة والقيسين على الذل والعبودية التى يعيش فيها الشعب الفرنسي تحت سيطرة الملك المستبد والنبلاء ورجال الدين . فاقسم ممثلو الشعب منهم يمين التضحية واطلقوا على أنفسهم اسم الجمعية التأسيسية لسن دستور لفرنسا.

تهيج الشعب فهاجم يوم 14 جويلية من تلك السنة قلعة الباستيل وقتل حراسها وهدمها ، وكان نصراً شعبياً هائلا ضد السلطة الملوكية.

ويوم 4 أوت اعلنت الجمعية التأسيسية الغاء حقوق الاشراف والنبلاء ونشرت اعلان حقوق الانسان . ثم سنت دستور فرنسا بصفة ملكية مقيدة واضطر الملك لقبول ذلك.

اهم ماجاء باعلان حقوق الانسان :

1 ـ يولد الناس ويعيشون متساوين مساواة تامة

2 ـ غاية كل جمعية بشرية هي حفظ حقوق الانسان الطبيعية : الحرية والملكية والامن ومقاومة الظلم.

3 ـ الأمة مصدر السلطات جميعاً فلا يحق لإنسان ولا لهيأة أن تحكم أن لم تكن سلطتهما مستمدة من الامة.

4 ـ الحرية هي ان يقوم الانسان بكل عمل لايضر بغيره . فلا تحد حرية الانسان الا حرية غيره . والقانون وحده هو الذي يحدد الحريات ويحميها.

5 ـ لايمنع القانون الا الاعمال التى تضر بالمجتمع . وكل شيء لا يحجره القانون لايعتبر ممنوعا ولا يجبر أنسان على عمل شيء لم يسنه القانون.

6 ـ القانون هو عبارة عن رغبة المجتمع قاطبة ولجميع افراد الأمة أن يشاركوا بصفة مباشرة او بواسطة نوابهم في سن القوانين . والقوانين تنفذ على سائر الناس بدون ميز سواء كانت للحماية أو للعقاب.

وسائر الناس متساوون كذلك في الاحراز على الوظائف والمناصب العامة غير مشترط فيهم الا الكفاءة والاستقامة.

7 ـ لا يمكن أن يلقى القبض على انسان أو يسجن أو يتهم الا بالطريقة التى نص عليها القانون . وكل معتد على القانون يعاقب.

8 ـ لايسن القانون عقابا الا على قدر اللزوم ولا يعاقب انسان الاحسب نصوص القوانين المعمول بها.

9 ـ يعتبر السجين بريئا الى ان تثبت ادانته ويحكم عليه ، ويمنع منعاً تاما استعمال العنف معه.

10 لايمكن ان يقع التعرض لانسان من اجل افكاره ولوكانت دينية على شرط ان استعمال هذه الحرية لايحدث اضطرابا في الامن العام حسب القانون.

11 ـ ان حرية تبادل الاراء والافكار من اقدس حقوق الانسان فلكل وطني أن يقول وأن يكتب وأن يطبع ما يشاء ولكنه مسؤول عن الافراط في استعمال هذه الحرية حسب القانون.

12 ـ لحماية القانون يلزم ايجاد قوة ، انما هذه القوة تكون في خدمة المجموع لا في خدمة الافراد الذين يوكل أمرها اليهم.
=

= 13 ـ للقيام بأمر القوات العامة تجب نفقات ادارية ، فالوطنيون يشاركون في هذه النفقات بغاية التساوي كل حسب مقدرته

14 ـ لسائر الوطنيين ان يراقبوا بانفسهم وبواسطة نوابهم طريقة صرف الاموال العمومية ، وهم الذين يعينون مقدار ومدى هذه النفقات .

15 ـ للمجتمع الحق في محاسبة كل موظف عمومي عن أعمال ادارته .

16 ـ كل هيئة ليست لها ضمانات قانونية ولا تتمتع بافتراق السلط (التشريع والتنفيذ) فهي هيأة لادستورلها .

17 ـ الملكية حق مقدس لايجب أن يحرم منه انسان الا اذا كان ذلك للمصلحة العامة حسبما يتبين قانونيا ، فلا تنزع الملكية الا بعد تعويض عادل مناسب»

ويوم 30 سبتامبر 1791 انحلت الجمعية التأسيسية فخلفها المجلس التشريعي واخذ النبلاء والاشراف يهاجرون البلاد ، وساد الخلاف بين الملك والمجلس التشريعي .

يوم 20 أوت 1792 حاول الملك الفرار لجهة الماليا كي يحارب امته ومعه الاشراف وملوك اروبا الذين هالتهم فداحة الاصلاحات الشعبية في فرنسا . لكن الشعب قبض على الملك وسجنه ، وعندئذ أعلنت الجمهورية في البلاد .

هاجم الالمانيون والنمساويون فرنسا بدعوى حماية الملوكية فهزمتهم جنود الثورة لكن الفوضى كانت قد ضربت اطنابها بفرنسا وخشي الجمهوريون ان يفلت من ايديهم الحكم الشعبي . فسقطت حكومة الجيرونديين وهم رجال الاعتدال وتشكلت الحكومة المتطرفة المستبدة ، وهي حكومة الارهاب التى كان يرأسها مارا وروبسبير واستمرت هذه الحكومة الجهنمية تفتك بالفرنسيين فتكا ذريعاً من 31 ماية 1793 الى 27 جويلية 1794 واصدرت قانون المشبوهين الذى يخولها الحكم بالاعدام على كل من لم تبد منه ظواهر الاخلاص التام للجمهورية فارتكبت في باريس وكل جهات فرنسا مذابح حقيقية ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الابرياء واكثرهم من رجال فرنسا النابهين . ومن مؤسسي الثورة امثال : دانتون وديمولان واضرابهما واصبح بعض اوباش الناس يتحكمون في رقاب الامة فيجمعون الآلاف من الناس ويعدمونهم دفعة واحدة برمي المدافع (كما وقع في مدينة ليون) .

واخيراً حاول روبسبير ان ينقلب حتى على اعضاء المجلس الذى رفعه ، فدبر بعض العقلاء مكيدة ضده واعلن المجلس اسقاطه ومحاكمته فاعدم ومعه انصاره الاشقياء أمثال سانجوست وكوتون .

ثم أتجهت انظار الجمهورية للاعتدال وتشكل مجلس المديرية ، وكان على رأسه الجنرال بونابارت وكانت اروبا لاتزال متألبة على فرنسا ، فحاربت الجمهورية المانيا وايطاليا وانتصرت انتصاراً عظيما ، ثم احتل بونابارت مصر عام 1798 لكن حكومة المديرية كانت قد اخفقت في سياستها الداخلية وازدادت حالة فرنسا سوءاً وشقاء واضطرابا ، فعاد بونابارت من مصر ، ونظر اليه مواطنوه نظرهم الى منقذ نظراً لانتصاراته الحربية فاحدث انقلاب سنة 1799 ، واتخذ لقب قنصل أول واستبد بالامر ثم اصبح في 2 أوت 1802 قنصلا لمدة الحياة ، وصارت له سلطة ملك تام الارادة .

=

مصطفى باشا (1798 ـ 1805) وهو من أشهر دايات الجزائر ، وله ناحية تدعى باسمه الى اليوم في العاصمة الجزائرية حيث كان قصره وهو مقر بعثة مسيحية اليوم ـ أطلق بونابارت بعد استيلائه على مالطة الاسرى المسلمين الذين بها ، وأطلق الجزايريين اسرى مالطة ـ هاجم بونابارت مصر فاعلن الباب العالي الحرب على فرنسا وأمر البلاد التابعة لتركيا ان تعلن الحرب أيضا . أما تونس فعصت الأمر ولم تعلن الحرب محافظة على ولاء فرنسا . وأما مصطفى باشا فقد أعلنها والقى الفرنسيين مع قنصلهم في السجن وخرب مركز فرنسا التجاري واسر به 98 عاملا ـ نزع الشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية بعين ماضي الى العصيان . فهاجمه باي الغرب مصطفى وفر الشيخ أحمد التيجاني الى المغرب الاقصى ، ودفع أهل عين ماضي غرامة قدرها 17 الف بوجو «نحو 150 ألف فرنك من نقود اليوم» ـ نشطت أعمال الغزو في البحر ضد سفن فرنسا . واشتهر الرايس حميدو

= واخيراً قام بالانقلاب النهائي يوم 18 ماي 1804 واصبح امبراطوراً وطرد نواب الشعب بقوة السلاح . وارجع عهد لويس الرابع عشر الذى كان يقول : الدولة هي أنا . ثم كانت حياة فرنسا يومئذ سلسلة من الحروب الخارجية التي لانهاية لها . فتمكن نابوليون من فتح ايطاليا والمانيا واغلب النمسا ووصل تحت جدران موسكوثم انسحب وكانت انكلترا وراءه اينما حل وارتحل . وجند فرنسا يفنى في مختلف ميادين القتال ، ومال فرنسا ينصب الى ان دارت الدائرة على نابوليون اثر معركة واترلو فاستسلم للانكليز الذين نفوه الى جزيرة القديسة هيلانة حيث مات . وترك فرنسا اضعف واقل عدداً ومنعة وأصغر مساحة مما اخذها وذلك سنة 1814 . وخضعت فرنسا من جديد لنفوذ ملوك بوربون الذين فرضتهم عليها دول اروبا . فاستولى لويس الثامن عشر على زمام فرنسا . واوقعت حوادث الارهاب الابيض التي قام بها «الملوكيون أكثر من الملك» فاتخنوا في الجمهوريين ثم استولى شارل العاشر سنة 1824 فاراد ارجاع الاستبداد العتيق ومحق كل حريات الشعب واراد اتقاء الثورة فقام بعملية احتلال الجزائر لكن ذلك لم يغن عنه شيئاً وقامت الثورة ضده واسقطته سنة 1830 .

سنة 1793 ثار الوطنيون في بولونيا ثورة عنيفة ضد الالمان والروس والنمساويين الذين اقتسموا بلادهم سنة 1772 فحطم الروسيون تلك الثورة وقتلوا في فرسوفيا مايزيد عن 12000 من البولونيين وتم اقتسام بولونيا النهائي سنة 1795 بين الدول الثلاثة . ودام ذلك الاقتسام الى الحرب الكبرى التى أعادت بولونيا لما كانت عليه .

أما حالة بولونيا فقد كانت في القرن الثامن عشر اتعس حالة في اروبا . فيها طبقة من الاشراف تتمتع بسائر الحقوق ، وطبقة الشعب التى عليها وحدها دفع الضرائب وليس لها اي حق . وعليها ان تقوم باي عمل يطلبه الاشراف والنبلاء فكان رجال الشعب يقاسون آلام الجوع والعري والجهل المطبق ، وكانت بولونيا جمهورية يتولى امرها ملك منتخب ولا ينتخب الملك الا الاشراف انما لم يكن للملك أي حق من حقوق الملك .

شهرة واسعة ـ وقع الصلح بين تركيا وفرنسا وانسحبت هذه من مصر. لكن استمرت السفن الجزائرية على اعمالها فاحتج نابليون وطالب بارجاع كل ما غنمه الجزائريون فاجاب الباشا مطلبه ـ نال بوخريص وبوشناق اليهوديان نفوذاً واسعاً وامتدت اعمالهما المالية ، ووقع خلاف بين الجزائر وانكلترا بسببهما ـ ثار ببلاد القبائل مرابط يدعى الحاج محمد بن الاحرش ودحر جند باي قسنطينة ، واراد الرايس حميدو الاستيلاء على جيجل واخراج المرابط منها فلم يستطع ـ كثرت أعمال الاحتكار في القمح والحبوب من طرف بوخريص وبوشناق وارتفعت الاسعار فوقعت فتنة ضد الباشا وضد نفوذ اليهود ـ ثار في ناحية وهران مرابط آخر يدعى الشيخ الشريف الدرقاوي وانهزم امامه باي الغرب واشتد الهيجان ضد نفوذ اليهود فقتل أحد الجنود بوشناق عند خروجه من قصر الولاية . وبعد خمسة أيام اشتدت الفتنه وحاول الباشا الفرار فلم يستطع وقتله الجند .

احمد باشا (1805 ـ 1808) أولى على وهران محمد المكلش ، بكر محمد باي الكبير على ان يقضي على الثورة ويرجع الراحة للبلاد ـ دحر الدرقاويين فالتجأوا الى ناحية فليتة «بين وادى مينة ووادى جديوية» ثم سار اليهم ودحرهم هنالك واخضعهم ـ حارب الاتراك وآل المقراني ببلاد القبائل المرابط ابن دالي ودحروه ولم يبق له ذكر ـ اراد حمودة باشا باي تونس التخلص من تبعية الجزائريين مغتنما لفرصة هذا الاضطراب وجهز جنده التونسي استعداداً للحوادث ـ استمرت أعمال القرصنة الجزائرية ضد الفرنسيين لأنهم اصطلحوا مع الباب العالي ولم يعقدوا صلحاً خاصاً مع الجزائر . فامر نابليون باسر كل الجزائريين المقيمين بفرنسا وضبط املاكهم ، فاجاب احمد باشا على ذلك بان سلم للانكليز المركز التجاري الذى كان لفرنسا بالقالة ـ تولى حسين بن صالح باي أمر قسنطينة وابتدأ حمودة باشا التونسي هجومه وحاصر قسنطينة . لكن حسين باي هرب وتحمل أهل قسنطينة وحدهم شدة الحصار وتصلبوا في المقاومة الى ان جاءت النجدة من الباشا فانهزم الجند التونسي هزيمة فادحة واستعد حمودة باشا لملاقاة الجزائريين في الكاف بجند جديد . فلما وصل الجزائريون ناحية الكاف هزمهم حمودة هزيمة شنيعة ورجعوا على اعقابهم واثر ذلك حكم الباشا باعدام حسين باي قسنطينة وولى مكانه علي باي وامده بجند لاعادة الكرة على التوانسة ـ ثار أحد

الجند يدعى احمد شاوش في قسنطينة وقتل الباي والباش آغا القادم لنجدته واستولى من عند نفسه بايا وكتب لحمودة باشا يعرض عليه التعاقد معه ضد الجزائر ثم اراد السير للجزائر فقبض عليه الباي الجديد الذي عينه الباشا واعدمه وعاد الهدوء لناحية قسنطينة ـ حاول الدرقاويون الثورة من جديد فقضى عليهم باي الغرب محمد بوكابوس ، وأخيراً عقد الباشا اتفاقية مع حمودة باشا التونسي وقعت بها الهدنة . ثم ثار الجند ضد الباشا وقتلوه .

علي باشا الغسال (1808 ـ 1809) انتخبه الجند في وقت الثورة ثم ندموا على انتخابه لأنه اظهر عجزه فاعدموه وانتخب الديوان :

الحاج علي باشا (1809 ـ 1815) أعاد للسلطة مظهرها القوي . أراد الشريف الدرقاوى الذى استقر عند بنى سناسن الثورة فسار إليه الباي محمد بوكابوس واختفى الشريف الدرقاوي ولم يظهر له من بعدها أثر ـ رجعت القلاقل بين الجزائر وتونس وأخذ القرصان من الفريقين يعملون في البحر . سار الرايس حميدو مع السفن الجزائرية وقهر الاسطول التونسي عند مرسى سوسة وضبط سفينة أمير البحر التونسي المرحوم محمد المورالي ـ استعان الحاج علي بقوة بوكابوس باي الغرب ضد تونس فرفض بوكابوس السفر لقتال التوانسة . عزله الباشا فثار وأراد القتال الا أنه قتل وتولى مكانه علي قرة برلي . استمر الاسطول الجزائري يعمل ضد تونس حتى التزم حمودة باشا بارسال كمية من الزيت سنويا لأنارة مصابيح المساجد والزوايا بالجزائر لكن الحرب المؤلمة الملعونة لم تنته بذلك وظهر الاسطول الجزائري أمام حلق الوادى ، فابعده التونسيون بمدافعهم ، ثم هاجم هؤلاء مدينة قسنطينة فصدهم عنها واليها نعمان باي . وأراد الجزائريون مهاجمة تونس فخابوا ـ سار جعفر باي تيطري لاخضاع الاغواط وبادية الحضنة فاخفق أولا وعمت الثورة مابين سطيف والمدية وبوسعادة لكن الباشا تمكن بعد جهد من اخضاع سائر الجهات الثائرة ـ وقع خلاف بين الجزائر ودولة الولايات المتحدة الاميركية فاعلن الحاج على باشا الحرب على أميركا وسجن قنصلها . وفي تلك الاثناء سقط نابليون الاول وخلفه لويز الثامن عشر . فاستظهرت عائلة اليهودي بوخريص باوراق ديونها على حكومة نابليون وطالبت فرنسا بتسديدها ، واعلن الحاج على باشا

تأييده لمطالب بوخريص لأنه مدين لخزينة الجزائر - قتل محمد شاكر باي قسنطينة بعض آل المقراني من اشراف القبائل ، فثارت بلاد القبائل من أجل ذلك وقتل الباشا بالجزائر.

محمد باشا (1815) ابتدأ أعماله بمحاولة ادخال نظام مالي جديد على الخزينة فثار عليه الجند وقتلوه.

عمر باشا (1815 - 1817) لم يقبل الحكم الا بعد عناء ومحاولات . ارسلت اميركا اسطولها لمحاربة الجزائر فتقدم الاسطول الاسلامي تحت إمرة الرايس حميدو للقائه ، وبعد ملحمة كبرى انكسر الاسطول الجزائري واستشهد البطل حميدو. وعقدت الجزائر الصلح مع اميركا معترفة بمطالبها : اطلاق سراح الاسرى الأميركان والاقلاع عن دفع المعلوم السنوي للجزائر - أراد نابليون بعد رجوعه للحكم ان يرسل قنصلا للجزائر فامتنع الديوان الا بعد خلاص مابذمة فرنسا لبوخريص وبوشناق حيث ان خزينة الجزائر سبقت لليهوديين المال اللازم لارسال القمح لفرنسا - سقط نابليون نهائياً فقبلت الجزائر مسيودوفال قنصلا لفرنسا - ارسل الباشا انذاراً لتونس يطلب من بابها الاعتراف بالتبعية لديوان الجزائر ودفع ماتخلد بذمة تونس حسب المعاهدات القديمة وتحطيم حصون الكاف فرفض باي تونس هذه المطالب - ارسلت انكلترا اللورد اكسموت على رأس عمارة قوية فهددت الجزائر وعقدت معها صلحاً ثم هددت تونس بتحطيم حلق الوادي فصادق محمود باي على مطالبها وعقد معها الصلح . عاد اللورد اكسموت بعد ذلك للجزائر وطلب اتمام المعاهدة بشروط اخرى تقتضي الغاء حرب القرصان والغاء استرقاق المسيحيين فرفض الديوان قبول هذه المطالب . كان الوقت غير مناسب لرمي القنابل على المدينة فاقلع اللورد اكسموت واستمرت الجزائر على اعمال الحرب ضد الانكليز واشتد الهيجان ضدهم فهوجمت مراكزهم واسر الاتراك 800 منهم ، ثم عاد اللورد اكسموت على رأس عمارة قوية وساعدتها السفن الهولاندية فوقعت معركة حامية بين حصون الجزائر وبها 450 مدفعا وبين الاسطول الذي اوقع ضرراً كبيراً في المدينة من جراء رمي القنابل عليها ولم يسع عمر باشا الاقبول شروط الانكليز : اطلاق اسرى الانكليز والاقلاع عن استرقاق

المسيحيين . وتم الصلح باطلاق الجزائريين سراح 12000 اسير مسيحي . اثر هذه الحوادث اخضع عمر باشا قبائل فليسة نهائيا لسلطة الديوان وانتهت القلاقل في الداخل والخارج . ثار الجند وقتلوا الباشا .

علي خوجة باشا (1817 - 1818) أتم الاتفاقية التي كان المرحوم عمر باشا بصدد امضائها مع تونس ووقع الاعتراف باستقلال كل من الطرفين وانتهى أمر الخلاف المؤلم بين قادة القطرين الشقيقين . غادر علي باشا مقر الحكم بالجنينة واستقر بقلعة القصباء ليكون في مأمن من ثورات الجند التركي وجمع حوله حامية من القبائل تبلغ 2000 جندي . أراد الجند التركي الثورة فاخمد الباشا ثورته وارجع الكثير من رجاله الى تركيا حيث رأى الأليق الاعتماد على الجند الوطني . اولى الباشا على مقاطعة قسنطينة احمد باي المملوك ، ثم أمر بتطهير العاصمة من البغايا فوقع ابعادهن الى شرشال . اشتد به مرض الوباء فامر بان يتولى بعده خوجة الخيل :

حسين باشا (1818 - 1830) وهو آخر حكام الاتراك بالجزائر والبقاء لله ! تمكن بعد جهد جهيد من ارجاع الهدوء الى كل نواحي القطر ، وقضى على كل الثورات والفتن وخاصة فتنة اولاد الشيخ سيدي احمد التيجاني بناحية عين ماضي - سلم قيادة الجند الى يحي آغا الشهير وهو قبائلي الاصل - جاءت عمارتان بحريتان فرنسية وانكليزية لابلاغ الباشا مقررات مؤتمر ايكس لاشبيل القاضية بالغاء الرق وحرب القرصان . فرفض الديوان قبول هذه المقررات (كما رفضتها ايضا بعض دول اروبا واميركا) وقعت مناوشات جديدة بين تونس والجزائر وكاد امرها يتفاقم وتدخل الباب العالي في الأمر هذه المرة فتم الصلح بين الجانبين نهائياً - كانت تركيا تقاوم اروبا المتألبة ضدها في قضية اليونان فامدتها الجزائر وتونس بالسفن الحربية - ثار القبائل فاراد حسين باشا سجن من وجد منهم في الجزائر وكان بعضهم في خدمة القنصليات الاجنبية . فهاجم الجند قنصلية الانكليز واخرجوا القبائل الذين بها ، واحتج القنصل وغادر المدينة ، ثم جاءت عمارة انكليزية فخرج الاسطول الجزائري للقائها وقابلها بعيداً عن الارض فلم تستطع اطلاق قنابلها على المدينة واخيراً عاد الانكليز من حيث أتوا واحتفلت الجزائر بهذا الانتصار .

سنة 1825 وقع زلزال عظيم حطم مدينة البليدة ، فارسل الباشا يحي آغا مع اعانة قوية فوضع اسس المدينة الحديدة وأتم بناءها باعانة الاهالي . تضعضع مركز محمد مانامالي باي قسنطينة فولى الباشا مكانه الحاج احمد باي الذي بقي في مركزه ودافع عنه ضد الفرنسيس الى ان اسرومات في الجزائر.

وطد احمد باي سلطة الدولة بكامل الناحية الشرقية ثم شجر خلاف حاد بين يحي آغا وبين هذا الباي انتهى بعزل الآغا . اعلن الشيخ محمد التيجاني الثورة وهاجم معسكر فقتل وتفرقت جموعه ، وتفاقم امر الخلاف بين الجزائر وفرنسا في مسألة الدين الذي لبوشناق وبوخريص على الحكومة الفرنسوية والذى نطالب خزينة الجزائر بقسط منه . خلاصة هذه القضية : انه تقرر في اتفاقية 28 اكتوبر 1819 ان جملة ديون فرنسا نحو شركة بوخريص الذى أصبح يدعى باكرى وبوشناق هي 7 ملايين فرنك ، ولهذه الشركة نحو بعض الخواص بالجزائر : 2500000 فرنك فتقرر ان تبقى فرنسا تحت يدها هذه المبالغ الى ان يتقرر مقدار مايخص الخزينة الجزائرية منها لكن فرنسا دفعت 4500000 لباكرى وبوشناق وابقت تحت يدها2500000 فرنك . ففر باكرى الى ليفورن ، وتجنس بوشناق بالجنسية الفرنسية واستقر بفرنسا . فتحصل الباشا من عائلة باكرى وبوشناق على اعتراف بأن المبلغ الذي بقي تحت يد فرنسا يجب ان يرجع لخزينة الجزائر . وان الخواص الذين لهم ديون على باكرى يتتبعونه رأسا ، وراسل الباشا ملك فرنسا بهذا الامروطلب منه ارسال ذلك المال لخزينة الجزائر . لكن مضت الاشهر الطويلة والجواب لم يصل من فرنسا التى كانت في حالة اضطراب ضد استبداد شارل العاشر وخشي هذا ان تقوم الثورة ضده فاراد ان يشعل حربا خارجية تشغل الرأي العام الفرنسي واعطت الوزارة تعليمات للقنصل دوفال تقضى بان يغتنم أول فرصة لايجاد حادث خطير بين فرنسا والجزائر : ففي حفلة العيد سأل الباشا القنصل دوفال عن جواب الملك فاجابه القنصل : ان ملك فرنسا لا يتنازل للجواب عن رسالة داي الجزائر ! امام هذه الاهانة نهض الباشا وطرد من حضرته القنصل مشيراً اليه بمروحة كانت بيده ، فخلقت السياسة من هذه الواقعة قصة «ضربة المروحة» واتخذتها فرنسا سبباً ظاهراً لمحاربة الجزائر . ثم جاءت عمارة فرنسية تحمل 30 الفاً من الجند ونزلت بسيدي فرج 14 جوان 1830 الذى اخلاه الاتراك ليسهل عليهم

من بعد مهاجمة الفرنسيين به . واستعد المسلمون تحت إمرة ابراهيم آغا لمحق الحملة وهاجموا الجند في سيدي فرج وكادوا ينجحون نجاحاً هاما يوم 19 جوان ، وكان برنامجهم محكما . لكن الجند الاسلامي شاهد وراءه ثلة من الجند الفرنسي فظن انه احدق به وتقهقر فاغتنم الفرنسيون الفرصة واعادوا الكرة فانقلب التقهقر الاسلامي انكساراً واحتل الفرنسيون المركز العام الاسلامي في اسطاوالي ، ولم تستطع الجزائر المقاومة بعد ذلك فانعقدت الاتفاقية على ان تستلم فرنسا مدينة الجزائر يوم 5 جويلية وتتعهد باحترام الدين الاسلامي واملاك وارواح المسلمين وترجع فرنسا الباشا والجند التركي الى بلادهم وتحفظ لهم ثروتهم الخاصة . دخل الفرنسيون الجزائر بعدما فر منها أغلب أهلها وحملوا معهم ماخف حمله ووقعت بعض عمليات النهب والسلب واستلمت السلطة العسكرية خزينة الدولة فاذا بها نحو خمسين مليون فرنك بين ذهب وفضة . وذهب الباشا الى فرنسا يتهم الجند المحتل بالاختلاس ، فلم يستمع أحد لشكواه . وسار الى ايطاليا وحاول الرجوع الى الجزائر لينظم المقاومة فاخفق وأخيراً ذهب للاسكندرية وتوفي بها سنة 1838 . وانتهى حكم الاتراك بما له وما عليه في الجزائر . وأخذت فرنسا توطد سلطانها في البلاد بعد ان تغلبت على مقاومة احمد باي بقسنطينة ، والامير عبد القادر الهاشمي بناحية الغرب ، والمقاومون القبائل وأهل الصحراء . فتم لها الأمر بعد عناء طويل وحروب عنيفة ! وقل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ! ولله الامر من قبل ومن بعد .

مشاهير العلماء والادباء في هذا العصر

اذا استثنينا الثورات المحلية التي كان يقوم بها بعض القبائل العربية والبربرية في مختلف الجهات واغلبها كان يقوم من أجل الضرائب ، فان الحالة في القطر الجزائري طيلة العصر التركي كانت حالة استقرار وراحة . وكانت الامة بعيدة عن سياسة الحكومة لايؤثر عليها تولى حاكم اومقتل حاكم . فالشعب كان مقبلا على شؤونه ، يباشر تجارته وصناعته في المدن ، ويباشر فلاحته ويتعهد مواشيه في البوادي وكان الباشوات والبايات يتسابقون في ميدان التعمير والمنافع العامة ، فانشئت المساجد والقصور الفخمة ، ومهدت الطرق ومدت الجسور على قدر الامكان

وكانت عمليات الاصلاح تسير ببطء رغم عدم الاستقرار الحكومي . اما الحركة العلمية فانها لم تخمد طيلة هذا العصر ، وكان الباشوات وفضلاء الاتراك واعيان اهل البلاد ينشطون العلم ويحترمون العلماء ويوقفون الاوقاف الطائلة في سبيل العلوم وديار العلم ، فكانت العلوم الابتدائية (القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ومبادى الحساب) تدرس في نحو ثلاثة آلاف كتاب بمختلف جهات القطر . والعلوم الثانوية والعليا تدرس بمختلف المساجد والزوايا الشهيرة . ونبغ في الجزائر خلال هذه القرون الثلاثة عدد جسيم من العلماء الاعلام الذين ابقت الايام على بعض آثارهم .

فممن نبغ في العصر الاول من الحكم التركي عصر البايلارباي ، وبين قوسين تاريخ وفاة كل عالم :

• ابو العباس حميدة بن باديس (959هـ) قال عنه م . فايسات صاحب كتاب تاريخ قسنطينة تحت حكم البايات : هو من أشهر بيوت قسنطينة ومن اقدمها ومن عائلة تقدم الكثير من رجالها في سلك القضاء والوظائف الدينية والسياسية . وقد كادت خطة امامة مسجد القصباء تكون وقفاً عليهم . وقد امتاز افراد هذه العائلة بالتقوى والورع والتبحر في العلم وفكرة الابتكار في العمل والذكاء الوقاد . ويقال انه في وقت من الاوقات كان من هذه العائلة 40 رجلا يشغلون في وقت واحد أهم المناصب العامة في قسنطينة»

وقد كان ابو العباس رحمه الله من أشهر قضاة قسنطينة واكثرهم توغلا في الفقه وعلوم الادب .

• عبد اللطيف المسبح القصنطيني (980) مفتى الحضرة القسنطينية ومن اكبر علماء الرياضيات والحساب والمنطق . ومن اشهر مؤلفاته شرح مختصر عبد الرحمن الاخضرى وشرح الدرة البيضاء .

• شقيقه احمد المسبح (981) من أشهر المدرسين بحضرة قسنطينة ، وكان من اكبر رجال الافتاء بها .

• ابومحمد بركات القصنطيني (982) من اكابر العلماء والمدرسين بقسنطينة .

• محمد بن أحمد التلمساني بن الوقاد (1001) قرأ العلم بحضرة تلمسان ونبغ ثم تولى قضاء الجماعة بتارودانت بالمغرب الاقصى ، وتولى بعدئذ الخطابة بمكناسة الزيتون ، ثم بمسجد الاندلسيين بفاس ، ثم استقر أخيراً بتارودانت . اخذ عن الامام التنسي وختم عليه البخاري ست عشرة مرة وكان ممن يحذر على العمل مع الملوك واصحاب السلطان ومما يقوله في ذلك :

كل التراب ولا تعمل لهم عملا ... فالشر اجمعه في ذلك العمل

• محمد بن علي ابهلول المجاجى (1002) من بيت نسب رفيع يتصل بالمولى ادريس بن ادريس الحسنى - وقد الف عنه رسالة جامعة سيدى العربي الشرقي أسماها «ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدى محمد بن علي مولى مجاجة» . ومما جاء في هذه الرسالة القيمة ان سيدى محمد بن علي كان إماما هماما ، عالما علاما تفرد بهذه الاوصاف الشريفة عن سائر علماء وقته تشد اليه الرحال في المسائل العلمية ، هذب النقول ونقحها ، وكانت له زاوية عامرة اشتهرت بالعلم والتدريس وحسن الوفادة وذلك على مقربة من ثغرتنس .

• محمد بن احمد التلمساني (1018) من كبار المدرسين ومن المبرزين في الفقه وعلم الكلام .

• محمد بن احمد بن مريم المديوني (1020) من كبار المؤرخين وهو من اشراف مليته له كتاب البستان في علماء وصلحاء تلمسان ، وقد ذكر في آخر الكتاب ان له احد عشر تأليفاً .

• أبو القاسم بن أبي عبد الله بن عبد الجبار الفجيجي البرزوني (1021) تخرج عن بن غازى والونشريسى والسنوسى وبن مرزوق ، وكان بحراً في العلم لاساحل له مع صلاح وزهد وتقوى وورع . ونفع بعلمه وصلاحه جمهوراً عظيما من الامة .

• ابن الفقون الحسن بن علي القسنطيني (1040) ممن نبغ في العلم والادب ، مما يروي عنه قصيدته التى ضمن بها اخبار رحلته من قسنطينة الى مراكش . وكأن الله كتب عليه ان يكون صريع الغواني في كل ارض حل بها . ومنها يقول :

وكنت أظن أن الناس طرا | سوى زيد وعمرو غير شيء
فلما حلت بلدة جسر دار | امالتني بكل رشى أبي
وكم أورت ظباء بي أوار | اوار الشوق بالريق الشهي
وجشت مجابة فحلت بدورا | يضيق بوصفها حرف الروي
وفي أرض الجزائر هام قلبي | بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا | بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نبت حبل صبري | وهمت بكل ذي وجه رضي
وفي مازونة ما زلت صبا | بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد أمسيت رهنا | لطافي الخصر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان بدوراً | جلبن الشوق للقلب الخلي
الخ .... الخ الى أن يقول
وما حلت وجدة همت وجداً | فيا للمشرق المغربي
تقسمني الهوى شرقا وغربا | وجسم حل بالغرب القصي
فلي قلب بأرض الشرق عان | وذاك يهيم شرقا بالعشي
فهذا بالغدو يميل غربا | وكم لله من لطف خفي
ولولا الله مت هوى ووجداً

وانني انما اثبت هذه الابيات من القصيدة لأنها لم تكشف لنا فقط عن نفسية العالم المغرم وخفة روحه وتصابيه فقط ، بل سجلت لنا طريق القوافل الذى كان يرتاده المسافرون بين شرقي الجزائر وغربيها الى بلاد المغرب الاقصى .

• احمد بن محمد المقرى التلمساني (1041) ويكفيك يا صاحبي تعريفاً به انه هو صاحب اشهر ديوان في الادب ظهر في عالم العرب ، الا وهو كتاب «نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب» ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن وحصل بها على عمه ابى عثمان سعيد المقرى مفتي حضرة تلمسان . ثم جاب اقطار الارض ، وحج واعتمر ، وقدم مصر القاهرة فتزوج بها واتخذها لنفسه داراً ، ولم يلق بها مايليق بمقامه الرفيع من الاقبال فكان يشكو مر الشكوى في قصائد سجلها التاريخ ومنها قوله :

يا أهل مصر وجدت ايديكم | في بذلها بالسخاء منقبضة
لما عدمت القرى بارضكم | اكلت كتبي كأنني أرضة

كناية على أنه كان يبيع كتبه ليتحصل على القوت .. ومنها قوله :

تركت رسوم عزى في بلادي | وصرت بمصر منسي الرسوم
ونفسي عفتها بالذل فيها | وقلت لها عن العلياء صومي
ولي عزم كحد السيف ماض | ولكن الليالي من خصومي

ثم غادر مصر واستقر بدمشق الشام اياماً ، وسلمه احمد بن شاهين مفتاح مدرسة الجقمقية ومعه ابيات رقيقة منها :

احمد سيدي وشيخي وذخري | وسمي وذاك الشرف فخري
لو بغير الاقدام يسعى مشوق | جئته زائرا على وجه شكري

فاجابه المقرى بابيات منها :

أي نظم في حسنه حار فكري | وتحلى بدره صدر ذكري
طائر الصيت لابن شاهين ينمي | من بروض الندى له خير ذكر
حل مفتاح فضله باب وصل | من معالى تعريفه دون نكر

واقبل الناس عليه في دمشق اقبالا أنساه مالقيه بمصر من عناء . ولك ان تقارن بين ماقاله عن مصر وما يقوله عن ربوع الشام :

محاسن الشام جلت | عن ان تقاس بحد
لولا حمى الشرع قلنا | ولم نقف عند حد
كأنها معجزات | مقرونة بالتحدي

وعاد الى مصر وكان عازماً على الاستقرار بالشام الا ان المنية عاجلته بها .

° ° ° °

ومن اشهر ذكرهم في العهد الثاني من حكم العثمانيين عهد الباشوات الثلاثين :

• احمد بن القاضى (1025) مؤلف كتاب جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس . أخذ عن العلقمي والسنهوري والبدر القرافي ، وله أيضا درة الحجال في اسماء الرجال ونيل الامل فيما به بين المالكية جرى العمل .

• علي بن محمد بن عبد الواحد الانصاري (1054) اصله جزائري نشأ بسجلماسة وتفقه بالمغرب ثم استقر بالجزائر واستفاد من دروسه خلق كثير، وله متون في السير ومصطلح الحديث وفي الاصول والطب والتشريح.

• سعيد بن ابراهيم قدورة (1066) مفتى الحضرة الجزائرية الشهير، وهو تونسي الاصل له شرح على متن السلم في المنطق وحاشية على شرح الصغرى للشيخ السنوسي وهو أبو العلماء في عصره وعنه تخرجت طائفة كبرى من العلماء الاعلام.

• محمد بن عبد الكريم القفون القسنطيني (1083) له ولوالده الابر شهرة واسعة في علوم المعقول والمنقول، كما اشتهرا بالزهد والصلاح والسعي في هداية الناس الى الصراط المستقيم. وقد خلف محمد اباه في امارة الحج الجزائري ولقيا حيثما حلا ماهو جدير بهما من رعاية واكرام.

• احمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (1079) كان من أكبر العلماء المتبحرين في الفقه والنحو، وله مشاركة واسعة في غيرهما من العلوم.

• ابو مهدى عيسى الثعالبي (1080) جاء عنه في كتاب نشر المثاني: الشيخ الامام نخبة الفضلاء وواسطة عقد النبلاء حسنة الليالي والايام وواحد العلماء الاعلام – تلقى مبادى العلوم في موطن قبيلة الثعالبة حوالي الجزائر، ثم دخل العاصمة فصاحب علي بن عبد الواحد الانصاري ولازمه وأخذ عنه، وكانت لعلي منزلة سامية عند العامة ورجال الدولة. ثم سافر الى مصر واستمر في طلب العلم. وكان الشيخ البابلي يقول له: ماجاءنا من المغرب احفظ من المقري ولا اذكى منك وكان قدروى الحديث في عاصمة الجزائر عن مفتيها الاشهر الشيخ سعيد قدورة ومن أشهر مؤلفاته مقاليد الاسانيد، وفهرست البابلي. ودفن بالحجون في الحجاز.

• محمد بن خليفة الجزائري (1094) جاء عنه في نشر ازاهر البستان: «هو – وان شرست اخلاقه، ولم يحل مذاقه، وضاقت اكنافه، ولم ترد بحار الكمال اوصافه – فاضل علامة رحالة، صحب في تحصيل العلم الصالح والطالح، وركب في تطلبه الحلو والمالح» وكان رحمه الله من أشهر علماء عصره وأكثرهم نفعا.

• يحي بن محمد الشاوي الملياني (1096) من اعلم علماء المالكية في الاصول والفروع. ومن أكبر علماء المعقول والمنقول، ولد في مدينة الجزائر وقرأ بها وبمليانة ولازم الشيخ سعيد قدورة والشيخ على بن عبد الواحد والشيخ محمد ابهلول واضرابهم ولربما فاق الفرع أصله. قصد الحج ثم قرأ بالازهر الشريف وتحصل في مصر على صيت عظيم. ثم سافر الى استانبول فاستضافه شيخ الاسلام يحي افندي المنقاري، وحضر مجلس العلم الذى انعقد بحضرة الخليفة العثماني فشارك في مباحثه واعترف الجميع بفضله، ثم استقر بدار مصطفى باشا الصدر الاعظم وتصدى للتدريس في دار الخلافة. ومن مؤلفاته حاشية على ام البراهين واصول النحو، وهو من ابدع ما الف في هذا الفن كتبه باسم السلطان محمود.

° ° ° °

وممن ذاع صيتهم في العصر العثماني الثالث، عصر الآغوات:

• عمر بن محمد المنقلاتي الجزائري (1100) وهو من أشهر علماء القطر الجزائري بلا خلاف. وكان اليه المرجع في كل العلوم، وعنه أخذ جماعة من فضلاء واعيان الجزائر، وهو شيخ العلامة ابن زاكور صاحب نشر ازاهر البستان ويقول هذا عن شيخه المذكور يوم الاحتفال بختم جمع الجوامع عليه:

حبـر الجزائـر والدنيا برمتها ... من عالج العلم حتى ذاع وانتشرا
بدر الجلال ومصباح الكمال ومقـ ... ـباس الجمال الذي كل الورى بهرا
شيخ احاط بانواع المديح فما ... أبقى لمن بعده شيئا وما وزرا
من يبلغ الأهل اني بعـد بينهم ... جالست بدرهدى شمس معتجرا
وقد ظفرت بما قد كنت آمله ... لما قضت منيتي من سوره وطرا
حتى لقد خلت آمالي فوائل لي ... فدك ابن زاكور هذا لبحر فاقتصرا

واننا لنثبت هنا نص الاجازة التى أجازبها الشيخ عمر المنقلاتي تلميذه الشيخ ابن زاكور فانها ترينا صفحة من حياة العلم والتعليم في هذا العصر. قال المنقلاتي رحمه الله:

«ولقد كنت قرأت على مشايخ جلة اعلام، ومن اجلهم عندى سيدى ومولاي الذى لازمته اربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الاوقات ابو الحسن

علي بن عبد الواحد السجلماسي الانصاري قدس الله روحه في دار النعيم ، مع جماعة من الطلبة الاخيار والنجباء الابرار ، اخذت عنه في الاصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف . ففي الاصول قرأنا جمع الجوامع مراراً ومختصر ابن الحاجب نصفه وفي البيان تلخيص المفتاح مراراً ، وفي المنطق الجمل للخونجي مراراً ومختصر الشيخ السنوسي ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري ، وفي المصطلح الفية العراقي مراراً ، وجملة من كتب السير ، وفي الحديث صحيح البخاري . ومختصر خليل في الفقه ونظم ابن عاصم في الاحكام كما قرأنا كتاب الشفا للقاضي عياض مع البردة للامام البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والسينية وعقائد الشيخ السنوسي قراءة ضبط وتحقيق .

وكنت أخذت من غيره من المشايخ من اعظمهم واولاهم شيخ الاسلام سيدي سعيد بن ابراهيم الجزائري امام الجامع الاعظم ، نفع الله به ونفعه بعلومه واسكنه بحبوحة الجنان ـ الحديث والفقه والنحو وشيئا من التصوف كالحكم لابن عطاء الله والتنوير وعن غيره الحساب والفرائض وشيئا من علم الوقت . واخذت عن غير من ذكر الخزرجية بشرحها للشريف الغرناطي ، واقرأتها للطلبة ماينيف عن اربعين ختمة كما اخذت لامية ابن مالك في التصريف كل ذلك بجد واجتهاد مع التفرغ والاشتغال بالعلوم . وهم رضي الله عنهم اخذوا ذلك عن مشايخ جلة من اعيان المغرب والمشرق قراءة واجازة واعلاما . وهانا اكملت غرضه (اى ابن زاكور) واذنت له ان يروي ذلك عني بشرطه عمن رويته عنه ، والله ع هذا ماظننت أنني في هذه الطبقة ولكن خلت الديار فسدت غير مسود» الخ

◦ محمد بن عبد الكريم الجزائري (1102) تعلم ببلده ثم خرج ليتفقه في الدين فصاحب جماعة من جلة العلماء بالشرق والغرب ، منهم مفتي حضرة زائر الشيخ سعيد قدورة ومنه اقتبس معظم انواره ، والشيخ على الاجهوري يخ البابلي بمصر ، ونال مكانة سامية عند سلطان المغرب مولاي اسماعيل .

اما في عصر الدايات وهو اطول عصور الحكم العثماني بالبلاد ، فقد اشتهر عدد جم من نوابغ العلماء وافذاذهم لا نستطيع احصاءهم في هذه الفذلكة الوجيزة ، انما نذكر أشهرهم :

◦ محمد بن احمد ساسي البوني (1116) كان ممن اعترف له بالدراية والعلم والنفع ، وقد أخذ عن ابيه سيد علماء عصره العلم وتبحر فيه ، وللشيخ سيدي احمد مؤلفات جمة ابقت الايام على الكثير منها وان لم تبق على شيء من مؤلفات ولده . منها في التاريخ تفصيل الحروب التعسة التي وقعت بين الجندين الجزائري والتونسي وتولى كبرها مراد باي تونس ـ ومنها نظم عقيدة الرسالة ونظم فرائض مختصر خليل ونظم القطر لابن هشام وكتاب فتح المعين بذكر مشاهير النحاة واللغويين وكتاب زاد المسير الى دار المصير وكتاب انس النفوس بفوائد القاموس وفيه نحو الف فائدة في علوم شتى . ومن اغرب مؤلفاته قصيدة تقع في نحو الفي بيت في فن آداب السلوك اسماها تبيين المسارب في ما يتعلق بالاكل والطب والمشارب . وله غير ذلك عدد جسيم من المؤلفات المنثورة والمنظومة .

◦ محمد بن احمد القصنطيني (1116) المعروف بالكماد ، أخذ عن الشيخ محمد القري والشيخ سعيد قدورة وقاضي الحضرة الجزائرية محمد بن عبد المؤمن وغيرهم من كبار العلماء . ثم تفرغ للتدريس فافاد واجاد ، وجاب الآفاق بين المشرق والمغرب واتسع علمه وشاع ذكره .

ولما حل بتطوان من ثغور السلطنة المراكشية صانها الله من كل اذية وقعت وحشة بينه وبين قاضيها الفقيه عبد الله بن قريشي فكتب له صاحبنا مفاخراً :

لهف نفسي على كسوف شموس	للعلوم وذلة الغرباء
لهف نفسي على زمان عبوس	قمطرير ذي قسمة ضيزاء
فانا للعلى سموت وحزت	رتبة لا تسام بالجوزاء
وورثت العلوم قدما يقينا	عن اباء قساور نجباء
فانا شمسها ونجم سماها	حافظ العصر سيد النبلاء

◦ احمد بن عثمان التلمساني (1151) من كبار المحدثين ، أخذ عنه جماعة من الاعلام بالشرق والغرب .

• محمد بن حواء المستغانمي (1179) وكان من العلماء العاملين والرجال الكاملين. ومن ابدع آثاره منظومة بديعة اسماها : سبيكة العقيان فيمن بمستغانم واحوازها من الاعيان. وله ضريح لايزال موجوداً بمستغانم.

• علي بن محمد الجزائري (1185) المعروف بابن الترجمان، ولد بالحضرة الجزائرية سنة 1136 درس العلوم بوطنه واجازه الشيخ سيدي محمد المنور التلمساني رحمه الله، واستقر مدة بدار الخلافة ونال لدى السلطان والوزراء والعلماء مقاما رفيعاً.

ومن غريب ما اتفق له انه عند ما حصل القتال بين الاتراك والروس ارسل الى السلطان مصطفى يقول : ان من قرأ في صفوف القتال استغاثة أبي مدين دفين تلمسان كتب له النصر. فاجابه السلطان : انا لانجد احسن منك لقراءة هذه الاستغاثة عندما يلتحم الجيشان. وامر بمسيره مع الجند فوقع اسره ومات في بلاد الروس غريباً رحمه الله.

• محمد امزيان الملياني (1199) له شرح حافل على صغرى السنوسى دعاه : المستفيد في عقيدة التوحيد. وهو لايزال موجوداً، وانتصب للتدريس والنفع بموطنه مدة، ثم استقر بمصر فلقي بها حسن الوفادة وذاع صيته وبها توفاه الله.

• ابن جلول ـ قال فايسات الآنف الذكر عن هذا العصر (أوائل القرن الثالث عشر الهجري) في قسنطينة : اشتهرت عدة عائلات في الفقه وعلوم العربية فزيادة عن عائلتي ابن باديس وابن الفقون اللتين اشتهرتا بالعلم دون انقطاع ـ نبغت عائلة ابن عبد الجليل التى اشتهرت باسم ابن جلول فهي منذ الحاج عباس بن جلول صديق بايسونيل (النسوح الشهير) الى ايامنا هذه. كانت شبه خلية من القضاة والباشكاتبين.

• عبد القادر الراشدى (1202) من أشهر علماء عصره واعظم رجال مصره له مؤلفات اشهرها كتاب في مباحث الاجتهاد وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية. ولقد تولى القضاء والافتاء مرارا بقسنطينة وله رسالة في تحريم شرب الدخان أتى فيها بأدلة معقولة توجب التحريم. ورسالة اخرى في مناقشة العلماء القائلين بالتأويل في مبحث المتشابه يقول في مطلعها :

خبرا عني المريد بـــاني ....

ماقضته العقول ليس من الديـ ـن بل الدين ما حوته النقــول

ولشدة ابتعاده عن التأويل رماه بعض علماء عصره بالزندقة واتهموه بالتجسيم.

• عبد الرحمن باش تارزي (1222) من عائلة باش تارزي الجزائرية استقر بقسنطينة واشتهر بها وذاع صيته في كل جهات القطر. وكان ممن جمع بين العلم والتصوف، ومن مؤلفاته غنية المريد في شرح منظومة مسائل التوحيد. وهى 45 مسألة.

• محمد الحفصى القصنطيني (1226) تعلم بقسنطينة، ولازم في جامع الزيتونة علامة تونس الاكبر الشيخ سيدي صالح الكواش رحمه الله. ثم ولي القضاء بالحضرة القصنطينية، ومن آثاره حاشية بديعة على شرح السلم تدل على طول باعه في علم المنطق وتضلعه فيه.

• محمد بن علي الطلحي (1232) من علماء قسنطينة، أخذ العلم عن الراشدي وتضلع في الفقه والنحو والاصول. وولي الامامة والتدريس بمسجد سيدي مسلم الجراري.

• عبد الملك الراشدى (1233) مفتى المالكية بقسنطينة من أئمة المذهب المالكي ومن أكبر العلماء.

• بلقاسم بن محمد بن عيسى (1234) من اغرب رجال عصره مارس التدريس بالجزائر ومازونة ومليانة ووهران. وصاحب علامة زواوة الشيخ سيدي محمد ابي داود، ثم رجع الى قسنطينة فاعتكف على التدريس وتولى الكتابة لصاحبها الحاج احمد باي رحمه الله.

• ابو منصور عمار الشريف (1241) قاضى قسنطينة الاشهر والامام الخطيب بجامع رحبة الصوف بها، كان لايشق له غبار في الفقه والادب والاصول.

• محمد بن المسبح (1242) من اكبر الايمة الخطباء بقسنطينة، ومن رجال العلم والورع والصلاح.

• محمد الصالح بن سليمان الزواوي (1242) من قبيلة اولاد رحمون، تفقه في بلاده ثم ارتحل للخضراء ولازم المعهد الزيتوني الى ان اجيز فيه ورجع

الى بلادزواوة فباشر التدريس وبث العلوم في جبل بني عيسى ثم في جبل جرجرة . وكان له الفضل الكبير في بث انواع العلوم والهداية بتلك النواحى العامرة .

◦ حمودة المقايسي الجزائري (1245) من افذاذ علماء العاصمة ارتحل لمصر وجاور بالازهر الشريف ولازم العلامة محمد الدسوقي صاحب الحاشية على شرح الدردير لمختصر خليل ، وأخذ عنه حتى اجازه وشهد له بالتفوق والنبوغ . ورجع الى وطنه فمر بتونس واقرأ بها وطلب اليه فضلاؤها ان يستوطنها ويتفرغ للتدريس على ان يقوموا له بكل شؤونه . لكن شوقه الى الجزائر جعله يعتذر عن ذلك . وقد كتب عن نفسه يقول بعد مارجع للجزائر : فوجدت فيها علماء اصحاب جاه . وكان في ذلك الوقت لا يسود الامن بتردد على اصحاب المملكة . فكنت اتعيش بالصنعة (صنع المقايس ، وهي اساور تتحلى بها السيدات ، تصنع من سن الفيل وقرون الجاموس) واكلت كتبي ."

◦ عمار بن شريط القصنطيني (1250) فقيه اديب محدث اصولي باشر التدريس وتولى الافتاء بحضرة قسنطينة ونظارة الاوقاف فيها .

◦ عمار الغربي القصنطيني (1251) من ارق شعراء عصره ومن اكابر العلماء تولى خطة الافتاء بقسنطينة ودرس بمدرسة سيدى الكتاني ثم بجامع القصباء . وله حاشية مفيدة على الشبرخيتي شارح مختصر خليل .

◦ محمد بن سالم (1251) المشهور با بن الطبال من علماء قسنطينة تولى التدريس بمدرسة الجامع الاخضر ، والخطابة والامامة بجامع سوق الغزل ، وكان علما من اعلام المذهب الحنفي وله باع طويل في علوم البلاغة والمنطق والاصول .

◦ احمد الطيب بن محمد الصالح الزواوي (1251) هو ابن الشيخ محمد الصالح السالف ذكره . تلقى العلم عن أبيه ونبغ فيه وله مؤلفات شهيرة منها تكملة الفوائد في تحرير العقائد وهو شرح على ام البراهين ، ومنها منظومة مفتاح الاحكام في نحو الالفي بيت . ووضع لها شرحا دعاه تذكرة الحكام . ومنها منظومة نصرة الاخوان في احجاج الفقهاء بالبرهان ، ومنها منظومة منهج الوصول الى مافي الارث من الاصول . وله رحمه الله غير ذلك من التآليف الكثيرة .

◦ محمد بن علي المليي (1252) كان من العلماء المحققين ومن الحافظين الذين يرجع اليهم ، ومن الذين نفعوا بدروسهم الكثيرة خلقا عظيما .

◦ محمد العربي القصنطيني (1254) من اكبر العلماء وجلة المدرسين ، كان يدرس بسيدي الحلبس وولى القضاء والنظر على الاوقاف .

◦ ابو طالب الغريسى (1257) من مدينة معسكر ، كان من العلماء الجامعين بين المعقول والمنقول وكان له باع طويل في علم التصوف .

◦ احمد بن عمار الجزائري (1270) من أعظم علماء العاصمة واكبرهم صيتا وانبغهم في علوم المعقول والمنقول ومن كبار الشعراء والادباء الذين يشار إليهم بالبنان ازدان به منصب الافتاء المالكي بالعاصمة مدة طويلة ، ومن آثاره كتاب بديع النسج متين الاسلوب اسمه نحلة اللبيب باخبار الرحلة الى الحبيب وهو مطبوع .

◦ أبو عزة التلمساني (1277) وهو من مهاجة قبيلة بني عامر الاية . وكان عالماً مهاباً ممن يعمرون الزوايا لنشر العلم وبث الدين وهداية الناس .

(رجال الافتاء في العاصمة الجزائرية اثناء العهد التركي)

شيخ الاسلام من الحنفية		من المالكية	
الشيخ محمد بن يوسف	1022	الشيخ محمد بن بلقاسم بن اسماعيل	1012
— محمد بن حسين	1029	سيدى عمار	1022
مصطفى بن محمد	1037	سيدى سعيد قدورة بن ج ابراهيم	1030
محمد بن رمضان	1045	ابنه محمد بن سيدى سعيد	1066
حسين بن مصطفى		ابنه احمد بن سيدى سعيد	1107
بن رمضان	1069	عبد الرحمن بن احمد المرتضى	1118
مسلم بن علي	1090	الحاج سعيد بن أحمد بن سعيد	1122
محمد بن مسلم	1090	اخوه عبد الرحمن بن احمد	1124
محمد بن حسين	1101	الحاج سعيد بن احمد (ثانيا)	1125
محمد بن مسلم (ثانيا)	1101	المهدي بن [illegible]	1127
حسين بن رجب	1102	عبد الرحمان بن احمد المرتضى (2)	1128

من المالكية

من الحنفية			
محمد بن مصطفى ابن القسي	1110	الشيخ عمر بن عبد الرحمان	1135
الشيخ حسين بن محمد	1118	عبد الرحمان بن احمد المرتضى (3)	1135
محمد بن مصطفى	1122	عمر بن عبد الرحمان (ثانيا)	1135
حسين بن محمد	—	محمد بن مبارك	1147
محمد بن مصطفى (ثانيا)	1128	محمد بن ابراهيم	1151
الحاج علي بن مسلي	1136	الحاج احمد الزروق بن محي الدين	1153
حسين بن محمد العنابي	1148	عبد القادر بن محمد البراملي	1169
محمد بن محمد بن سيدي		مصطفى بن احمد المبسني	1170
بن علي	1150	الطاهر بن محمد	1175
حسن بن مصطفى	1169	عبد الرحمان بن احمد المرتضى	1176
حسن بن فضلي	1170	مصطفى بن احمد المبسنى (ثانيا)	1176
محمد بن مصطفى الوالي	1171	احمد بن محمد	1179
حسن بن احمد التفاحي	1177	الحاج احمد بن عمرو	1180
مصطفى بن عبد الله	1180	عبد الرحمان بن احمد المرتضى	1180
محمد بن مصطفى	1180	الحاج احمد بن عمرو	1180
حسن بن احمد	1191	الحاج محمد بن احمد بن جعدون	1185
محمد بن اسماعيل	1200	محمد بن الشاهد	1192
محمد بن عبد الرحمان	1204	الحاج علي بن عبد القادر (اولا)	1206
احمد بن ابراهيم بن احمد	1224	محمد بن الشاهد	1206
محمد بن عبد الرحمان		محمد بن محمد الخوجة	1207
بن حسين	1224	الحاج علي بن عبد القادر (ثانيا)	1207
احمد بن ابراهيم البابوجي	1226	محمد بن محمد بن علي	1208
محمد بن عبد الرحمان بن راسيل	1232	الحاج علي بن عبد القادر(3)	1208
احمد بن حسين	1233	الحاج محمد بن احمد بن مالك	1210
محمد بن محمود العنابي	1234	الحاج علي بن عبد القادر(4)	1214
احمد بن ابراهيم	1235	محمد بن محمد بن علي	1226
محمد بن عبد الرحمان	1244	الحاج على بن عبد القادر(5)	1230
الحاج احمد بن الحاج عمر	1244	احمد بن على بن جعدون	1233
الحاج محمد بن محمود		الحاج علي بن عبد القادر(6)	1233

من الحنفية		من المالكية	
الحاج مصطفى افندى		محمد بن الحاج ابراهيم ووبي	1235
محمد بن شعبان	1251	على بن محمد المحلاي	1239
		مصطفى بن الكبابطي الى عام :	1259

(أهم مصادر هذا القسم من الكتاب)

غزوات عروج وخير الدين — نشر المكتبة الادبية بالجزائر

مذكرات نقيب الاشراف — الحاج احمد الشريف الزهار

تعريف الخلف برجال السلف — مفتي الجزائر الشيخ بلقاسم الحفناوي

V. Piquet : Les civilisations de l'Afrique du Nord

Peyronnet : Le Problème Nord-Africain

La Collection de la Revue Africaine

Vaysettes : Histoire de Constantine sous les Beys

H. De Grammon : Histoire d'Alger

Haëdo : Epitome des Rois d'Alger

H. Garrot : Histoire Générale de l'Algérie

L. Pechot : Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830

J. Hess : La Vérité sur l'Algérie

Deslinieres : La France Nord-Africaine

René Valet : L'Afrique devant le Parlement au XIX siècle

Lettres du Maréchal Saint-Arnaud

De Montagniac : Lettres d'un Soldat

القسم الثاني

سيرة الداي محمد عثمان باشا

عن مذكرات نقيب السادة الاشراف بالجزائر

(التعريف بنقيب الاشراف)

هورحمه الله ورضي عنه : الحاج احمد الشريف الزهاربن الحاج علي النقيب ابن احمد بن عبد القادر النقيب بن علي بن الحاج الخير بن بوعبد الله بن احمد بن الشيخ سيدي محمد الشريف الزهار القرطبي رضي الله عنه ، وينتهي نسبهم الشريف الى المولى ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء .

ولد رحمه الله حوالي سنة 1781 بمدينة الجزائر ، وتفقه بها واخذ العلوم عن فحول رجالها ، ثم خلف المرحوم المبرور والده الحاج علي في نقابة الاشراف وكان متصلا بالادارة التركية ، محبوبا عند رجال الديوان ، ولقد استفدنا من كلامه في عرض مذكراته انه باشر الكتابة في الديوان . وعندما وقع الاحتلال ابعدته السلطة الفرنسية سنة 1832 مع جملة من أبعدت من رجال المدينة . فأم صحبة اولاده تونس الخضراء واستقر بها بضعة اعوام وحضر دروس العلامة الاكبر سيدي ابراهيم الرباحي والشيخ سيدى الحاج الطيب بن عيسى الجزائري واضرابهما من شيوخ جامع الزيتونة المعمور . ومن هنالك اتصل بالمجاهد الابر الحاج احمد باشا باي قسنطينة وتولى خطة الكتابة في ديوانه الى ان دالت دولة الاتراك بالناحية

الشرقية فالتحق باخواله وبني عمومته بزاوية سيدي الحبشي قرب بوفاريك ومن هنالك الى مليانة ثم الى معسكر المجاهد الاكبر الامير عبد القادر الحسني . فتولى كتابة سره وصحبه في سرائه وضرائه الى ان وقعت كارثة الزمالة بطاقين فانسحب الحاج احمد الى بلاد المغرب الاقصى واستقر بمدينة تطوان يتعلم ويعلم مدى ثلاثة اعوام . ولما انتهى امر المقاومة العربية في القطر الجزائري رجع صاحب الترجمة وولداه الحاج قدور (الذى تولى نقابة الاشراف من بعده) والسيد محمد الى العاصمة واستلم من جديد نقابة الاشراف . وبقي على تلك الخطة الى ان توفاه الله اليه سنة 1872 ولقد كان رحمه الله مولعاً بعلم التاريخ متوسعاً فيه . وكان مغرما بتدوين الحوادث التي جرت في عهده او التي حدثه عنها أبوه وجده ودونوها فالف من ذلك كتابا قيما ذاقيمة نادرة ابتداه بذكر حوادث الداي علي باشا بوصباع وختمه بانتهاء الدولة التركية في الجزائر . وله كتاب آخر ضمنه حوادث أحمد باشاباي قسنطينة . والامير عبد القادر بطل الاستقلال . فلما دعاه الله إليه اقتسم ابناؤه تراثه فكان من نصيب الشيخ محمد الكتاب الاول وكان الكتاب الثاني من نصيب الحاج قدور . فالشيخ محمد احتفظ بالكتاب وصانه عن كل يد عابثة ثم ورثه عنه ولده صديقنا الشهم المفضال سيدى محمود الشريف وكيل ضريح سيدى محمد بالجزائر واحتفظ به كذلك . وهو الذى تفضل بتسليمي هذا المخطوط النفيس وعنه نقلت ما يتعلق بعصر الباشا محمد عثمان . واما الكتاب الثاني فقد فقد - وبالاسف - ولم يظهر له أي أثر وخسر التاريخ الجزائري بذلك خسارة لاتعوض .

واني قد اخترت للنشر من تلك المذكرات عصر المرحوم محمد باشا لأمرين : اولهما : ان مدة هذا الباشا هي اطول مدة قضاها داي في الولاية . وقد امتلات بالحوادث الجسيمة . وثانيهما : لأن صاحب المذكرات رحمه الله قد اختار عصر هذا الداي ليبين تفاصيل الادارة والولاية والحكومة وليصور كيفية الدنوش وقدوم البايات وما الى ذلك . بينما هو يكتفي بذكر الحوادث المهمة في تاريخ الدايات الآخرين . فكان هذا القسم هواهم واثمن ما في هذا الكتاب .

ومن الملاحظ ان مؤلف هذا التاريخ لم يبيضه بل ان النسخة الموجودة ليست الامسودة كتبت في دفتر كان يستعمل لضبط حسابات عائلية . وقد وضع حول

الاصل هوامش كثيرة ثم يقول هذه توضع في مكانها في القسم الفلاني او بعد ذكر كذا . . . وقد نقلت سيرة الباشا برمتها صحبة حواشيها التى وضعتها حيث اراد ان توضع ولم ادخل على الاصل الا بعض تنقيحات بسيطة جداً لغوية اولفظية ، واضفت العناوين وليس منها في الاصل شيء .

ولم يكن النقيب رحمه الله رغم البيئة التى عاش فيها والوسط الذى نشأ فيه - خرافياً او متعصباً للطرقية ، بل كان معتدل الفكر نير البصيرة منكراً على المبتدعين والخرافيين . واليك جملة وردت في مذكراته عن آخر ملوك الاتراك بالجزائر حسين باشا رحمه الله قال في وصفه : «.. وكان تقياً محباً في الصالحين ولمن انتسب اليهم ، حتى انه كان يغتر باهل البدع فيعتقد فيهم ويحسن اليهم ويكرمهم ويستبشرون بمقالتهم ويتبركون بهم مع ان الواجب عليهم هو التغيير على اهل البدع ويزجرونهم على فعلهم القبيح من مخالفتهم السنة»

واليك ما كتبه رحمه الله عن دولة محمد عثمان باشا :

ذكر ولاية محمد المجاهد باشا رحمه الله

في شعبان سنة 1179

العهد لما مرض علي باشا الملقب ببوصباع نادى وزراءه وجمعهم ، وهم : الخزناجي ، وآغة العرب ، وخوجة الخيل ، ووكيل الحرج بباب الجهاد ووكيل بيت مال المسلمين . واوصاهم بولاية محمد باشا . بل اولاه واوصاه على اولاده وداره . وانه خلف الحاج محمد واخته وامهم وهي أم ولد علجة من استانبول وكانت وفاة علي باشا رحمه الله يوم الاحد الحادى والعشرين من شعبان سنة 1179 (8 افريل 1766 ميلادية)

الولاية ومن الغد يوم الاثنين قدم الدولاتلى اعني آغة العسكر وكاهيته وكـافة الديوان والمفاتي والقضاة ونقيب الاشراف واعيان الناس ، واجتمعوا بدار الامارة (1) فجلس محمد باشا على كرسي الملك ، وبايعه العلماء

(1) قصر الجنينة الذى احترق في اوائل عهد الاحتلال الفرنسي . وهو ما بين نهج جوبا ونهج السودان ، وتقوم عمارة نادي الترقي على انقاضه اليوم .

الناس

ثم نقيب الاشراف ثم الوزراء وكافة الديوان وجميع الناس ، وولى خزناجيا
السلطانية واطلقت المدافع وانفض الموكب وصعد الى بيته بالحرابا ، وولى خزناجيا
في مكانه وولى من يستحق الولاية وعزل من يستحق العزل .

سيرته وكان رحمه الله مؤثراً للعدل والانصاف عارفا بقوانين الملك ملتزما لأحكام الشريعة المطهرة ، وكان يحب الجهاد ووقعت في ايامه حروب كثيرة ، ورزقه الله النصر في جميع حروبه وستبين كل قتال وما وقع في كل معركة .

وكان لباسه ما يستر به جسده ، وطعامه ما يشبع به بطنه ، وفي كل سنة كان يبعث حوائجه (ملابسه) للخياط ليرقعها ولا يفصل ثوبا الا اذا لم يجد كيف يرقع القديم . ومن عادة الملك ووزرائه ان يحملوا البطاغات (نوع من السيوف) من الذهب وقت اجتماعهم في الحكم مع الامير وحين يذهبون معه للصلاة ووقت انفصال الحكم حين يذهبون لبيوتهم . ولكن هذا الامير كان يحمل بطغانا من الفضة ولوما جرت به العادة ما كان يحمله اصلا .

وفي بعض الايام اشار عليه وزراؤه بالنكاح ورغبوه فيه . فقال لهم ان تزوجت يلزمني مال كثير . لكن انتم اردتم ان اتزوج فخبروني كم يكون صداق الزوجة ؟ فقالوا له كذا وكذا . فقال لهم هذا شيء قليل في حقي وسكت عنهم . ومن الغد لما اقام بموضع الحكم قرب الخزنة واجتمع الوزراء عليه نادى خزندار (متاعه) فاحضر له مالا كثيراً كان اعده له قبل فامره بان يضعه بين ايدي الوزراء وقال لهم : انظروا هل هذا المال يكفي لصداق المرأة التى اتزوجها ؟ قالوا نعم . فقال لهم : ما هو الافضل هل أتزوج بهذا المال ام نضعه في الخزانة ونجاهدبه ويكون لنا عونا في دفع العدو؟ قالوا له نظرك اصلح . فامر بالمال فوضع في الخزانة . وبعد ايام تزوج بالعلجة التى خلفها على باشا فباتت عنده ليلة واحدة ومن الغد طلقها ! وقال : انني تزوجت لئلا اموت عازبا واحشر شيطاناً .

مئاثره العمرانية :

وله مآثر حسنة . منها بناء عدة ابراج للجهاد اولها برج سردينة[1] والبرج الجديد

---

(1) عند مرسى الجزائر القديم براس المول ولايزال باب هذا الحصن قائما الى الآن . والسبب في تسميته ببرج سردينة هو وجود رسم بارز في الرخام فوق بابه يمثل سمكتين تشبهان نوع السردينة المعروف



خير الدين باشا بربروس – مؤسس الدولة التركية بالجزائر اصدق صورة له رسمت بطولون عندما كان يقود الاسطول العثماني الذي اعان فرنسا ضد شرلكان .

(عن تاريخ البحرية الفرنسية)

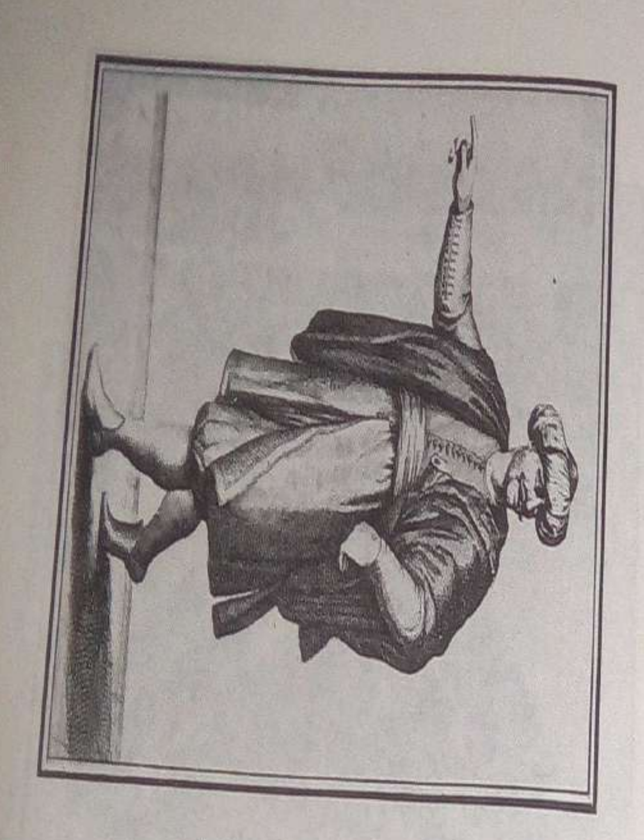


الحاج حسين باشا ميزمورتو (داي الجزائر 1683 - 1688)



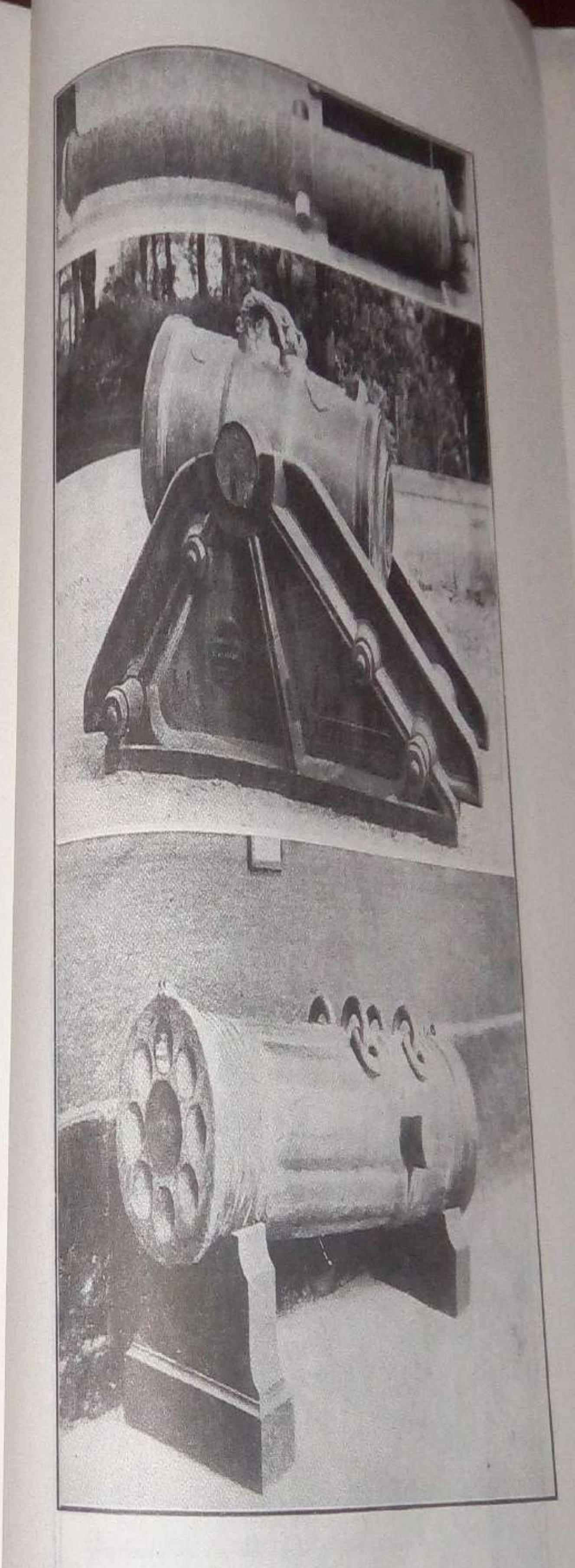
رئيس طائفة القرصان الجزائريين

(عن الرسام فولفقانج)

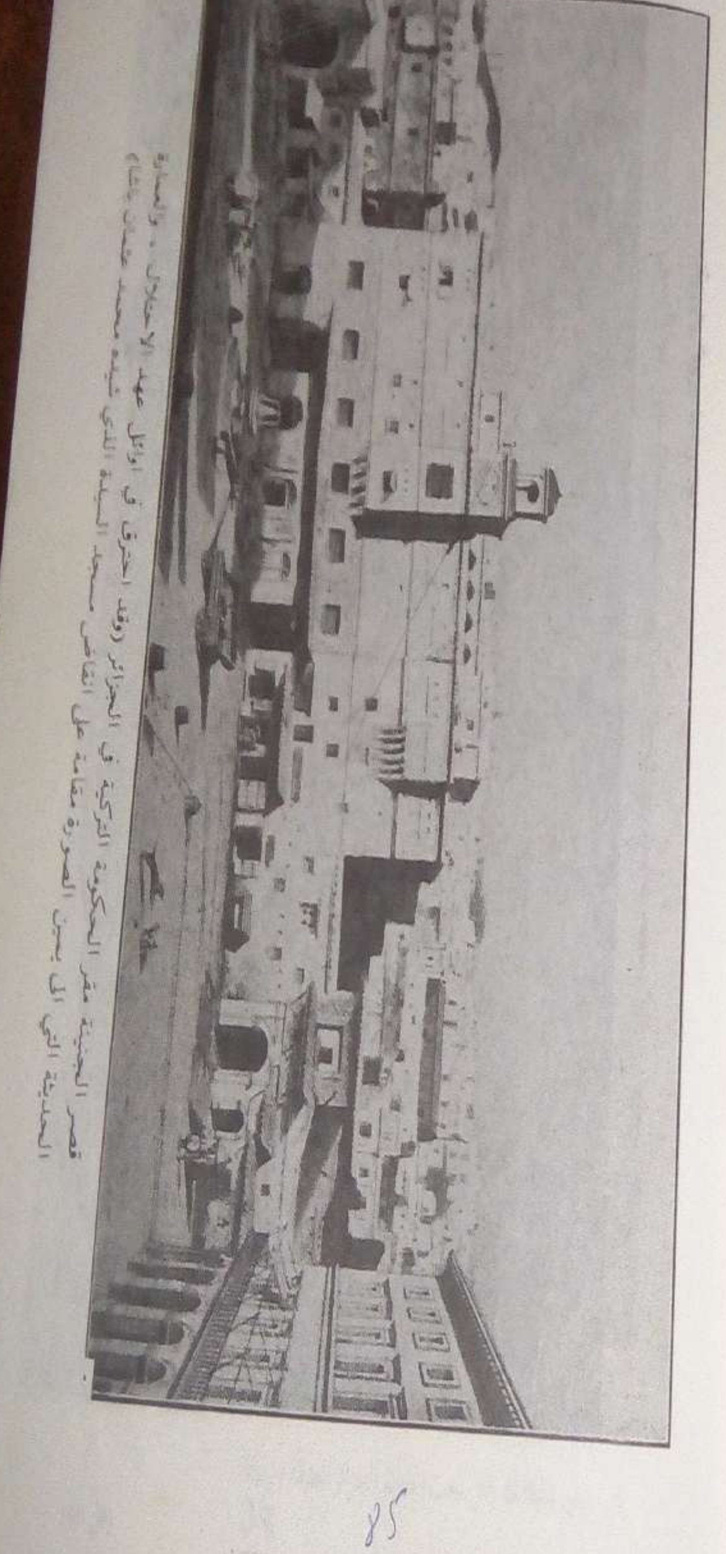


ضابطان من ضباط الجند التركي بالجزائر

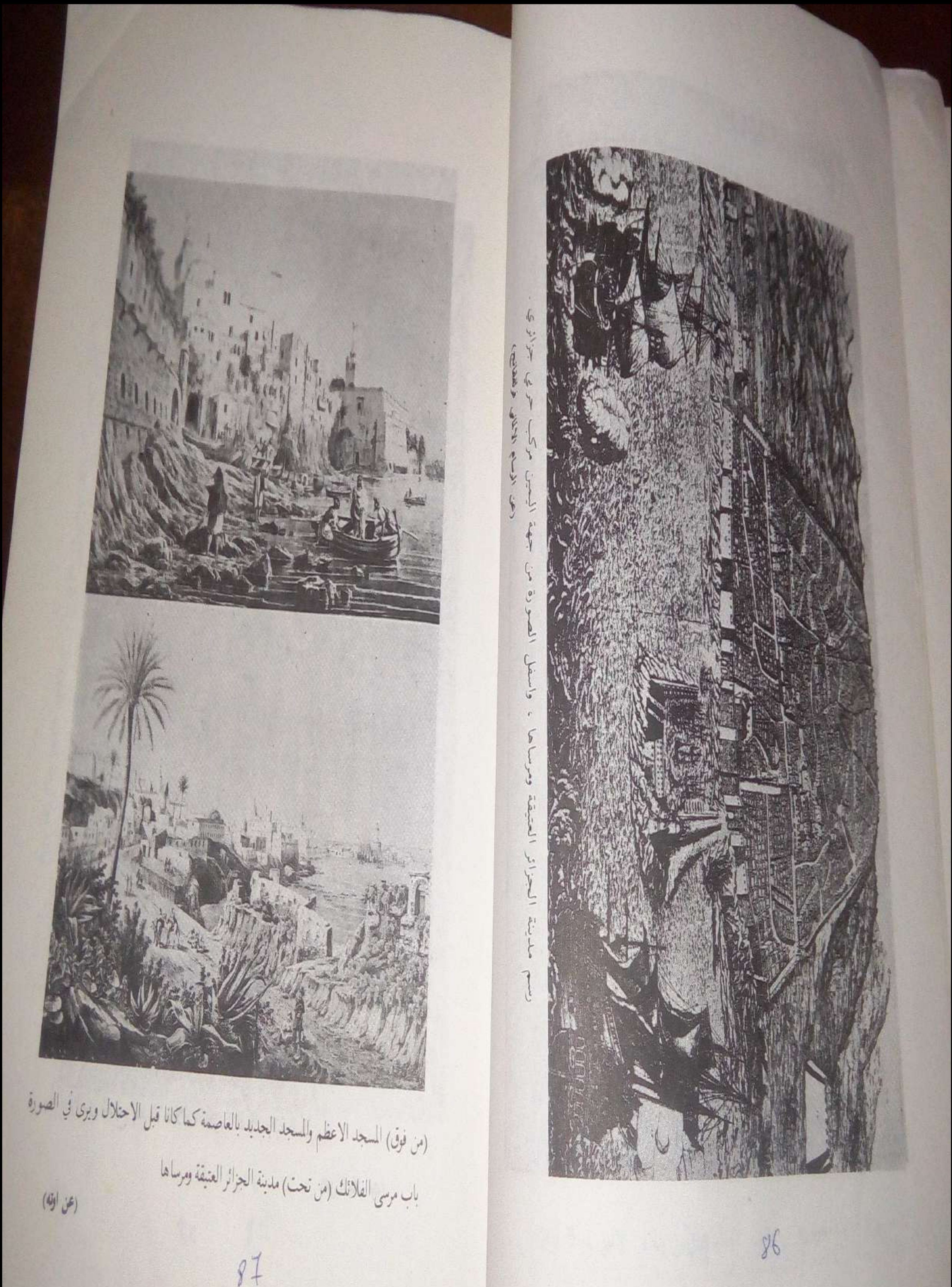




مدافع جزائرية عتيقة موضوعة في متحف الانفاليد باريس والمدفع الاخير ذو 9 فوهات



قصر الجنينة مقر الحكومة التركية في الجزائر (وقد احترق في اوائل عهد الاحتلال . والعمارة الحديثة التي الى يمين الصورة مقامة على انقاض مسجد السيدة الذي شيده محمد عثمان باشا)



رسم مدينة الجزائر العتيقة ومرساها ، واسفل الصورة من جهة اليمين مركب حربي جزائري

(من فوق) المسجد الاعظم والمسجد الجديد بالعاصمة كما كانا قبل الاحتلال ويرى في الصورة باب مرسى الفلائك (من تحت) مدينة الجزائر العتيقة ومرساها

(عن اوله)

من بدائع الفن المعماري التركي

عائلة جزائرية تتناول القهوة في غرفة وترى الى اليسار جزءا من صحن الدار



مسجد كتشاوه الحنفي

(الذي اصبح بعد الاحتلال الكنيسة الكاتدرائية الكبرى)

(عن ادولف اوته)

مدخل قصر امارة البحر الجزائرية

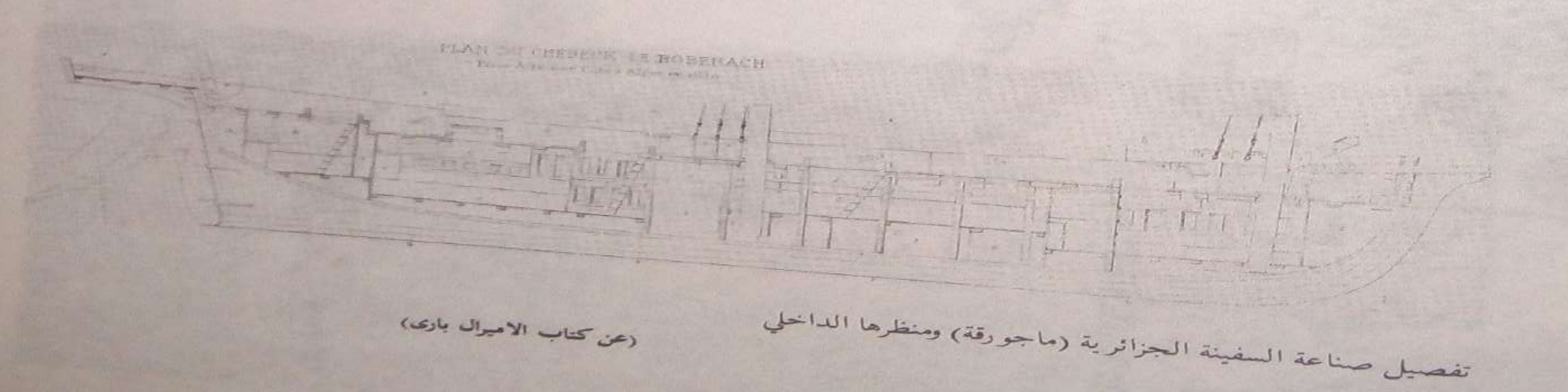
(مقر طائفة الرياس والمراكب الجهادية) رسمت أثر الاحتلال

(عن فيد)

الداي يشرف من سطح القصباء على معركة بحرية ، وترى تفصيل مدينة الجزائر العتيقة ومرساها

0 5 10 15 20 25 mètres

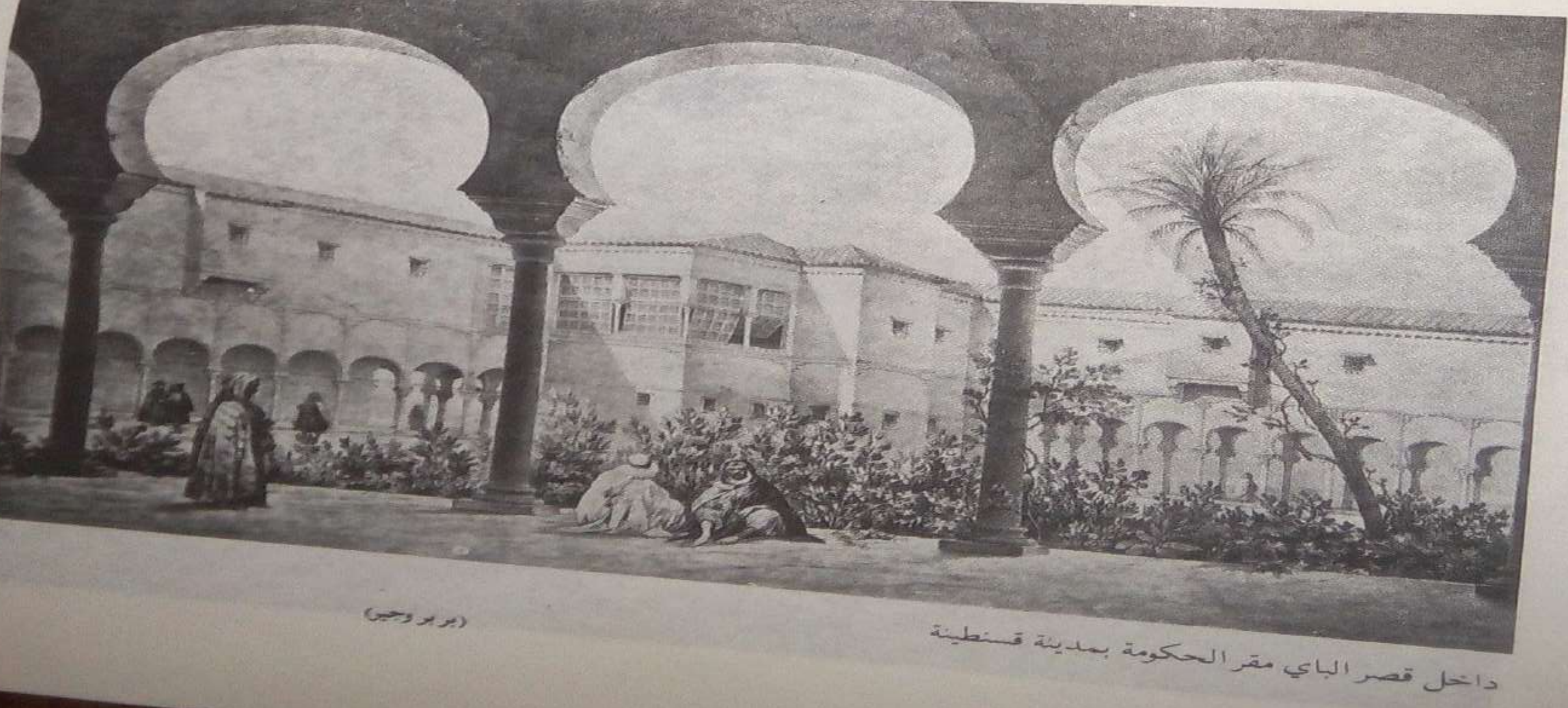
المنظر الخارجي للسفينة الجزائرية (ماجورقة) التي غنمها الفرنسيون في مرسى الجزائر عند الاحتلال واطلقوا عليها اسم «بو براش»



تفصيل صناعة السفينة الجزائرية (ماجورقة) ومنظرها الداخلي (عن كتاب الاميرال بارى)

من آثار محمد الكبير باي الغرب ، الى اليمين واجهة المسجد الكبير بوهران ، ومن فوق مدخل المدينة والمسجد الجديد

(ح. و. و. رجي)



داخل قصر الباي مقر الحكومة بمدينة قسنطينة

(بر بر وجي)

وبرج راس عمار بناه في قتاله الاخير مع الصبانيول . وكان أهل البلاد يذهبون ويخدمون هنالك بانفسهم يبتغون بذلك وجه الله ويرجون ثوابه . وكان للسلف الصالح ـ ايام هذا الباشا وقبله ـ رغبة في الجهاد ، وكانوا يسافرون في البحر مع المراكب الجهادية ويغزون ويتفاخرون بتلك الفضيلة على بعضهم بعضا .

وهذا الباشا هو اول من صنع اللنجور (نوع من مراكب الحرب) وقاتل به الصبانيول . وقبل صنع اللنجور كانت البومبة (القنبلة) تنزل على البلاد وتهدم الديار حتى هدمت جامع السيدة بازاء دار الملك[1].

فمن حسنات هذا الباشا رحمه الله أنه اعاد بناء ذلك المسجد العتيق وجدده احسن تجديد وكسه (زينه) باعراص (اصطوانات) الرخام الأبيض[2]، وكسا حيطانه بالزليج حتى لايرى البياض بداخله الا المنبر[3] واعراص الرخام .

ومن خيراته انه اتى بماء الحامة للبلاد وبنى له ساقية واوقف عليه اوقافا لخدمة مجرى الماء ان فسد ولا جرة وكيل الماء ، وامر بتفريقه (توزيعه) على ابراج باب الجهاد وعلى المساجد والقشل (الثكنات) العسكرية والميضات للوضوء . ومابقي فرقه علي العيون بزقاق البلاد يملا الناس منه للديار . وهذا الماء كان ياتي من قبل للبلاد انما كان ضعيفا .

الاستعداد الحربي :

ومن طاعته لله وامتثال اوامره انه كان يحب الجهاد وكان استعداده دائما للحرب . وكان مغرما بتجهيز المراكب للغزوات . وفي ايامه كثر الرؤساء في البحر[4] وكانت لمراكبه سمعة ، ومن أكبر رؤساء عصره الحاج محمد قبطان وكان له صيت في البحر . ومما وجد مقيداً في دفاتر الرؤساء ان هذا القبطان اتى باسارى في مدة سفره في البحر مامجموعه 24000 اسير .

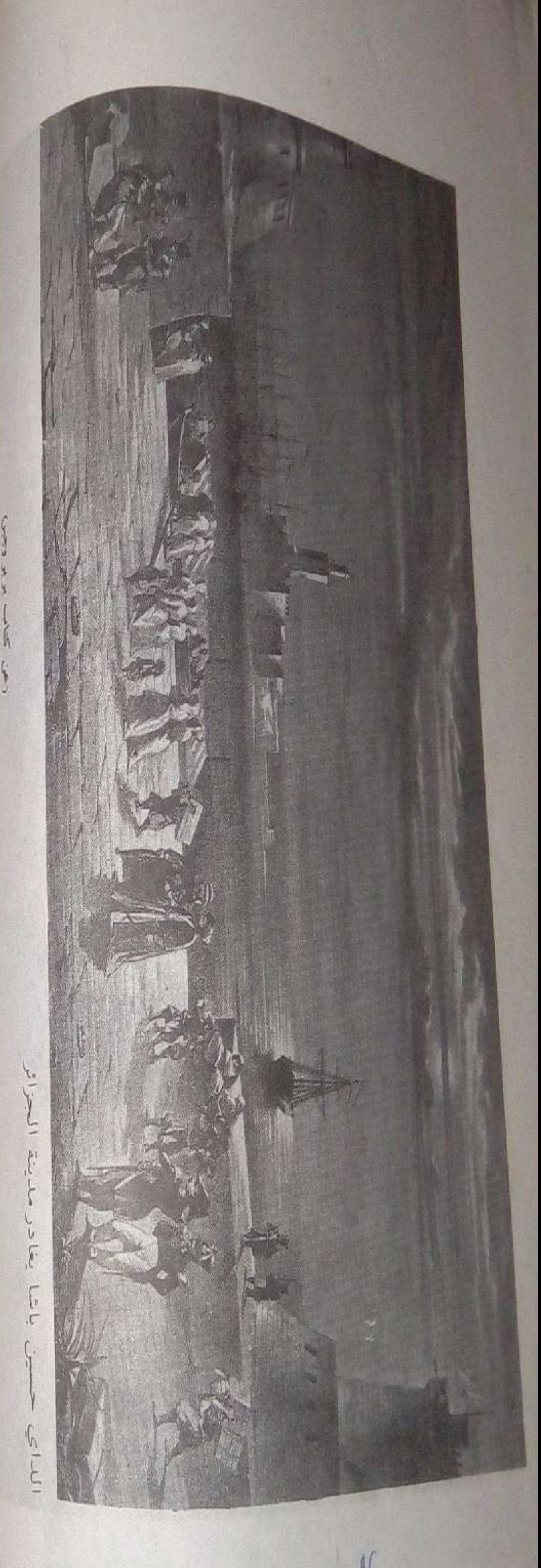
---

(1) قصر الجنينة السالف الذكر .

(2) هي الاسطوانات التى وضعت على مدخل الجامع الكبير أثر تهديم جامع السيدة بعد الاحتلال

(3) المنبر هو الموجود اليوم بالجامع الجديد وضع به أثر التهديم .

(4) القرصان .


الداي حسن باشا يغادر مدينة الجزائر

96

ومن جملة استعداد الباشا انه انشأ ثماني مراكب للغزو . وقد سمعت بعض من ادركت من رؤساء البحر العارفين بقول : أن محمد باشا انشأ فركاطة كبيرة وبركتي كبير عليه 24 مدفعا وستة شواطى .

وركب الحاج محمد قبطان واحدة من هذه الشواطى وخرج غازيا فالتقى مع شبطة مثلها للنصارى فوقع بينهما القتال والتصق المركبان فزدموا (هجم) المسلمون في شبطة النصارى واخذوها بالسيف واستشهد بعض المسلمين وغنم الباقون الشبطة واتوا بها للجزائر سنة 1184 .

الحرب والصلح مع الدانمارك :

لما نزل محمد باشا نقض المهادنة وجعل العداوة مع ديل المرك (الدانمارك) فاتوا باحد عشر سفينة وارسوا بالجون . وبعد ثلاثة أيام ابتدأوا يرمون البومبة على البلاد . ولم يصل منها الاشيء قليل واستمروا كذلك نحو الاحد عشر يوما ، ولما رأوا أنهم لايحصلون على طائل ذهبوا في سخط الله . وبقي المسلمون ياخذون لهم الغنائم الى العام القابل ، حتى رجعوا وطلبوا الصلح . فلم يرض الباشا بالصلح معهم الا بمشقة كبيرة . وشرط عليهم شروطاً منها ثمن الصلح . ومصروف القيرة (غرامة الحرب) زوج ملايين ونصف دورو (نحو 62 مليون فرنك من قيمة النقد الحالي) ومنها انهم يدفعون الغرامة كل سنة . فقالوا ان بلادهم بعيدة لكنهم يدفعون كل سنتين وعندما ياتون بالغرامة يدفعون العوائد لكافة رجال الدولة ورؤساء المراكب وكبراء الطرسنة (دار الصناعة البحرية) فرضوا بذلك ووقعت المهادنة وانزلوا القنصل . وضربوا المدافع وبعد ثلاثة أيام دفعوا مال الصلح ودفعوا فدوة اساراهم وحملوهم لمراكبهم ودفعوا العوائد لمستحقيها وذهبوا لبلادهم ، اما الصبانيول والنابلطان وغيرهم فلا زالوا باقين على العداوة (انظر في آخر هذا الفصل انشودة شعبية جزائرية متعلقة بهذه الحرب مع الدانمارك)

الحرب الأولى مع اسبانيا :

لما تغلب في السالف الاسبانيول على الاندلس وتمكن من جميع بلادهم كما هو مسطور في كتب المؤرخين . وكانت لهذا الجنس عداوة مع جميع المسلمين

وله قوة ومراكب انتقل الى بر المغرب واخذ وهران من يد بقية بني زيان ملوك تلمسان . وكان قبل ذلك اخذ بجاية ثم اخرجه منها ملوك الترك . وبقيت وهران بيده الى ان اخرجه منها الباي محمد سنة 1205 في أيام حسن باشا (وهوخلف صاحب الترجمة).

وكان محمد باشا من حين ولايته لايفتر عن بعث المراكب لغزو الاسبانيول فترجع بالغنائم . ويرمى السربة في ارضه فتسبى النساء والذراري والصبيان ، فلما أكثر عليهم المسلمون باخذ مراكبهم وبالسرايا في ارضهم . امرهم كبيرهم راى (ملك) الكارلوا . بان يرحلوا عن ساحل البحر الى دواخل البلاد ، فرحل أهل الشطوط من البوادي ولكن المسلمين صاروا يذهبون اليهم ويقبضون لهم أكثر من السالف حتى اجتمع من اسارى السبانيول في الجزائر مايزيد على العشرة آلاف خلاف الاسارى من بقية الاجناس . وقد اجتمع من الاسارى في هذه المدة ثمانية عشر الفاً .

بقي الامركذلك الى سنة 1184 حيث جاء الاسبانيول بعمارة فيها خمسمائة مركب وبقي ثلاثة أيام في البحر . وفي اليوم الرابع انزل عشرين ألف عسكري في موضع يقال له الحراش بينه وبين البلاد (الجزائر) مسير ساعة ونصف وبعض العسكر دخل للبساتين واخذوا العنب . وانزل الصبانيول آلات حربه وبنى المتارز وتحصن بها وبقي ثلاثة أيام وهويحارب داخل المتاريزولم يقدر احدان يتقدم إليه . ولم يتألم في هذا القتال الامن جهة واحدة وهي المقابلة له من ناحية الغرب فكانت هنالك طابة (حصن) تدعى خنيس بها رجل أسمه عمر ويعرف برامقصبص ادار مدفعين الى ناحية الصبانيول ولم يكن في الطابة فرجات للمدافع من تلك الناحية فاطلق المدفعين على الحائط واحدث به فرجة تجاه الصبانيول وأخذ يرميهم بالمدفعين وكان رحمه الله عارفا بحرب المدافع قياساً .

وفي اليوم الرابع صبيحة يوم الاثنين جاء صالح باي قسنطينة من ناحية الواد (الحراش) وقدم امام الصبانيول الالوف من الابل فلما قربت من المتارز ابتدأ القتال . وفي ذلك الحين جاء العسكر وأهل البلاد (الجزائر) ومعهم الخزناجي من جهة الغرب ، ومن جهة الجنوب كان خليفة باي وهران والآغة وخوجة الخيل باعرابهم . وفي الوقت الذى تقدم فيه صالح باي الى العدو رأى الناس نوراً مثل

البرق على المتاريز الاسبانيولية ونزل بعده مطر واستمر ذلك النور حتى رآه جميع الناس حتى النسوة في البلاد (الجزائر) من فوق السطوح.

حمل صالح باي اولا بقومه وعسكره على المتاريز. ثم لحقه الناس من كل النواحي فحملوا حملة رجل واحد واعلنوا بكلمة التوحيد وارتفعت الاصوات بالتهليل فتزلزلت الجبال لحملتهم ودخلوا المتاريز فوجدوا اغلب النصارى ملقين على الأرض بدون رؤوس والدم يفور منهم ولحقوا الهاربين منهم للبحر، لأن بين البحر وبينهم قدر نصف ميل فقتلوا من لحقوه وهرب من هرب في الزوارق الى مراكبهم وأخذ المسلمون ماترك الاصبانيول في المتاريز نحو مائة مدفع وجميع آلات الحرب واستغنى الناس في ذلك اليوم من اثاثه، من اثاث ودراهم وساعات وحوائج شيء لا يحصى(1) ولحقت البشائر لمولانا محمد باشا رحمه الله وقد قعد عند باب الملك في مكان كبير النوباجية ومعه خزنداره ومماليكه وهم يفرقون الاموال باذنه فاعطى لأصحاب رؤوس النصارى الاولى مائة سلطاني(2) على كل رأس فلما كثرت الرؤوس قلل لهم العطاء حتى صار يعطى عشر سلطانية على كل رأس وجاء اصحاب المدافع بالمدافع التي غنموها من العدو فاعطى مائة سلطاني لكل واحد من الناس الذين يحملون المدافع: فمدفع يأتي به اربعة رجال ومدفع يأتي به ستة، وآخر يأتي به ثمانية وهكذا الى ان اتوه بجميع المدافع. واما رؤوس النصارى فلما كثرت وضاقت بها الارض عند باب دار الملك امر من يخرجها الى باب الواد. واستمر يعطى للناس ثمن الرؤوس ذلك اليوم كله. فاصحاب الرؤوس يضعونها وياخذون حقها ويمضون، واناس آخرون يخرجون تلك الرؤوس الى باب الواد. واستبشر الناس بهذا النصر العظيم، وهذا مصداق قوله تعالى: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» وحقيقة الايمان في ذلك الوقت لازالت موجودة.

---

(1) هذا النصر العظيم كان من جملة اسباب انكسار المسلمين في سيدى فرج عام 1830 لأن الجزائريين ألفوا هذه الخطة وهي ترك العدو ينزل الارض بسلاحه ومتاعه ثم يصادمونه بقوة فيلقون به الى البحر ويغنمون ما معه. وقد نجحوا في هذه الخطة مع الاسبان وكادوا ينجحون فيها عام 1830 لولا قدر الله. ولو انهم تعرضوا هذه السنة لنزول الجند حسبما أشار عليهم به مرتين قنصل الانكليز لكان أضمن لنجاحهم.

(2) السلطاني مقدار 33.40 فرنك ذهبياً قبل الحرب اونحو 200 فرنك من نقود اليوم.

ولما قدم الاسبانيون وشاهد الناس عمارته بحيث غاب البحر بكثرة المراكب دهش الناس وقالوا مالنا منجاً ولا ملجأ الا الله، وهذا شيء لا نكاد نقدر عليه، ومالنا الا الصبر والدعاء فقرأوا البخاري وختموه وتضرعوا لله ثم صبروا وثبتوا حتى نصرهم الله.

اقامت بعد ذلك مراكب الاسبانيول ثلاثة أيام ثم سافروا بعد مارفعوا فوق سفنهم بنديرة سوداء «راية الحداد» وذلك سنة 1184. ولما ذهبوا سافرت المراكب الجهادية في اثرهم وغنموا منهم واتوا باسارى. وكانت الغنائم (تباع) بباب استان فيقع للتجار ربح قوي. وكان لاهل البلاد مراكب يسمونها قراك (حراقة أوكراكة) يغزون بها ويأتون كذلك بالغنائم.

وكان السماسرة (بذلك الباب) ينادون على الاسارى. وقيمة كل اسير مائة دورو. فكان الناس يملكونهم مدة ما اقاموا اسارى فاذا اتى الفداء يفتدونهم بالف دورو لكل رأس.

عصيان أهل جبل فليسة:

وقع قبل هذه الحوادث. وكانوا اناسا جهلة لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين. وكان فيهم من كان يتبع الكتاب والسنة، وكانوا من جملة الجاهلية يقتلون بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين ويذهبون الى متيجة ويسرقون في الليل ويذهبون الى جبالهم ويبيعون للسواقين عندهم. والذى ذهبت له ضالته يذهب للوقاف بجبلهم ويشتريها منه، ويمنعون البنات من الارث، ومن مات منهم فان اخاه او أبن عمه يرث زوجته وان لم تكن له بها حاجة فانه يزوجها من رجل آخر وياخذ منه صداقها بدل الصداق الذى أخذته من اخيه او ابن عمه. فكانوا لايخافون الله ولا يخشون الامير مانعين الزكاة والاعشار. بعث الامير إليهم محلة عام 1181 وقاتلهم فهزموا المحلة الاولى والثانية الى ان بعث لهم سبعة امحال (فرق عسكرية) واحدة فواحدة فصعد الجند لبعض جبلهم ومات خلق كثير من الجانبين. فعند ذلك طلبوا الامان من الأمير وادعوا التوبة من صنيعهم وتعهدوا بدفع الزكاة والاعشار في كل سنة. فجعل الامير لهم اشياخا. ورجعت الامحال.

خروج المراكب الاسلامية مددا لاستانبول

بعث السلطان مصطفى بن السلطان احمد العثماني رحمهما الله يطلب المراكب الجهادية الاسلامية من الجزائر الى استانبول . وطلب كذلك مراكب تونس. وذلك سنة 1183 . فامتثل مولانا الباشا أمر السلطان وامر ايده الله باصلاح خمسة مراكب واعطاها ماتحتاجه وتوجهت مصحوبة بالسلامة والظفر والتأييد . وكان القبطان عليها ابن يونس رحمه الله فاقاموا هنالك خمسة اعوام ثم رجعوا للجزائر. وكان رجوعهم بفضل قبطان باشا (القائد العام للاسطول التركي) في ذلك الوقت وهوحسن باشا الجزائري.

كان هذا الباشا في السالف باي وهران ، ووقعت له واقعه مع دالي ابراهيم آغا شقيق علي باشا والي الجزائر السالف سببها حصان اراد ان يأخذه دالي ابراهيم من حسن باي ، فاعتذر هذا عن اهدائه لشقيق الباشا ولم ينفعه اي اعتذار . فقال حسن باي لدالي ابراهيم : اسمحلي ان أذهب على حصاني هذا لوهران ، وعند وصولي ارسله لك فلما وصل الى وهران وكان قد اغتاظ غيظاً شديداً ظهر له انه لايعطى الحصان ولوكان ما كان فبعث له الآغة عليه ، واشتدت العداوة بينهما ، فاكترى مركبا وسق عليه جميع ما عنده وحمل الفرس الذى وقعت عليه العداوة وسافر الى استامبول ، فلما فقده عماله في وهران كتبوا للباشا (علي باشا) واخبروه بهروب الباي فاولى بابا مكانه ، ولما ظهر خبره في استامبول بعثوا بأثره شاكين منه للسلطان بأنه حمل معه مالا كثيرا من أموال البايليك فاظهر للسلطان تذاكر الحساب ، وقد صادف ان كان هروبه أثر دفعه اللزمة (الضرائب) الواجبة عليه حين قدومه للجزائر ، وقد كان من عادة البابالار (جمع باباي اب بالتركية ويطلق أهل البلاد هذا الاسم على كبراء الاتراك) انهم كانوا يدنشون (يدفعون اموال الدولة . واللفظ محلى محدث) كل ثلاثة اعوام فيدفعون اللزمة ويأخذون تذاكر الخلاص . فلما رأى السلطان التذاكر وظهرحق الباي صرف الرسل وأقام حسن باي هنالك الى ان ولاه السلطان منصب قبطان باشا . فلما جاء فصل الشتاء سرح المراكب الجزائرية لأنهم اقاموا خمسة اعوام على أن يقضوا فصل الشتاء بالجزائر ويرجعوا في فصل الصيف.

سفر الدونانمة (1) الثانية :

ولما جاء المصيف امر مولانا الباشا بتجهيز خمسة مراكب واعطاها ماتحتاجه . وكان القبطان عليها الحاج محمد رايس رحمه الله وتوجهوا في حفظ الله فلما وصلوا الى جزيرة كريت لم يجدوا قبطان باشا فلم يلحقوه . والسبب في هذا هو كثرة العدووهم كانوا في خمسة مراكب فقط فاقاموا هنالك ستة أشهر. ثم رجعوا للجزائر.

الدونانمة الثالثة واعمالها :

توفي السلطان مصطفى وتولى بعده أخوه السلطان عبد المجيد سنة 1184 فارسل الباشا الدونانمة الثالثة مؤلفة من خمسة مراكب والقبطان عليها هو الحاج سليمان رحمه الله . فلما وصلوا للجزر «الجزر اليونانية في بحر الارخبيل» التقوا مع مراكب يونانية تدعى اللنبرو فمهما وجدوا مركبا الا اخذوه وقاتلوا اناسه وحملوا مافيه من المتاع الجيد واغرقوه بما بقي فيه . وكان السلطان قد بعث لهم مراكبة مرارا فلم يظفر بهم الا ان نفذ الله وعده فيهم فالتقوا مع مراكبنا قرب سيرا (بيلاد اليونان) وكان كبيرهم في فركاطة فتقاتلوا مع المسلمين وكان الرايس صالح رحمه الله في الشبطة الكبيرة فلما اقترب من الفركاتة اليونانية التصق بها وحمل المسلمون بالسيوف على من بالفركاتة فهرب الكريك «اليونانيون» وقتل من قتل منهم وأخذ المسلمون الفركاتة .

فلما رأى اليونانيون ان كبيرهم أخذو كانوا بعيداً عنه ورأوا مراكب المسلمين في اثرهم هربوا والمسلمون في اثرهم الى ان حرثت (شحطت) مراكب اليونان في البرقرب سيرا . فلما رأى المسلمون ذلك بعثوا الزوارق واحرقوا مراكب اليونان. وكانت هذه المراكب «مراكب قرصان اليونان قد اهلكت منذ زمن طويل جميع الناس . فكانت مراكب التجار لا تسافر الا مع الكنبرى (سفينة حربية) سواء من اسكندرية اومن ازمير. فاراح الله منها البلاد والعباد.

ثم ان المراكب الجزائرية سارت الى استانبول . فلما وصلت الى بوغاز جناقلعة (الدردانيل) اخبروا السلطان عبد المجيد بقدومهم وبما فعلوا ففرح السلطان

(1) الاسطول الحربي باللغة التركية .

رحمه الله بذلك وامر بطلوعهم الى استانبول . فلما طلعوا واقتربوا من البلاد صلبوا جميع الكرايك الزنبطوط (القرصان أي لصوص البحر) على الصواري واللنطات في المراكب الجزائرية والفركاتة المغنومة . وجعلوا الصناجق وجعلوا يضربون المدافع من كل مركب يميناً ويساراً الى ان ارسوا.

قيل ان السلطان رحمه الله هو الذى أوصى القبطان بان يفعل بالزنبطوط كذلك وقيل ان بعض رجال الدولة اغتاظ من أخذهم فبعث للقبطان يستوصى بهم خيراً واغتاظ القبطان لذلك لأنهم كانوا اذاية للناس ففرقهم على المراكب وامر بصلبهم فجزى الله المسلمين بنعيم الجنة ورضوانه لأنهم بذلوا انفسهم في الحرب مع هؤلاء الكرايك الذين كانوا اقوى منهم عدة وعدداً.

ولما وصلوا لاستانبول وسمع المسلمون بهذه الغازية وبما فعلوا بالكرايك من تصليبهم استبشر المسلمون وتنكد المنافقون . وخرج كافة الناس لرؤية المراكب الجزائرية واليونان المصلوبين . وكان ذلك اليوم عند أهل استانبول كأنه يوم عيد وموسم جديد وكافة الناس يدعون للجزائريين بالنصر . وقد كان الموسكو (روسيا) قد اشتد باسه على المسلمين . فلما رأوا الفتح الذي فتح الله به على يد الجزائريين قالوا ان شاء الله يكون النصر للسلطان هذه السنة بفضل هؤلاء المجاهدين . ومن الغد بعد وصولهم اعطاهم السلطان قناقا (عمارة عسكرية كبيرة) نزلوا فيه ومن فرحه بقدومهم اعطاهم الخرج الكبير والحرمة العظيمة لاقل الناس من أهل الجزائر.

فلما أقاموا اياما واستراحوا وآن وقت السفر لقره دنيز (البحر الاسود باللغة التركية) بدل لهم السلطان مراكبهم واعطاهم الفراكط والسفن وتركوا مراكبهم هنالك ، وسافروا مع الدونانمة السلطانية الى قره دنيز ، فتلاقوا مع العدو (الروس) ووقع بينهم قتال عظيم يرضى الله والرسول . ثم بلغهم بعد أيام ان الارمدة (الاسطول الحربي باللغة الاسبانية) الروسية دخلت الى مرسى جنكلة . فدخلوا عليها هنالك واحرقوها ، ولما رجعوا الى استامبول وقع الصلح بين السلطان والموسكو وذلك في جمادى الثانية 1188 . فوضعت الحرب اوزارها وانقضى أمر الفتنة التى سهرت لها العيون وشابت منها النواصي وتصدعت لها القلوب وطال عهد الاسلام بمثلها ، عندئذ اقلعت المراكب بعد اجتماعها كلها الى البوغاز فصادفوا مركبا للمحاربين من القربك

(اليونان) فاخذوه ودخلوا البوغاز واهدوا الاسارى لقبطان باشا وتقاسموا باقي الغنيمة . ثم أحسن اليهم مولانا السلطان عبد المجيد ومن كرمه رحمه الله أنه اعطاهم فركاطة وكرفيت ومركب ثالث كبير لا أعرف أسمه . فلما بلغوا موضعا يقال له الفرات بين المنستير والمهدية بالبلاد التونسية حرثوا هنالك (دخلوا في الرمال) فاما الفركاطة فتكسرت واما بقية المراكب فقد خلصوها وحملوا فيها مدافع الفركاطة وجميع ماكان فيها من آلات الحرب وكان رجوعهم في آخر تلك السنة 1188 .

الجوع :

بعد ذهاب الاسبانيول في المرة الأخيرة سنة 1184 وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات ، واعطى الله القحط وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري(1) باربع بجة(2) والناس يموتون جوعا في الاسواق قالوا ان الرجل كان يأكل مقدار ما يأكل الرجلان ولا يشبع . وبعد الأكل يموت وهو يقول جعت جعت . اعاذنا الله من هذا الداء لانه ليس له دواء وسمعت من بعض من اثق به من الشيوخ الذين حضروا هذه المجاعة قالوا ان القمح كان قليلا لا اتذكر هل قالوا ان ذلك كان من قلة المطر او من كثرة المطر وترادفت السنين بذلك . واما اللحم والسمن والروز (الارز) فكان خيراً كثيراً وفيها الرفق في الاسعار. واما القمح كما قلنا فهو باربعة بجة للصاع وهو مقدار دورو ونصف اسبانية . في ذلك الزمان ظهر لهم الدورو ونصف مقدارا كبيرا . اما هذا الوقت الدورو ونصف كلاشيء . وقد حضرت أنا سنوات الغلا (ارتفاع الاسعار) فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219 وكنت صغيراً دون البلوغ بخمسة عشر بجة وهي خمسة دورو للصاع الجزائري فلم يعده الناس غلاء ولم يمت أحد . وذلك لكثرة وجود الدراهم بين ايدي الناس .

الحرب الثانية مع اسبانيا :

لما كانت سنة 1197 قدم الاسبانيول للمرة الثانية مثل المرة الأولى وارسوا في الجون بعيداً عن رمي الكور «القنابل» واتوا بزوارق كبيرة بعضها بالمدافع

---

(1) الصاع الجزائري مقدار 34 كيلو تقريبا .

(2) البجة تساوي 13 . 3 فرنك ذهبا قح اونحو 70 . 18ف من نقود اليوم .

وبعضها بالمهارز لرمي البومبة «قنبلة من الحديد لتهديم الحصون» وبعد ثلاثة أيام بعثوا الزوارق المذكورة واسمها «اللنجور» لقرب البلاد وصاروا يرمون البومبة وفي ذلك اليوم تهدم الجامع الذي بناه محمد باشا «صاحب الترجمة» وهو جامع السيدة ، تسمى على اسم التى بنته وهي بنت مولاي الناصرى ملك بجاية . ولعله كانت هنا قرية ولم يكن بها مسجد فبنته للخطبة ، وكان مالكياً . فلما بنيت البلاد «الجزائر» وجمعت تلك القرى ووضعت دار الامارة «الجنينة» بازائه جعلوا له اماماً حنفياً .

لما بدأ الأسبانيول الحرب بعث مولانا الباشا الى الحاج محمد القبطان وقال له ماذا نفعل مع هذا اللنجور الذى اوقع في البلاد هدماً كثيراً ؟ فظهر للحاج محمد القبطان ان يعمر زوارق كبيرة كان فيها الجير المعد للبناء ويجعل فيها مدافع . وعندما يقدم العدو باللنجور يقاتله بها . واذن له الباشا بذلك ، فخرج من عنده الى باب الجهاد وعمر تلك الزوارق في الليل بالمدافع . ولما اصبح الله بخير الصباح تقدم العدو كأول مرة فخرج اليه المسلمون من المرسى على تلك الزوارق وقاتلوه ورزقهم الله النصر عليه ، فولى العدو الادبار . وتقدم في اليوم الثالث كذلك ولم يحصل على طائل وذهب في اليوم الرابع .

الاستعداد للحرب الثالثة :

لقد سمعت ممن حضر ذلك الوقت ان الاسبانيول تكسر لهم لنجور من الذى كانوا يقاتلون به وجده المسلمون في عين الربط[1] في رملة هناك ، وسمع بذلك القبطان المذكور «الحاج محمد» فارسل إليه معلم السفائن فعاينه واخذ قالبه والتقي القبطان مع الأمير واتفقوا ان يجعلوا من ذلك الصنف نحو خمسمائة لنجور . فامر واكبير الطرسنة «دار صناعة السفن» ويقال له وكيل الحرج ـ ان يباشر صنع ذلك . فصنع العدد الذى اوصى به مولانا رحمه الله واوجدوه قبل تمام السنة ، وقيل اوجدوا أقل من ذلك المقدار . وكان النجارون من أهل البلاد يعملون مع النجارين متاع الطرسنة . وشاعت الاخبار عند الناس ان الاسبانيول راجع لامحالة

(1) عين الربط تدعى اليوم «شان دي مانوفر» اي ساحة المناورات .

فتكلم الوزراء فيما بينهم وقالوا : ان هذا الخبر فشى عند الناس عامة والامير ساكت لا يتكلم عنه . فاتفقوا انهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون به ويتكلمون معه ـ وكان من عادتهم أنهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون معه ويتكلمون في الامور ـ فلما أجتمعوا به يوم الجمعة قال له الخزناجي : اننا سمعنا كذا وكذا ورأيناك لاتتكلم على هذا فهل عندك خبر به أم لا ؟ فقال لهم ان الخبر يأتيني عن الرجل اذا تقلب في فراشه فكيف بهذا ! وسكت عنهم .

ولما تمت السنة وأتاه خبر خروج العمارة من بلاد الاسبانيول بعث الى القبطان الحاج محمد واخبره بخروج العمارة من قرطجنة وقال له ما المفعول الآن ؟ فقال له لابأس علينا بحول الله وامر ناكله ناجز لكن اطلق المسجونين عندك . فقال له ومن هو مسجون عندي ؟ قال أفتح خزائنك ! فقال له اذهب وافعل ما تريد والمال بيدك . فقال : الآن تحققت اننا انشاء الله نهزم عدونا . وذهب القبطان وعمر سفن اللنجور ووضع العسة في جميع الابراج .

الحرب الثالثة والاخيرة مع اسبانيا :

فلما قدم الاسبانيول للمرة الثالثة سنة 1198 ارسل مراكبه ومكثت ثلاثة ايام[1] وفي اليوم الرابع بعث اللنجور للقتال فخرج إليه المسلمون وتلقوه باللنجور كذلك وتقاتلوا معه باللنجور ومن الابراج التى تصل منها الكورة (القنبلة) اليه مقدار ساعتين . ثم رجع لمراكبه ورجع المسلمون للمرسى . وكان الحاج محمد القبطان رحمه الله معهم اثناء القتال في زورق . ومعه زوارق صغار من غير مداعى تدفع شكايف يرسلها القبطان وقت القتال اما للتقدم او للتأخر او لتحمل الناس اذا تكسر مركب ولتجر اللنجور الذى يسقط . والقبطان دائما أمام اللنجور في (الطليعة) دخولا وخروجا . وكذلك وقت القتال .

فلما وصل المسلمون للمرسى انزلوا المجاريح لموضع الاطباء ليجعلوا لهم الدواء او ليقطعوا الايدي والارجل التى استحقت القطع ويدفن الاموات . ثم يعطي القبطان سلطانيا ذهبا لكل رجل . وكان القتال صباحاً ومساء ويقيمون كل يوم هكذا

(1) تنتظر هل يرسل لها الامير من يذاكرها في الصلح .

...العدو... وركوب

مدة القتال ولا يأتي وقت الخروج للاقاة العدو

معهم [1] ولا يصل لذلك الا الرجل الشجاع . وقد سمعت من احد الحاضرين انه وقت الخروج للاقاة العدو يصلى الناس صلاة الجنازة على الخارجين للحرب ويصيح الناس بالدعاء والصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم . ويخرج المجاهدون تصحبهم آلات الطرب والجواق (الناي) كأنهم خارجون للنزهة وهم مع ذلك يرون في كل قتال من الاموات والمجاريح ومن مقطوع اليدين والرجلين . ومن هو اعور العين ومعدوم العينين . وهم مع ذلك لا يلتفتون الى ذلك ولا يتغوشون (يتغيرون) منه واقام الاسبانيول على ذلك اياما . وتأكد له أنه لا طاقة له على الجزائر فذهب .

كيف تم الصلح من اسبانيا :

اثناء ذلك القتال امر حسن وكيل الحرج (الذى صار بعد صاحب الترجمة باشا الجزائر) كبير الطرسنة بأن يأمر القبطان باعطاء ربع سلطاني في اليوم الواحد بدل سلطاني كامل للبحرية الذين يقدفون (يسيرون السفن بواسطة المجاذيف) فقال هؤلاء كيف كنتم تعطون سلطانيا وانقصتم لنا اليوم ؟ ثم سكتوا فلما رأوا العدو خارجا من مراكبه للقتال ، خرج البحارة المسلمون من غير نشاط ولا مبادرة في التجذيف . فوصل العدو قبل وصولهم لموضع المعركة وزاد في التقدم كثيرا وصار يرمي البومبة على البلاد خصوصا على دار الامارة كأنه كان يعرفها واقتضى من رأي الخزناجي وغيره ان يحملوا الباشا للقصبة فنقلوه إليها وبعدأن التقى الجمعان ووقع القتال وافترقوا فرجع الاسبانيول لمراكبهم والمسلمون للمرسى ، قال رجال البحر للجذافين لماذا تأخرتم حتى صار هذا الأمر ؟ قالوا لهم هذا هو قتال الربع سلطاني ! ومن الغد اعطوهم السلطاني كاملا كأول مرة فخرجوا بنشاط. ولم تصل البومبة للبلاد .

والسبب في هذا الأمر هو ان حسن وكيل الحرج المذكور سالفا كان ارسله محمد باشا وارسل معه الباشكاس أي الهدية لجلالة السلطان في استامبول فلما كان اثناء الطريق لحقه بعض مراكب الاسبانيول وطلعوا للمركب الذى هو فيه وكان

---

(1) اي الركوب من رجال البحر الرسميين تطوعاً ورغبة في اجر الجهاد .

مركبا لجنس آخر من النصارى . وتكلموا معه على ان يتوسط لهم في الصلح واتهمه الناس وقالوا انه اخذ من الاسبانيول مالا جزيلا . وقالوا انهم اهدوا اليه صورة شاة صوفها كله جوهر ورأسها وقوائمها كلها حجارة كريمة وتكلم الناس كثيرا في هذا المعنى .

فلما رجع حسن وكيل الحرج من استامبول خاطب مولانا الباشا في الصلح فكان يقول لاصالحهم مادمت حيا وبقي الأمر كذلك الى ان جاء الاسبانيول في المرة الثالثة . ووقع تنقيص الدراهم لاصحاب اللنجور ووقع ماسلف ذكره من ضرب دار الامارة ونقل الامير للقصبة كان كل ذلك بقصد التاثير عليه لقبول الصلح وتم الامر كذلك .

فلما كانت سنة 1199 اتي الاسبانيول للصلح . واتي معه بالاسارى الذين عنده وابدلهم بالنصارى الاسارى . اما الاسارى الباقون من الاسبانيول فدفع عنهم الف دورو على الرأس وكذلك دفع لاهل البلاد قيمة الاسارى الذين بأيديهم الف دورو لكل رأس . وحمل الاسارى ووقع الصلح بينهم على مائة سنة . وذلك في البحر فقط اما في البر من جهة وهران فلم يقع الصلح الى ان فتح الله على المسلمين في اول ولاية حسن باشا خلف صاحب الترجمة . ودفع الاسبانيول ثمن الصلح وغرامة مائة سنة سلفاً . وانزل القنصل ودفع العوائد وقد سمعت ممن حضر ساعة نزول المال (ثمن الصلح والغرامة) قال : رأيت بمرسى الفلايك ساعة نزول صناديق المال كانوا يضعون الواحد منها فوق الآخر على مسافة كبيرة حتى امتلأت الرحبة التى هنالك وصارت الصناديق فوق بعضها بعضاً مستوية مع سطوح المخازن على مرتين أو ثلاث مرات . وأهل القيروانة نحو اربعمائة أسير خلاف البساكرة الحماليين كانوا يحملون ذلك مدة ثلاثة أيام من الصبح الى الليل . وقد تعمرت بذلك المال الخزانة الاولى والثانية ووضعوا منه في الثالثة . هذا خلاف مادفع عن الاسارى لأهل البلاد . وتكاتبوا على الصلح واطلقوا المدافع من السفن واجابوهم من الابراج واطفأ الله نار تلك الفتنة ، ووضعت الحرب اوزارها . وحينئذ اقلعت مراكب الاسبانيول وذهبت . فلله الحمد والشكر على خلاص المسلمين الاسارى الذين كانوا عند الاسبانيول .

ذكر قدوم البابالار[1] بعد الثلاثة اعوام

ترتيب الدنوش[2] :

كان للاتراك بأرض الجزائر ثلاث بايات : باي وهران ، وباي قسنطينة ، وباي المدية . وهم مرتبون على حسب فتوحات الاتراك الاوائل . فأول فتوحهم كان ناحية تيطري فأولوا هناك بايا واسموه باي البايات (بايلارباي) واسكنوه المدينة وجعلوا له خليفة واعوان واغوات : آغا[3] الدوائر وهم من الاعراب وآغا الصبائحية وهم من الترك .

ثم لما فتحوا ناحية المغرب : تلمسان واحوازها ، ومعسكر ونواحيها ، والقلعة ومستغانم وماجاورها جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب .

وأخيراً فتحوا الناحية الشرقية ونصبوا فيها بايا وسموه باي الشرق . وكانت قسنطينة بيد ملوك تونس[4] فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها فكان هذا الباي هو اصغر البايات في التقديم . واما من حيث القوة ووفرة الرعية فلا يضاهيه باي تيطري ، ولا باي الغرب . ولزمته «ما يدفعه من الضرائب» لا تعدلها لزمتهما .

ثم بنى الاتراك برجا في سباو قرب زواويت وجعلوا فيه قائداً ولم يسموه بايا . وكان هؤلاء البايات يدنشون كل ثلاث سنوات ، وخلفاؤهم يدنشون مرتين كل سنة وعندما يدنش البايات لا يدنش الخلفاوات[5]

---

(1) يعنى «الاباء» في اللغة التركية جمع كلمة «بابا» تطلق على رؤساء الترك وتفيد الاحترام والتبجيل .

(2) كلمة محلية معناها «المحاسبة على الضرائب .

(3) الآغا قائد الجند .

(4) بنى حفص .

(5) خليفة الباي يقدم للجزائر مرتين في السنة لمحاسبة الدولة وكل ثلاثة اعوام يقدم الباي بنفسه ، ولا يقدم معه الخليفة ، فيتولى المحاسبة العامة مع الدولة .

فكان قدوم باي تيطري وباي الشرق وقائد سباو يقع في الربيع كل ثلاث سنوات ، وقدوم باي الغرب يقع كذلك في الخريف . ولم يكن لقائد سباو خليفة مثل البايات .

استخلاص الضرائب :

الخلفاوات يأتون في آخر الربيع فيخرجون معهم الامحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والاعشار . وهكذا وضع الاوائل الجباية على المنهج الشرعي ، والاواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب اموال المسلمين . وما وقع هذا حتى صار الناس فجاراً والامراء ظالمين !

فاما محلة الغرب فتخرج في ابريرأفريل وتقيم اربعة شهور . ومحلة تيطري تخرج في الصيف وتقيم ثلاثة شهور ، ومحلة الشرق تخرج في اليوم الاول من الصيف وتقيم ستة شهور . واما قايد سباو فلا محلة له . وان وقع عصيان في رعيته تأتيه محلة مخصوصة يقضي بها مآربه مع الباغي وترجع ، وليس ذلك كل سنة .

بين البايات والأمير :

وكل باي من البايات ، له في مدينة الجزائر وكيل وكاتب ، وله دكان ـ مكتب ـ قرب دار الملك يقيمون فيه . فاذا جاء السيار من عند الباي للجزائر فانه ينزل عند الوكيل بالدكان ، ويدفع للوكيل المكاتيب التي جاء بها فيقرأ الوكيل الكتاب ويطلع على مافيه ليعرف كيف يتكلم مع الأمير . وبعد ذلك يحمل الكتاب للامير ومعه السيار ، فحين يدخلون على الأمير يسلم له الوكيل الكتاب ويقف فيأذن لهم في الجلوس فاذا جلسوا يسألهم عن الباي فيبلغون له سلامه واذا كان عندهم أمر يتكلمون فيه فيأتون لهم بالقهوة فاذا شربوا القهوة وانتهى الحديث سلموا عليه وخرجوا ، وبعد خروج الوكيل من عند الأمير يسلم المكاتيب التي باسم الوزراء والسيار يبيت بدار الملك .

دنوش باي الغرب والحفلات الكثيرة :

لما وقعت المهادنة مع الاسبانيول كما ذكرنا ، جاء وقت الدنوش فقدم الباي

محمد باي الغرب ، وجاء معه بأموال وتحف وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والصوغ والأثاث الفاخر . فخرج من مقر إمارته معسكر ومعه جيش كبير من اتباعه وكبراء المحوج(1) وقياد وأغوات راكبين الخيل المسومة ذات السروج الذهبية . وعليهم لباسهم الفاخر ومع الباي خزائنه المقومة.

خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ويضربون البارود والصناجق(2) والطبول تدق خلفه الى ان وصلوا موطن المبيت فنصبوا خيامهم وبنوا فساطيطهم الملونة . وباتوا ليلتهم على اكل وشرب . وهم في فرح ومرح لقرب ملاقاة المولى الأمير الباشا . فلما اصبح الله بخير الصباح وقاموا بفريضة الصبح ركبوا وساروا وهم يلعبون ويضربون البارود والناس تتلقاهم بالهدايا للباي وهو يكافيهم على حسب المقامات : فمن كان يستحق الخيل يعطيه الخيل ومن كان يستحق العبيد فيعطيه الاماء والعبيد الصغار ، ومن كانوا يستحقون اللباس فيعطيهم البرانس الزغداني(3) والجباك الحمر صنعة تلمسان . وكان في بعض الاحيان يعطي الخيل والعبيد والكسوة لذوي الاقدار من الاشراف ومن له قربة بالمخزن ، ويلاقيه الفقراء من العسكر وغيرهم - واغلبهم من الاتراك - وكل يوم يتزايد عددهم ولا يتخلفون عنهم . وكل يوم عندما يصل لجهة المبيت يوزع عليهم الدراهم ، فمنهم من يأخذ ريالا ومنهم يأخذ ريالين ، وهكذا كل يوم حتى يصل للجزائر وخصوصاً عند مايكون بينه وبين الجزائر مرحلتان او ثلاثة فانه يجتمع عليه خلق كثير للطمع . ويرسل عندما يقترب من المدينة باش سيار وبيده كتاب للباشا يستأذنه في الدخول فيرد له الجواب ويأذنه في الدخول ويعين له اليوم الذي يدخل فيه .

عندئذ يخرج القائد آغة العرب ، وهو الوزير الثاني للباشا ومعه قومه وقواده وصناجقه وطبوله ويلتقي الجمعان في موضع يقال له بوفاريك بين البليدة والجزائر . فينزل الباي والآغا في موضع قبل بوفاريك يسمى «عيون الشعر» فيتبادلان السلام ويبلغ الآغا للباي سلام الامير ويهنيه بسلامة الوصول ، ثم يقدم له هدية سنية

(1) شيوخ القبائل العربية .

(2) جمع صانجاق اي الراية والعلم واللفظة لا تزال عامة الاستعمال بشمال افريقيا .

(3) برانس رفيعة الصنعة شديدة الدقة من الصوف العسلية اللون .

من الأمير وهي : فرس وسرج كله من الذهب وعليه زوج أكوابس ذهب يضعونها في مقدم السرج وسيف من الذهب ومكحلة «بندقية» ذهبا فيأخذ الباي الهدية ويدعو للامير . ويمكثون هنيهة ريثما يشربون القهوة ثم يركبون ويسيرون جميعا وقومهم يلعبون بالسلاح بين ايديهم والنوبة الجزائرية التي أتت مع الآغا تضرب انغامها وأهل اللعب يضربون البارود فاذا وصلوا لدار المبيت وهي : بوفاريك يذهب الباي لوطاقه «خيمته» ويذهب الآغا لوطاقه وكل واحد منهم نازل مع قومه على حدة .

فاذا كان وقت المغرب يرسل الآغا للباي ويطلب منه القدوم إليه ليضيفه فيركب الباي ويذهب لوطاق الآغا وعند قدومه يتلقاه الآغا عند باب الوطاق فيتبادلان السلام ويقعدان معاً . فإذا اذن مؤذن المغرب يأتي إمام الآغا ويقيم الصلاة فيفرشون لهم الزرابي ويصلون داخل الوطاق . وعند انتهاء الصلاة يجلسون في مواضعهم فتوضع لهم السفرة بين ايديهم ويتقدم معهم القياد والآغوات الذين اتوا مع الباي . أما القياد الذين جاءوا مع الآغا فيظلون واقفين . وبعد الانتهاء من الاكل وشرب القهوة يعطي الباي العوائد لخدام الآغا ويحسن اليهم ، ويذهب بعد ذلك لوطاقه ليستريح . فاذا استراح يبعث لقياد الاغا وشواشه احسانهم : فمن هم اهل للخيل مثل القياد والشواش الكبار يرسل لهم الخيل والبرانس الزغداني . ومن هم أهل للعبيد يعطيهم العبيد وهكذا الى ان يتممهم . والآخرون مثل الزرناجية والطبالين وخدام الباي الصغار والمماليك فيحسن اليهم بالدراهم . ثم بعد ذلك يدفع الدراهم لأهل الصدقات الذين يأخذون منه كل يوم . فاذا فرغ من ذلك يأتي اصحاب آلة الطرب من الترك ومن أهل البلاد والمسامع(1) فأما المسامع فيضربن دفوفهن عند باب الوطاق وينصرفن بعدما يحسن الباي اليهن . ويتقدم الاتراك فيضربون من امرهم شيئاً قليلا ويحسن إليهم وينصرفون كذلك . وعندئذ يدخل اصحاب الآلة الجزائرية(2) فيجلسون بين يدي الباي ويضربون الربابة والكامانجة والعيدان . وعند انتهاء المجلس يحسن إليهم ويذهبون كلهم وينام الجميع .

(1) النسوة اللاتي يحترفن في الجزائر الرقص والغناء ونقر آلات الطرب ويطلق عليهن هذا الاسم الى اليوم .

(2) وهم وارثو الفن الاندلسي الرفيع الذي تناقلوه خلفا عن سلف ولا يزال محفوظا عندهم الى الساعة الحاضرة بموسيقاه الثرية وانغامه الشجية وبدائعه الرائعة .

ومن الغد بعد صلاة الصبح يركب الباي والآغا وكل جموعهم ويسيرون معاً نحو الساحة ثم يتوادعون ويذهب الاغا لطريق الجزائر ويسير الباي لطريق حوشه[1] ويسير الوكيل معه لأنه هو الذي يقف على احضار الطعام له.

ينزل الباي في حوشه ويقيل هنالك ويخضبون الحناء للخيل فاذا افطروا ركبوا ويسير الباي والوكيل الى موضع يبعد نصف ساعة عن الجزائر يدعى «عين الربط» قرب من البحر، وهو موضع معد لنزول الامحال في الخروج من الجزائر وتجتمع المحلة هنالك ويبيتون «ويبيت هنا أيضا باي تيطري عند قدومه. اما باي الشرق فانه يبيت عند قنطرة (جسر) الحراش. وفي آخر الليل يأتي لعين الربط فيصبح هنالك.»

وعندما يصل الباي الى عين الربط كما ذكرنا يأتيه طعام العشاء من دار وكيله. وفي الصباح بعد اقامة الصلاة يجلس الباي في موضع هنالك فيه بناء وصهريج كبير للماء ويفترق معه عندئذ وكيله فيذهب للامير ويقبل يده ويسلم عليه سلام الباي ويخبره ان الباى وصل الى عين الربط وبات هناك، وانه ينتظر الأمر بالمثول بين يديه فعندئذ يصدر الأمير امره للخزناجي والآغة وخزندار بان يتوجهوا لملاقاة الباي، ويأتون معه، فعند ذلك يركب الخزناجي وخزندار ويخرجان من دار الملك ومعهم الصناجق والطبول. فاذا وصلوا الى موضع حكم الآغا يركب ويذهب معهم الى عين الربط، فاذا رأى الباي طلائعهم يركب لملاقاتهم ويسير نحوهم قدر الميل ثم ينزل وينزلون ويسلمون عليه ويعانقونه ثم يركبون الى الموضع الذي كان الباي مستقراً به وينزلون هنالك ويجلسون وتأتيهم القهوة والخيل تلعب امامهم والبارود يدوي قدر ربع ساعة، ثم يستأذنون في الركوب والذهاب الى ملاقاة الامير فيركبون جميعا ويسيرون معه ويدخلون المدينة، ومنذ ركوب الباي لدخول المدينة وهو يرمي الدراهم في الزقاق يمينا وشمالا للفقراء وغيرهم. ومن البايات من يرمي السلطاني الذهب ومنهم من يلقي الفضة ومنهم من يزرع الضبلون[2]

---

(1) الحوش في اصطلاح الجزائر هو الهنشير في اصطلاح تونس فهو أعم من لفظ الحوش العربي.
(2) الدبلون قطع فضية أكبر من الدورو المعتاد.

ويتقدمهم الديوان مثل السلاق[1] وعلى رؤوسهم الريش مصفوفا يمينا وشمالا. والبراح ينادي بالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم[2] وبين يدي الباي شاوش السلام يسلم على الناس يمينا وشمالا[3] ويسوقون أمام الموكب اربعين بغلة على كل بغلة ألفاريال صغيرة فتكون جملة ذلك ثمانين الف ريال (مقدار 750 ألف فرنك من نقود الساعة) واربعين فرسا من الخيل المسومة واقفاصا فيها السباع والنمرة وبقر الوحش وغير ذلك من الحيوانات. فهذه الامور كلها للبايلك _ للدولة _.

فلما يصل الى دار الامارة يدخل الباي راكبا حتى يقابل الملك[4] وهو جالس على سرير الملك. فينزل ويذهب ماشيا إليه بالخضوع والتذلل متأدبا فيقبل يده ويتأخر قليلا فيأمره بأن يجلس على يمينه قدر طول الرمح: فاذا جلس يلتفت اليه ويحمد له السلامة ويسأله عن احواله واحوال الرعية ويعطونه القهوة. وبعد ذلك يتقدم اغواته وقواده وكبار النجوع يقبلون يد الباشا ويكون باش سيار واقفا قريبا منه يعرفه بالناس. فاذا انتهى السلام يتأخر الباش سيار ويتقدم الخزناجي ويقف بين يدي الملك ويأخذ الخلعة[5] من يد كبير كتاب الترك ويلقب باش خوجة فيقبلها ويقدمها للباي فيقبلها أيضا تواضعا لصاحبها جلالة السلطان، ثم يخلعها الخزناجي على الباي فاذا لبسها تقدم وقبل يدي الملك ويتأخر شيئا فشيئا حتى يتباعد عنه فيخرج ويذهب لدار نزوله والنوبة تضرب من ورائه ورجال من كبراء ديوان العسكر ويتقدمون بين يديه فاذا وصل الى دار نزوله يجلس على كرسي بوسط الدار ويضربون حوله النوبة وهو جالس فاذا انتهت النوبة يأتي شاوش السلام متاع الملك فيعطي

---

(1) نوع من الكلاب واحده سلوقي.

(2) وصيغة هذا النداء هكذا: «الصلاة والسلام عليك يارسول الله. الصلاة والسلام عليك ياحبيب الله. الصلاة والسلام عليك ياخير خلق الله».

(3) ينادى: السلام عليكم ورحمة الله على نفس الطريقة التى لاتزال متبعة عند اصحاب السموبابات تونس المحروسة.

(4) وهذا احسن لقب يطلق على صاحب الجزائر لانه كان في الحقيقة ملكا مطلق التصرف لاتربطه بدولة الخلافة الا روابط اسمية.

(5) قفطان يصنع باستانبول ويرسله السلطان العثماني لكبار الحكام كشعار لتسلمهم السلطة منه.

السلام ... وعند ذلك يصعد الباي الى مجلسه بأعلى الدار ويخرج عنه ... وبعدها باش شاوش العرب ويأخذ عوائده ويذهب بالخلعة ... ثم يعطي الباي العوائد لاصحاب العوائد. وبعد ذلك يأتيه خادم الامير الذي يقال له: «البسكري متاع الباشا» فيطلبه للفطور

فاذا وصل الباي الى دار الملك فهنالك عسة يقال لهم: «الاونباجية» وهم اربعون رجلا يحملون البطاغانات من الفضة في وسطهم، يقف عشرون منهم على اليمين وعشرون على الشمال وعندهم كبيرهم يقال له «الآغا» وكاهيته والخوجة. فالآغا والكاهية فلا تصرف لهما في امور الاونباجية وكل التصرف للخوجة الذي يسمى «خوجة الباب» فاذا جاء وزير من الوزراء فانه يقف في وسطهم ويجهر بالسلام ويدخل وهم يردون عليه باعلاء أصواتهم ويدعون له بحسن العاقبة كذلك باعلاء اصواتهم. وهذا الدعاء بحسن العاقبة كثير عند الترك. وكنت استحسنه كثيراً.

فاذا وقف الباي في وسطهم يسلم عليهم ويردون عليه السلام ويدعون له مثل الوزراء. ويأتيه خوجة الباب ويأخذ من وسطه بطغان الذهب ويكون الوزراء هنالك قد جاءوا للغداء. ومن عادة الوزراء يتغذون كل يوم في دار الملك. فيأخذ خوجة الباب منهم بطغانات الذهب ويصعدون لغرفة هنالك ويتغذون في سفرة واحدة ويتغذى معهم الطباخ الكبير للملك، ويكون الطباخ الصغير وعليه فوطة من الذهب واقفا عند رؤوسهم يأمر الخدام ليبدلوا لهم انواع الاطعمة وانواع الفواكه. فاذا أتموا الغداء وشربوا القهوة خرجوا جميعاً لسقيفة دار الملك فيحملون بطغاناتهم بوسطهم فيخرجون الا الخزناجي فيذهب الى موضع حكمه ولايخرج مع الوزراء الا يوم الجمعة ويوم الثلاثاء. ومن عادة الوزراء انهم كل يوم يقابلون الملك صباحاً للسلام عليه. ثم يقصدون مواضعهم التي يسمونها بالاعلية[1] فاما يوم الثلاثاء فانهم يذهبون لبساتينهم في الصباح وعند الزوال يأتون لمواضعهم من الحكم. واما يوم الجمعة فلا يخرجون ويبقى كل واحد بعليه. وساعة الغداء يدعون اصحابهم لتناول الطعام معهم.

(1) جمع علي وهو الطابق الثاني من الدار العربية وتعلوه احياناً غرف تدعى المنازه جمع منزه.

تقديم هدية الملك :

واذا خرج الباي بعد الغداء من اليوم الاول فانه يرجع لداره ويحضر هدية الأمير. اما الدراهم فنحو العشرين الف دورو[1] ومن المصوغ مقدار نصف ذلك واربعة من الخيل العتاق ونحو 30 عبداً كباراً و20 عبداً صغاراً من عبيد السودان وحباك القرمز صنعة تلمسان وحباك الحرير المحبية صنعة فاس والبلاغي والرواحي[2] بالذهب والشنراميات بالذهب والشمع نحو 20 قنطارا. ومثل ذلك من العسل ومثله من السمن والجوز.

فعندما يحضر ماذكر يأتي رسل الامير فيدعونه للسراية ليختلي به وحده من غير حضور الوزراء فيذهب ومعه وكيله فاذا وصل لدار الملك سلم على اللونباجية وردوا عليه السلام ويتقدم خوجة الباب فيأخذ البطغان من حزامه. ومن هنالك للسرايا فيستأذن ويؤذن له بالدخول، فيدخل الوكيل اولا ويسلم سلام الملوك ويقبل يد الملك ويتأخر ثم يتقدم الباي فيسلم مثل الوكيل ويقبل يده ويتأخر فيأمرهما بالجلوس فيجلسان جلسة القيام من السجود مطرقي الرأس فيرحب الملك بهما ويسأل الباي عن احواله ثم يامرهما بالجلوس مستريحين فيقول لهما باللسان التركي: «راحات اطر» وعندئذ يستقيمان في الجلوس. وعندئذ يأخذ المماليك الهدية من يد خدام الباي واتباعه. فاما الدراهم والاشياء النفيسة فيدخلونها الى تلك الغرفة، وشيء آخر الى غير ذلك الموضع. وعندئذ يخرج خزندار الدراهم ويوزع على خدام الباي. ثم يدخل ومعه باش خوجة ويسلمان على الملك ويقيمان هنالك وتأتيهم القهوة. فاذا انتهوا منها أخذوا منهم الفناجين. الا ان الباي يملأ فنجانه بقطع من الذهب. وعند ذلك يخرج الوكيل وخزندار وباشكاتب ويبقى الباي وحده مع الباشا حتى مماليك الباشا يبتعدون عنهم ويبقون مقابلين لسيدهم.

يتحدث الباشا والباي مقدار ساعة وعندما ينتهي الحديث يقول الباشا باللسان التركي: الله خير وار[3] فهذه علامة على الخروج من عنده. فيقبل يده ويتأخر الى أن يخرج.

(1) نحو نصف مليون فرنك من نقود اليوم.

(2) انواع من الاحذية.

(3) معناه: الله يعطيك الخير.

يسمونها سركاجي لأنها معدة لحكم العسكر ومن استحق منهم القتل قتلوه هناك ومن استحق الضرب سوطوه . وهؤلاء الشواش كل يوم بعد العصر يذهبون يتعشون هنالك عند الآغا . وفي تلك الدار طباخ ووكيل حرج . فإذا تعشوا انصرفوا .

التقدم السنوي للشواش :

ومن عادة هؤلاء الشواش انهم كل عام ينعزل الباش شاوش ويتولى مكانه كاهيه . وهكذا يتقدمون كلهم كل عام : الكاهية يرجع باش شاوش (متاع) القصبة ويترك العمامة المبرجة ويلبس الطرطورة وصاحب الشاشية يلبس العمامة . وشاوش الصبائحية يلبس القفطان والشاشية وهكذا . وعندما يلبس الباش شاوش الجديد الطرطورة في دار الامارة يذهب ليقبل يد الامير والشواش واقفون . فاذا قبل يد الامير وتأخر يلحقه الشواش ويجرون خلفه بالسياط وهو هارب من امامهم حتى يصل الى مكان يدعونه حانوت الشواش .

اما شاوش السلام فانه يتقدم لرتبة شاوش صبائحية ووكيل الحرج في سركاجي يلبس الاحمر في مكان سلام شاوش . والشاوش الذي يلبس العمامة هو الذي يحمل بشماق الامير عند دخوله لصلاة الجمعة ويضعه له عند خروجه . ورأيته يوما عندما كان الامير خارجا من الصلاة يقدم له البشماق وهو منحن ويمسك طرف البشماق المقدم بأصابعه . فلما ادخل الامير مقدم رجله اليمنى اطلق البشماق وذهب يهرول على قدر جهده .

هدية خوجة الخيل وتقديمها :

اما الباي فاذا انصرف الشواش من عنده كما ذكرنا يحضر هدية خوجة الخيل وهو الوزير الثالث . وهي تعادل نصف ما اعطى قبله للوزيرين الآخرين . وقبل المغرب يأتيه الرسول فيذهب معه لخوجة الخيل ويتعشى ويعطي لخدامه مثل ما تقدم . ثم يرجع لداره ويعطي الدراهم للذين يذهبون معه ولأصحاب الصدقات ثم ينام .

عوائد بقية رجال الوجاق :

وفي آخر الليل قبل صلاة الصبح يأتيه شواش القصبة الثلاثة المذكورون آنفاً

ويحملون عمل اصحابهم المتقدمين فيعطيهم ويتأخرون . ثم يتقدم شاوشان يلبسان قاطات (الكسوة الجزائرية) من الملف الاحمر وعلى رؤوسهم شلود حمر بالذهب . والاول هو شاوش الصبائحية والثاني شاوش السلام فيأخذان عوائدهما وبعدهم يأخذ الطباخ ووكيل حرج دار سركاجي عوائدهما ويذهبون كلهم .

وفي اليوم الرابع يتعشى الباي عند وكيل الحرج بباب الجهاد ويهدى له مثل خوجة الخيل . وفي اليوم الخامس يتعشى عند وكيل بيت المال ويهدى له أقل من الوزراء المتقدمين والثلاث ليالي الباقية يضيف فيها الباي عند وكيله ويعطيه عوائده نحو ألفي دورو وعبيد وحياك وشمع فهو يعطيه مثل بقية الوزراء ويعطي لكاتبه ثلث ما يأخذه الوكيل ويعطي عوائد خدام الوكيل .

وداع الباي والهدايا التي تقدم له :

وفي اليوم السابع وهي ليلة السفر يأتيه الرسول من قبل الامير فيذهب عنده للسراية ويجلس معه ويوصيه الامير بالرعية خيراً ويوصيه على امور بيت مال المسلمين وغير ذلك . فاذا انفصل من عنده ورجع الى دار نزوله يرسل له الامير هدية : اثنين من الخيل ومكحلة بالذهب وسكين ذهب وحوائج (ثياب) مذهبة واثاثا محجرا (بالحجارة الكريمة) وبعد صلاة العصر يرسل له الوزراء هداياهم من خيل وسلاح وقاطات (البسة جزائرية) بالذهب .

وفي اليوم الثامن يذهب في الصباح للسلام على الامير . وبعد شرب القهوة يلبسه الامير قنضورة (جبة) من الذهب ويسلم عليه فيركب الباي فرسه داخل دار الملك ويخرج راكبا والنوبة من ورائه . والآغا اعني الوزير الثاني يخرج معه ليودعه الى عين الربط فيرجع الاغا ويذهب الباي الى حوشه يبيت هناك ومعه وكيله وكاتبه ويتحاسبون هنالك على ماصرفه عليه الوكيل . ومن الغد يتوادعون فيذهب الباي ويرجع الوكيل .

بقية البابات :

وهكذا جميع البابات ، غير انهم في الهدايا والعوائد واللزم يتخالفون وكذلك الخلفاوات . وخليفة الباي في الدنوش يدفع نصف مايدفعه الباي في كل شيء

الا المصوغ فلا يهديه الخلفاوات . اما مقابلتهم للباشا وضيافتهم فمثل الباي في كل شيء .

دنوش باي الشرق :

اما دنوش باي الشرق فانه يدخل للجزائر في فصل الصيف (كل ثلاثة اعوام) يدخل الباي ويلبس الخلعة مثل باي الغرب في كل شيء كما تقدم ، الا أن هديته التي يهديها للباشا في اليوم الاول حين يذهب لملاقاته فهي نحو ثلاثين الف محبوب ذهبا (مقدار 1172000 فرنك من نقود اليوم) وبعض المهمات من المصوغ والملبوس وعدد من المواشي التونسية ومن الطيب عطر الياسمين وعطر الورد وتسابيح العنبر والمرجان والبرانس السوسدى والجريدى والحياك الجريدى والقفصى وامور من المجبود (الجلد المطرز بالذهب) والاثاث والخيل والبغال والسمن والمحور (كسكسى يختص بصنعه أهل قسطنية) والتمر والعسل البيضاء شيء كثير .

اللزمة :

اما اللزمة فان باي الغرب يقدم بين يدي الامير كما قدمنا ثمانين ألف ريال صغيرة كوارط (750 الف فرنك) وباي الشرق يقدم ثمانين الف ريال كبيرة بجة (مليون واربعمائة الف فرنك تقريباً) واما باي تبطري فهو يدفع 14 الف ريال صغير (180 000 فرنك تقريباً) وهو مثل من تقدم في الملاقاة والضيافة . وأما هديته وعوائده التي يدفعها فاقل من باي الغرب وباي الشرق . وكل الخلفاوات يدفعون اللزمة (كل ستة اشهر) نصف ما يدفعه البايات وقائد سباو يدفع نحو ما يدفعه باي تبطري في دنوشه (180 000 فرنك) الا أن مقامه صغير وليس له خليفة . وقائد سباو يدفع الف ريال كبير لزمة (نحو 18 الف فرنك في السنة) .

هذا خلاف لزمة البيناشي وهي اربعة الاف ذورو بجة في كل شهر (نحو 72 الف فرنك اليوم) يدفعها كل باي فمنهم من يدفعها كل شهر مثل باي الغرب اما باي الشرق فيدفعها كل ستة أشهر في اليوم الثالث من دنوش الخليفة .

زكاة باي الغرب :

اما الزكاة والعشور التي يدفعها البايات على اوطانهم : فباي الغرب يدفع

عشرة الاف صاع قمحا ومثلها شعيراً ويوزع على اصحاب الدولة وخدامهم نحو الفي صاع قمحا ومثل ذلك شعير . والغنم نحو ستة آلاف راس . ويوزع أيضا على اصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة : في افريل وفي سبتمبر ، ويعطي العوائد في العيد الصغير والعيد الاكبر ويوم عاشوراء والمولد النبوي للامير ووزرائه وكتابه وجميع خدامه .

زكاة باي الشرق :

وباي الشرق مثله في عوائد المواسم وفي زكاة القمح والغنم ، أما الشعير فلا وباي الشرق يزيد يدفع نحو الفي رأس بقر للبايليك والف رأس عوائد ويفرق القمح للعوائد كذلك وكذلك التمر والزيتون في كل سنة في ابنار (يناير) ويبعث في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن للمراكب الجهادية من مرسى عنابة .

زكاة باي تبطري :

وباي تبطري يبعث زكاة الغنم لبيت المال ويوزع شيئا على ارباب الدولة وكذا في عيد الاضحى لاغير . اما العشور فلا يبعث لأن عمالته اغلبها صحراء وسكانها العرب اصحاب غنم ولاحرث لهم . والذي يقبضه من الرعية شيء قليل بكفيه هو ومحلته اما عشور بلدة المدية فيجمعه ويعمله عولة (كسكسي ومحمصة وبرغل) وله وكيل عولة . ويدفع تلك العولة لدار الامارة في كل شهر .

زكاة قائد سباو :

وقائد سباو يدفع الفي قلة زيتا للبايلك ونحو خمسمائة قلة لاصحاب العوائد والف قنطار كرموس (تين مجفف) ومائة قنطار شمعا ويدفع خمسمائة صاع قمحاً ومثلها شعيرا لأن وطن سباو ووطن تيطري لو اجتمعا معاً لما كانا قدر ثلث وطن وهران . اما وطن قسنطينة فهو كبير جداً حتى ان العارفين بالارض قالوا ان وطن قسنطينة يلزمه اربع بايات .

تحديد البلاد :

الناحية الغربية كلها بيد باي وهران وله خليفة وقياد واغوات وحكمه ينتهي الى بحلوان والى عمالة باي تيطري وباي تيطري تحده متيجة (شمالا) ومن الناحية

الشرقية يحده وطن بني سليمان وبني جعد وعريب . وقائد سباو عمالته زواوة وسباو يحده وطن يسر . ومن الناحية الشرقية وطن حمزة وهو من عمالة باي قسنطينة . اما باي قسنطينة فتحده عمالة تونس ، والحد بينهما يقال له سراط .

الآغا وسلطته :

أما وزراء الامير بالجزائر فهم الآغا . وله رعيته من بحلوان الى يسر . ويحده شرقا سباو وغربا باي تيطري ومن الناحية الغربية من جهة البحر تنس ، لكن سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا ولا الباي (جبال الظهيرة) وللآغا قياد تحت حكمه فاما بحلوان فان فيه زمول (جمع زمالة) من العبيد الموالي لاهل البلاد وغيرهم . فاذا اجتمعوا (يريد ان يقول كثروا) في البلاد فان الامير يجمعهم ويبعثهم الى بحلوان ، والى زمول أخرى في سباو فيسكنونهم هناك ويعطونهم تلك البلاد يحرثونها ويكسونهم كل عام ويعطونهم الخيل والسلاح ، وهم يعسون هنالك مقابلين للجبال ، اما في بحلوان فانهم مقابلون لجبل بني مناد وجبل سماتة ، وكل زمالة من تلك الزمول عليها قائد يولى من قبل الآغا . واذا ركب الآغا الى موضع ركبوا معه ولا يدفعون شيئا من اللوازم والمطالب المخزنية .

وللآغا قائد في وطن حجوط ، يتصرف في بنى مناد وسماتة ومزاية وحجوط الى واد سبعة ، وقائد في وطن بني خليل يتصرف في جبل بنى مسعود وبني صالح وبني مصيرة الى وادي الحراش وهو أكبر القياد وقائد ثالث في الخنشة يتصرف في الوطن وفي جبال عمال وبني عيشة الى وطن يسر كذلك . وقائد رابع في يسر يحده سباو . وقائد سباو هو الذي يسمى هذا القائد ، الا ان الآغا هو الذي يتصرف فيه . وقائد خامس في وطن بني جعد . وقائد سادس في وطن بني سليمان وبني خليفة وهم جبال واهلهم أهل خير . وقائد سابع في عريب وهذا الوطن أكثره أهل عمور وهم أهل خير وورع .

اما مرتبة هؤلاء القياد السبعة فهي هكذا : قائد بني خليل . قائد بني موسى قائد الخنشة . قائد بني جعد . قائد بني سليمان . قائد عريب . قائد حجوط .

وهؤلاء القياد يلبسون الخلعة يوم عيد الاضحى ويدفع كل واحد منهم لزمة الوطن وعوائده . وهذه اللزمة يفرضها الاشياخ في كل وطن ، وفي كل وطن قائد

للعشور (زكاة الحبوب) ولا مدخل للقائد فيه . بل هو تابع راسا الى كاتب العشور بالجزائر والآغا هو الذي يسميهم .

وأهل هذه الاوطان أكثرهم صبائحية متاع الآغا يركبون معه ايثما توجه وهم عسكره الخيالة (الفرسان) ويتميزون على اخوانهم العرب من الرعية بأنهم لا تلحقهم المطالب المخزنية الا العشور . ولا يلحقهم القياد . وكبراؤهم هم قياد العشور .

خوجة الخيل وسلطته :

أما خوجة الخيل فان له رعية من عرب الصحراء . وهم نجوع : فاولهم نجع رحمان . ونجع الزناخرة . ونجع البواعيش . وكثير من النجوع الاخرى فيدفعون له الخراج والزكاة ، الاأنهم يمنعون الزكاة .

ولخوجة الخيل قائد يسمونه : قائد العرب . ومستقره متيجة . وله اعوان وهو المتصرف على هذه النجوع . وله اشياخ لجمع المطالب المخزنية . ولخوجة الخيل اتباع يركبون الخيل ويسمونهم : السراجة . وعليهم كبراء يسمونهم المقاديم مع خوجة الخيل يقفون بين يديه وقت الحكم لأجل الاشتغال . واذا أراد امراً فانه يعين رجلا أو اثنين من السراجة ليأتوا بخصم المشتكي أو يرسلهم لحمل مكاتيب الرعية .

كما ان للاغا اربعة كبراء : باش شاوش . وكاهيته . وباش علام . وباش مكاحلي يقفون بين يديه في الحكومة ويفهمونه في أمور الشكاية . ويعينون الصبائحية للاشغال أو المكاتب ولتخليص الحقوق والاتيان باللصوص وقطاع الطرق . وكبراء الاغا ومقاديم خوجة الخيل كلهم عرب .

صالح باي ومقتل الخزناجي

عندما وقع الصلح بين محمد باشا والاسبانيول ـ قدم البايات لتهنئته على حسب عادة دنوشهم . فقدم محمد باي . باي الغرب في الخريف كمثل عادته فهناه بنصر الله واوصاه الامير على وهران ان لا يترك عنها القتال ولايهنى من فيها من الاسبانيول وفي فصل الصيف قدم صالح باي قسنطينة ودخل للجزائر وتقابل

مع الباشا وهناه بالنصر . وفي يوم من الأيام اختلى الباشا بالباي وسأله عن أمر وسق الزرع (القمح والشعير) والبقر لأرض النصارى من مرسى عنابة . وكان الباشا قد اوصى البايات من قبل ان لا يبيعوا . فاجابه الباي بان الوسق قد وقع بالفعل . فقال له الباشا ألم يصلك كتابي ؟ قال بل وصلني لكن بعد ذلك وصل لي كتاب من الخزناجي يأمرني فيه بان نترك الوسق حرا لمن بيده كتاب منه ! فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له بوسق العدد المذكور في الكتاب . وهذه هي كتب الخزناجي .

فغضب الامير على الخزناجي وأشتد غضبه عليه وأمر الباي بأن لا يسمح لأحد من ذلك اليوم بالوسق الا بكتابة منه ، وأمره بان يكتم هذا الأمر ولا يطلع عليه أحداً من الوزراء . فامتثل امره وسكت . ولما انتهت أيام الضيافة ذهب لوطنه وجاء باي تيطري مثل اصحابه وذهب .

وبقي الباشا مهتما غاية الهم من امر الخزناجي . وكان هذا الخزناجي ظالماً وله بنتان انكح احداهن لحسن وكيل الحرج والاخرى لخزندار الامير . وكان من عادة الوزراء يجتمعون كل يوم بعد صلاة الصبح في سقيفة دار الامارة قدر نصف ساعة . ويكون وكيل الحرج معهم . فاذا خرجوا يذهب وكيل الحرج لملاقاة الامير كل يوم ليخبره باحوال المرسى والمراكب . وفي يوم من الايام قال الباشا لحسن وكيل الحرج : ياحسن اني مهموم من أمر ! فقال له : وماذا يهمك ياسيدي وقد نصرك الله على عدوك ؟ فقال له : إن الامر الذي يهمني يقرب من أمر العدو . ولم أجد من يعينني عليه ! فقال له : اخبرني عنه ونحن نموت فداك . فقال له الباشا : إن صهرك الخزناجي تجرأ علي كثيراً حتى صار يتصرف في الامور من غير اذن . وأنا آمر بامر وهو يتعرض له ويأمر بخلافه ـ وتكلم كلاما طويلا في هذا الموضوع ـ فقال له وكيل الحرج : أنا اكفيك أمره ولا تهتم به لأنك سيدي وولي نعمتي . وغداً ان شاء الله ننفذ فيه حكم الموت .

خرج من عند الأمير وذهب الى العلي . ولما خرجت الناس من صلاة المغرب أوصلاة العشاء بعث الى باش شاوش فاتاه خفية فقال له : غداً انشاء الله عندما تاتي نصبح على الخزناجي اقبض عليه واذهب به لدار سركاجي . ولمجرد وصوله تخنقه . وان فرطت في هذا الامر فانت عوضه ! وها أنا بلغت لك أمر الامير .

فقال له سمعاً وطاعة . وخرج باش شاوش من عنده وذهب الى كاهيته وقال له : غداً لما نصبح على الخزناجي نقبضه وتكون انت مستعداً فاذا ناديتك تلحقني وذهب لداره . ولما قرب الفجر ذهب لحانوت الشواش كعادته وصلوا الصبح واقاموا ينتظرون قدوم الوزراء كعادتهم حتى أتوا وجلسوا عند الباب مثل العادة . فذهب الباش شاوش الى الخزناجي ليسلم عليه فلما اهوى عليه ليقبل يده كالعادة نزع له البطغان ورماه بعيداً عنه ونادى الى كاهيته فاسرع له مع اعوانه وقبضوا على الخزناجي ووضعوه بينهم وذهبوا به لدار سركاجي ولمجرد وصوله قتلوه . فلما مات وفتحت دار الامارة ودخل الوزراء على الأمير اخبرهم بافعاله وما وقع منه وكيف حكم بموته . فقالوا انه يستحق أكثر من هذا . وعندئذ اولى حسن وكيل الحرج خزناجياً واولى علي برغل خزندار وكيلا للحرج وهما صهرا المقتول ، حزنت بناته عليه حزنا شديداً وعرفتا ان صالح باي هو المتسبب في ذلك فقالتا لزوجيهن لابد لكما من الاحتيال على من كان السبب في مقتل ابينا ونقتله .

وفي سنة 1201 جاء الوباء للجزائر حتى وصل عدد الاموات 500 جنازة كل يوم ! ويسمونه بالوباء الكبير . قيل أنه اتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية وطال الوباء بالجزائر الى سنة 1211

وفاة محمد باشا وولاية حسن باشا

مرض محمد باشا في سرايته . ولما اشرف على الهلاك تكلم علي برغل خزندار مع الخزناجي حسن المذكور : أنه اذا توفي الباشا فانه يرسل خفية ليقدم الى دار الامارة ويتولى باشا (حسب العادة) وذلك خفية من علي آغا . .

فلما كان يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة الحرام سنة 1205 قدم الوزراء كعادتهم ودخلوا لدار الامارة فاتاهم وكيل الحرج المذكور وسألوه عن الأمير كيف اصبح ؟ فقال لهم انه وجد الراحة في هذه الليلة ـ وكان قد مات ليلتئذ رحمه الله ـ فامروه ان يبلغ له سلامهم . فطلع للسراية على انه سيبلغ سلامهم . وهم خرجوا الى ديارهم .

وكان علي آغا المعروف بالقهواجي يريد ان يتولى باشا بعد وفاة الأمير خلافاً للعادة . لأنه في عاداتهم اذا مات الامير يتولى مكانه الخزناجي والآغا يتولى خزناجياً . لكن علي آغا اراد ان يتقدم على الخزناجي لأنه رأى نفسه شجاعاً وذا بأس وقوة .

وكانت دار الآغا ملاصقة لدار الملك . وبيت الخزناجي قريباً من بيت الآغا بحيث اذا ذهب الخزناجي لدار الملك فلابد ان يمر على دار الآغا . ولما كان وقت الضحى وتحقق وكيل الحرج ان الوزراء كلهم نائمون في بيوتهم بعث لحسن الخزناجي خفية يستقدمه فوجده الرسول مستعداً فذهب معه في الحين ولما مر على باب علي آغا رآه خدمه فاخبروا سيدهم فقام وحمل بناديق صغيرة تحت ثيابه وذهب في أثره .

ولما دخل الخزناجي دار الامارة استدعى كبير النوباجية اعني العساسين وأمره ان يقبض على علي آغا ان قدم وينزع له سلاحه ويبقيه عندهم الى ان يأمرهم . ودخل مقابلا لكرسي الملك وجلس ثم استدعى الوزراء والعلماء واعيان البلد . فلما حضروا عنده اعلمهم بموت الأمير وأنه اوصى اليه . فبايعه أهل الحل والعقد ولبس الخلعة السلطانية واطلعوا الصانجاق بدار الامارة وضربت النوبة واطلقت المدافع ونادى منادبه في اسواق البلد بالعافية والامان وموت الامير وتولية حسن باشا .

أما علي آغا فانه عندما قدم في أثر الخزناجي قبضوا عليه وحبسوه في مطهرة (غرفة استحمام) ثم أمر الأمير بنفيه الى القلعة . ومكث بها الى ان وجد مذبوحاً قيل قتل نفسه وقيل امر حسن باشا بقتله . وكان حسن باشا عارفا عاقلا وله فطانة في الامور غير أنه كان في بعض الاحيان يعتريه حمق حتى يفعل اموراً لا محل لها .

مقتل صالح باي

في فصل الصيف من هذه السنة (1207) قدم صالح باي من قسنطينة وأتى معه باموال لاتحصى ودخل الجزائر في يوم مشهود . ومن عين الربط وهو يزرع الصلدي للفقراء في الزقاق حتى وصل لدار الامارة . واعطى للامير ولأهله مالا

كثيراً من غير حصر . وليلة من الليالي استضافه الأمير لداره خلافا لعادتهم واعطى في تلك الليلة مالا كثيراً خصوصاً الى بنت الامير .

ولما أتم الضيافة حسب العادة وكان خارجا وأخذ يودع الأمير البسه الأمير عمامة مبرجة مثل الخواجة وجعل له فيها ريشة من الذهب يسمونها باللسان التركي : «جناك» ولبس العمامة ليس من عادة البايات بل ان لباسهم هو الشلود بالحرير والذهب . فلما البسه الأمير العمامة فهم منه أنه يريد قتله . وان العمامة هي علامة الكفن . ولما انفصل من عند الأمير وركب فرسه خارجا أمر الأمير باش زرناجي ان يضرب نوبة «لاحال يدوم» .

وكانت زوجة حسن باشا هي بنت الخزناجي الذى اظهر صالح باي رسائله لمحمد باشا فتسبب عنها الحكم بقتله . فكانت زوجة حسن باشا تطالبه بقتل صالح باي لتاخذ بثار ابيها وألحت عليه في ذلك حتى ظهر له ان يعزله[1] فكتب الى آغة النوبة في قسنطينة وأمره أن يقبض على صالح باي ويسجنه . ثم اصدر امره الى قائد سباو وأولاه بايا في مكان صالح . فذهب قائد سباو الى قسنطينة ومعه اربعون رجلا من عمراوة وقبض على صالح باي وسجنه واجتمع عليه الكبراء والعمال وقرأوا كتاب الأمير . ثم لبس الخلعة العثمانية ، وكتب الباي الجديد للباشا واخبره بما تم من الأمر ، وأعطى الكتاب لباش سيار وارسله للجزائر .

لكن اصحاب صالح باي وقرابته اتفقوا وطلعوا للسراية عند الباي الجديد وبادروا بقتله ونادوا على رجال عمراوة الذين جاءوا معه واحداً بعد واحد بدعوى أن سيدهم يستدعيهم ، وكلما دخل واحد بادروا بقتله ثم اخرجوا صالح باي من سجنه وارجعوه لمكانه في السراية .

---

(1) الحقيقة ان حسن باشا لم يامر بعزل صالح باي انتقاماً منه لزوجه على تسببه في قتل ابيها الخزناجي وقد رأينا أن حسن باشا نفسه عندما كان وكيلا للحرج هو الذى دبر تنفيذ طريقة اعدام الخزناجي ، فلا يعقل ان ننقم من صالح باي لمجرد انه دافع عن نفسه أمام الباشا في مسألة تصدير الحبوب والماشية باظهار رسائل الخزناجي بل الحقيقة التاريخية هي أن حسن باشا رأى أن باي قسنطينة قد استحوذ على نفوذ عظيم وسلطة كبرى بناحيته فخشى ان يثور أو ينفصل عن حكومة الجزائر ، ولا ريب ان الدسائس والوشايات قد عملت عملها فأمر بعزله واولى على قسنطينة ابراهيم بوصباع قائد سباو.

اما البيار الذي سلم إليه الباي الجديد المكتوب للباشا فانه كان على علم بما
سيصير واختفى خارج قسنطينة ولم يذهب للجزائر ، فلما وقع ماوقع رجع لقسنطينة
وبقي الباشا يترقب في قلق قدوم البيار ولما أبطأ تحقق لديه أنه وقع هنالك أمر
وقد كان يخاف أن يثور عليه صالح باي [1]

فلما سمع بما تم ، وبثورة صالح باي ، ومقتل الباشا الجديد ـ بعث
محلة وفيها صهره علي وكيل الحرج وبعث معه الوزناجي باي تيطري ، وكتب
بولاية الوزناجي بايا على قسنطينة بعد ظفره بصالح باي[2] فلما قربت المحلة
الى قسنطينة قبض على صالح باي أهل دائرته واخبروا بذلك وكيل الحرج قائد
المحلة . ونزلت هذه المحلة بوادي الرمل ودخل وكيل الحرج ومعه الوزناجي وأمر
بقتل صالح باي ، وتولى الوزناجي مكانه . وحمل وكيل الحرج جميع اموال صالح
باي واثاثه الرفيع والسلاح الثمين وما وجده في الخزنة وما وجده في داره من اموال
ومصوغ وهذه الاموال تقرب ما في خزانة الجزائر[3] لأن هذا الباي طالت مدته
وساعدته الأيام . وكان يرفق بالرعية ويحسن للفقراء ، محباً للعلم والعلماء
والصالحين . وكان له حرث كثير وانعام كثيرة يستعين بها على شؤونه المخزنية ليحصل
الرفق بالرعية[4] وبنى مسجداً بقسنطينة وصرف عليه اموالا عظيمة .

انتهى

---

(1) وهذا هو السبب في العزل كما اسلفنا .

(2) وولي على تيطري مكان الوزناجي السيد محمد الذباح .

(3) يقدر المؤرخون الاروبيون أموال صالح باي التي صودرت بنحو ستين مليون فرنك من نقود اليوم .

(4) لايزال أهل قسنطينة الي يومنا هذا يذكرونه بخير . واسسوا ناديا اسموه : «نادي صالح باي»
ويزورون قبره زيارة شرعية وهو فيه .

تذييل لمذكرات نقيب الاشراف

ان كان محمد عثمان باشا رحمه الله من اظهر الشخصيات الحاكمة في العصر التركي فان ايامه قد ازدانت بوجود بطلين نادري المثال على رأس الولاية الشرقية والولاية الغربية من القطر الجزائري ، هما : صالح بن مصطفى باي قسنطينة ، ومحمد الكبير بن عثمان باي وهران ، ولكل منهما صفحات مجد وفخار تزيد في رونق هذا العصروبهائه .

ولن تكون الصورة التي اردنا ان نصور بها عصر محمد عثمان باشا صادقة كاملة الا اذا اتممناها بتفصيل وجيز عن حياة واعمال هذين الرجلين العظيمين .

1 ـ صالح باى واعماله :

ولد في مدينة ازمير من عائلة متوسطة سنة 1725 ، وفي السادسة عشرة من عمره غادر موطنه الى مدينة الجزائر ، ولم يلبث غير قليل حتى التحق بسلك الجندية فيها . واشتهر بالبسالة وأصالة الرأي بين اقرانه ثم كان من بين الذين قرر الديوان ارسالهم لولاية الشرق ، وكان الباي الشهير أحمد القلي يراقب الجند مراقبة دقيقة وينتخب من بينهم الاصلح والالبق للوظائف العامة والمناصب الادارية فكان صالح بن مصطفى في طليعة الذين اختارهم واصطفاهم فعينه اولا لمنصب «قائد الحراكتة» ثم زوجه ابنته ورقاه من بعد لمنصب «خليفة الباي» واستمر على هذه الخطة الى ان انتقل الباي المعظم أحمد القلي الى رحمة الله ، فاولاه محمد عثمان باشا بايا على قسنطينة سنة 1771 .

ولقد اشتهر صالح باي رحمه الله شهرة واسعة وذاع صيته في مختلف انحاء البلاد وكان عصره في الناحية الشرقية عصر نهضة ورخاء وانتعاش واصبح يدير امور مملكته وكأنه الملك المستقل فيها الا انه لم تحدثه نفسه مرة بالانفصال عن مركز السلطة في الجزائر ، وبقي طيلة أيام محمد عثمان باشا حافظا عهد الولاء والطاعة دافعا ماعليه من اتاوات و «دنوش» بغاية النظام وقد شارك مشاركة فعالة مع قومه في دحر قوات الاسبان والقضاء عليها عندما حاولت قهر مدينة الجزائر .

ولقد استمر على الخطة التي سار عليها سلفه الباي أحمد القلي في تجميل مدينة قسنطينة وجعلها عاصمة لائقة بمركزها ، فكم كانت له هنالك من منشآت اهمها مسجد سيدي الكتاني والمدرسة الملاصقة له ، والتي بها ضريحه رحمه الله ، والدار البديعة التي اختطها لسكنى حرمه وهي قريبة من المسجد المذكور ، ولاتزال موجودة الى يومنا هذا وبها اخوات التعاليم المسيحية لتربية البنات .

وقد كان اليهود يسكنون في مدينة قسنطينة مختلطين مع المسلمين وكانت جهة باب القنطرة خالية من البناء فارتأى ان يقطع تلك الناحية لليهود على ان يبنوا بها حارتهم ويختصوا بسكناها فاقبلوا على تعمير تلك الناحية وابتنوا بها ديارهم وكان سرورهم يعادل سرور المسلمين بذلك .

ثم انشأ لطلبة العلم مدرسة بجوار مسجد سيدي الخضر سنة 1789 واسس لها نظاما بديعا ، قال عنه مسيو فايسات صاحب «تاريخ قسنطينة تحت حكم البايات» واليك شيئا من شروط هذا الوقف .

«تشمل المدرسة مسجداً وخمسة من البيوت : منها بيت للمدرس والاربعة للطلبة وميضأة وبيت لوضع الادباش .

«الطلبة الذين يجاورون بالمدرسة ثمانية يختص كل اثنين منهما بيت .

«يقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيلها ومصاريفها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف وايقاد مصابيح بيت الصلاة .

«اجرة المدرس 30 ريالا في السنة واجرة الوكيل 8 ريالات والبواب 7 ريالات ولكل طالب من الطلبة المحاورين 6 ريالات .

«على المدرس أن يقرأ ثلاثة اوقات في اليوم : الدرس الاول من الصبح الى الساعة 11 والثاني من الزوال الى العصر والثالث بين العصر والغروب .

«على كل طالب ان يتلو 4 احزاب من القرآن كل يوم : حزبين بعد صلاة الصبح ، وحزبين بعد صلاة العصر . واثر التلاوة تقرأ الفاتحة ويقع الدعاء لمؤسس المدرسة .

«لايقبل محاوراً في المدرسة الامن كان يحفظ القرآن الكريم ولا يشترط فيه ان يكون مالكياً أوحنفياً ولامن المدينة أو البادية ، انما يشترط ان يكون غيرمتزوج ، وان ينام باستمرار في المدرسة ولا يسمح له بالخروج الا لضرورة وللمحاور ايام راحة بين 20 و30 يوما في السنة ، فان تغيب بعدها بدون عذر اعطي مكانه لطالب آخر يقع انتخابه .

«اذا قضى المحاور عشرة اعوام في المدرسة ولم يظهر نبوغه في العلم فانه يبعد عنها ويقع اختيار محاور آخر في مكانه .

اذا اساء مجاور صحبة اقرانه أوقام باعمال أو أقوال غير لائقة فانه ينبه ثلاثا فان لم يصلح بعدها فانه يطرد .

«لايسمح لأحد من الطلبة ولا من رجال ادارة العلم ان يناموا في المدرسة ماعدا المحاورين الثمانية»

ولقد درس بهذه المدرسة التي اخرجت فحولا من رجال العلم ـ الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي ، والشيخ شعبان بن جلول قاضي الحنفية ، والشيخ العباسي قاضي المالكية . وقد كانوا كلهم رحمهم الله من رجال العلم والعمل .

ومن أكبر حسناته رحمه الله انه انشأ استعماراً عربياً صغيراً في جهة باتنة : فاقطع الاراضي الشاسعة لقبائل «الزمول» وخص كل عائلة منها بقطعة ارض خصبة تملكها . وبذلك استقرت تلك القبائل نهائياً وايسرت .

ولقد زار قسنطينة في أيامه العالم الطبيعي الفرنسي دبفونتين وكتب عنها وصـ
بابها مايلي: (رحلة دبفونتان صفحة «21»

«لقد اسكنني الباي داراً من دياره الخاصة، وأمر ان يقدم الي كل ما احتاج اليه، وقد زرته فقبلني بغاية الانعطاف وقدملي كرسياً رفيعاً للجلوس وكان يتكلم اللغة الطليانية بسهولة.

وللباي جماعة من العبيد الطليانيين وطبيبه الجراح ايطالي من نابولي. ولقد طلبت من الباي أن يمدني بحرس يصحبني الى مدينة عنابة فقبل ذلك بغاية السرور

أما مدينة قسنطينة فهي كثيرة السكان واهلها يبغضون المسيحيين بغضاً شديداً. ولقد سمعت كثيراً من الشتائم، وشوارع المدينة ضيقة الا أن ديارها حسنة البناء وسقوفها من القرميد واغلب انهجها مفرش بالحجارة»

وهكذا استمرت ايام صالح باي الى ان توفى الله اليه محمد عثمان باشا، وتولى الباشوية بعده حسان باشا، فارتأى إجراء تغيير في مراكز البايات وخاصة باي قسنطينة لأنه خشي ان تحدثه نفسه بالاستقلال في بلاد الشرق الجزائري بعد ان قضى بها بايا مدة 22 عاما وتوطد بها قدمه بصفة متينة.

فهنالك ارسل حسان باشا باياً جديداً: ابراهيم بك بوصباع، وكان شهما فاضلا نحل بقسنطينة واستدعى الى دار الباي رجال المخزن والعلماء والاعيان فتلا عليهم الباشكاتب امر الباشا ولبس الباي قفطان الولاية، وبعد ان خرج الجميع من حضرته امر بصالح باي فاوتي به بين يديه فاجلسه الى جانبه وبالغ في اكرامه، ووعده بالتوسط لدى الباشا في امره وكتب في الحين رسالة الى الباشا في ذلك ثم أطلق سراحه لكي يرجع الى داره ويهدىء روع نسائه واولاده.

لكن صالح باي رأى أن عزله عن سلطته التي قام بها احسن قيام نحو ربع قرن انما هو جحود من لدن السلطة المركزية بالجزائر، وانما هو عمل لاجواب عليه الا اعلان الثورة في وجه الديوان.

فما كاد يخرج صالح من دار الباي حتى أخذ بسلح عبيده ومماليكه، وانساه حب الانتقام عاطفة الاعتراف بالجميل لابراهيم بك الذي أمنه من خوف واطلق

سبيله فتسلل صحبة مماليكه ليلا لدار الباي وهنالك وقع ذبح الشهيد ابراهيم ومن اتى معه من سباو من اتباعه وكانوا اربعين رجلا ثم نادى صالح باي بنفسه أميراً على البلاد واستعد لمقاومة جند الجزائر.

لكن مذبحة ابراهيم الشهيد ورجاله قد قلبت عطف أهل قسنطينة على صالح باي استياء ضده، ولم تكن قسنطينة في وقت من الاوقات مقر ثورة وقلاقل ضد السلطة المركزية فكانت ثورة صالح ضربة سيف في الماء. اذ ان العلماء والاعيان ورجال الديوان والادارة قد رفضوا الانقياد له، وبلغت انباء ذلك ديوان الجزائر فاوفد الباشا باياً جديداً هو حسين بوحنك المشهور بالوزناجي، ومعه امر باعدام صالح. فما كاد يحل بقسنطينة ركاب الباي الجديد حتى كان اهلها قد قبضوا على صالح واودعوه السجن اطاعة لأمر الباشا ثم نفذ فيه حكم الاعدام وضبط ما بخزائنه من الاموال والتحف وارسلها للخزينة العامة بالجزائر. وطويت بذلك صفحة هذا البطل الذي لاتزال ذكراه حية في قلوب أهل قسنطينة وعمالتها خاصة وبقية القطر الجزائري عامة. ولا يزال الناس يذكرونه بخير الى يومنا هذا.

* * * *

ولقد كان لصالح باي رحمه الله القدح المعلى في توحيد القطر الجزائري بحدوده الحالية حول السلطة المركزية الجزائرية واليه يرجع الفضل في ضم بلاد الجنوب الجزائري الى سلطة الديوان بصفة نهائية.

ففي سنة 1785 تحركت جماعة في جبال عمور واعلنت التمرد والعصيان فجهز صالح باي حملة عتيدة وسار على رأسها سالكا طريق عين البيضاء وزينة وأفلو وتاويالا والماضي وتاجموت. وبعد ان ارجع جبال عمور الى الطاعة لوى عنانه نحو بلاد الاغواط فهاجمها واحتلها عنوة وادخلها في حضيرة المملكة.

انضمام بلاد ميزاب

كانت بلاد الشبكة التي آوى اليها فراراً بدينهم، وبحرية معتقدهم بقايا الاباضيين بعد ان دالت دولتهم الزاهرة الرستمية واندرست رسوم تيهرت. وهي التي دعيت فيما بعد «بلاد ميزاب» واطلق على سكانها لقب الميزابيين. كانت

تلك البلاد تعيش في عزلة عن الدنيا بواد غيرذي زرع ، وتجاهد جهاداً عنيفاً في سبيل الحياة ، قانعة بفقر المادة وبقوة الايمان . يحكمها حسب كتاب الله وسنة رسوله واقوال المجتهدين في مذهب عبد الله بن اباض رضي الله عنه ـ مجالس العزابة التي تنتخب من علماء الامة وقادتها . ولكل قصر من قصورهم عزابة ، وكل القصور تخضع لنظام مركزي متوحد .

ولما كان الميزابيون يهاجرون لبلاد التل باستمرار قصد التجارة والمكسب ـ فقد اعترفت قصورهم منذ انتصاب الاتراك بالبلاد بالتبعية للديوان ، انما كانت تلك التبعية اسمية فقط ولم يحدد مداها ، فكان استقلالهم مطلقاً في بلادهم .

فعندما احتل صالح باي الاغواط ، واخضع جبال عمور والصحارى واحواليها ـ رأى جماعة ميزاب ان لامندوحة لهم عن الانضمام للسلطة المركزية الجزائرية ، ورأوا أن يفعلوا ذلك طوعا واختياراً حتى تبقى لهم حقوقهم وامتيازاتهم ، فارسلوا وفداً من قبلهم الى مدينة الاغواط عند ماحل بها ركاب صالح باي واعلنوا انضمامهم للسلطة العامة الجزائرية ووقع الاتفاق بين الطرفين على ان تبقى ميزاب حرة مستقلة في داخليتها ، تدبر امورها بنفسها حسب عوائدها وتقاليدها ، وتدفع سنوياً للخزينة الجزائرية مقداراً معلوماً من المال .

وهكذا شملت السلطة الجزائرية في ذلك العهد كل بلاد الصحراء ، وبقي الاباضيون على اخلاصهم وولائهم لتلك السلطة الى آخر عهد الاتراك العثمانيين بالبلاد . وكانت آخر صفحة من صفحات ولائهم للسلطة المركزية : أنهم جهزوا الف متطوع منهم إجابة لدعوة الداي حسين باشا عام 1830 عندما استصرخ رجال الوطن للدفاع ضد الحملة الفرنسية . وشارك الميزابيون مشاركة فعالة في اعمال البطولة بنواحي سيدي فرج ومصطفى والي والطريق الممتد الى العاصمة الجزائرية .
ولما قضى الله بزوال سلطة الاتراك من البلاد عاد الميزابيون الى ما كانوا عليه من الانكماش حول انفسهم الى ان احدقت بهم السلطة الفرنسية من كل جانب فعقدوا مع القائد الفرنسي المعاهدة الشهيرة سنة 1853 وهي التي تعهدت لهم فيها فرنسا بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم ومؤسساتهم وصيانة عوائدهم . ولهم الى يومنا هذا قضية مشهورة يطالبون فيها فرنسا باحترام تلك المعاهدة والرجوع الى نصوصها .

تقرت ودولة بني جلاب

استقلت منذ نحو القرنين في ذلك العهد ناحية تقرت ، وتأسست بها دولة تدعى : «دولة بني جلاب» وهم من بني مرين ، وازدهرت تلك الدولة حيناً من الدهر ، وتولى امرها أمراء من ذوي الحكمة والصلاح ، وانتشرت بين وادي اريغ ووادي ايغاغار ونواحي الجريد . ثم أخذت تتضاءل وتتقلص حتى اصبحت لاتشمل الا مدينة تقرت ونواحيها .

وبعد ان اخضع صالح باي جهات الجنوب والاغواط ، وبعد ان انضمت بلاد ميزاب على يديه الى سلطة الجزائر ـ رأى ان يتم توحيد البلاد الجزائرية بضم سلطنة بني جلاب اليها فجهز حملة وهاجمها ، لكنه ارتد عن اسوار تقرت اول مرة اذ كان دفاع اهلها تحت إمارة الشيخ فرحات بن جلاب قوياً عنيفاً . ثم عاد اليها سنة 1789 واستدعى رؤساءها الى قرية زريبة الوادي للتفاوض معهم . وانتهى الامر بان دخلت ناحية تقرت كلها ضمن السلطة التركية الجزائرية وبقيت محافظة على نظامها الداخلي تحت إمارة عائلة بني جلاب التي بقيت في البلاد الى حوالي سنة 1851 حيث قضى عليها الاحتلال الفرنسي .

اخضاع المرابطين

بعد ان انتهى صالح باي من توحيد الادارة بهذه الصفة ، وبعد ان دانت للسلطة جبال عمور وبلاد ميزاب والاغواط وتقرت ـ التفت الى جانب مشايخ الطرق في الجنوب وقد توصلوا الى الاستحواذ على نفوذ عظيم وسلطان يكاد يكون مطلقاً . فنزع عنهم بالحلم تارة وبالشدة والقوة تارة أخرى كل نفوذ سياسي وكل سلطان على الناس . وبذلك توحدت البلاد بصفة تامة ولم يبق بها الاسلطة واحدة هي سلطة باي قسنطينة ومن ورائها سلطة باشا الجزائر الذي يمثل الخلافة العثمانية
وقضى صالح باي بقية أيام ملكه ـ نحو الثمانية اعوام بعد هذه الحوادث ـ في تدبير امور البلاد وتمهيد الراحة واسعاد الرعية الى ان توفي الله إليه محمد عثمان باشا ونكب صالح تلك النكبة الفظيعة . رحم الله الجميع وعفا عنهم .

2 ـ محمد باى الكبير :

هو محمد بن عثمان الكردى ، ويسميه العرب في الناحية الغربية محمد الاكحل، لأنه كان أسمر اللون . ولقد كان والده عثمان الكردى قائداً بمدينة مليانة ، ثم بايا في مقاطعة تيطري (المدية) وكان من رجال العدل والنزاهة ، واستشهد في مقاتلة مع ثوار جبال عمور تاركاً امر ولديه وعائلته لصديقه ابراهيم الذي تولى بايا في المدية مكانه . وتحت رعاية ابراهيم باي نشأ محمد نشأة صالحة واقبل على العلم والفروسية فنبغ في كليهما ثم زوجه ابراهيم باي ابنته واشركه معه في اعمال الادارة . ثم انتقل ابراهيم لولاية الغرب فاخذ معه محمداً وولاه قائداً على قلعة ثم رقاه سنة 1768 الى منصب خليفة له واصبح صاحب الترجمة هو الباى الحقيقي بولاية الغرب يدبر امورها .

ثم قدم الى الجزائر على رأس القوة الاسلامية الغربية التى شاركت في دحر الاسبان وكسر شوكتهم . وهنالك تعرف صاحب الترجمة بصالح باي قسنطينة ، واشتركا في القتال جنبا الى جنب . ثم اقتبله محمد عثمان باشا رحمه الله وهناه بالقسط الوافر الذى كان له ولقومه في ذلك النصر العظيم . وعندما رجع الى الناحية الغربية كان الباى ابراهيم قد توفاه الله ، فاصدر الباشا محمد عثمان امره سنة 1779 برفع محمد الى رتبة باي الغرب لما توسمه فيه من مخائل الشهامة والصدق والحزم ، واجابة للرغبة العامة التي ابداها أهل تلك الناحية ، فسار السيرة الصالحة المحمودة التي كانت منتظرة منه . وانشأ المطامير العامة في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي كل سنة حتى يتقي اخطار الجدب والمجاعات ، وفي سنة من السنوات اشتد الغلاء وكثر البؤس ، ففتح الباي ابواب قصره في وجه المحتاجين وكان يقدم لهم كل يوم مايحتاجون اليه من مأكل وملبس الى ان انتهت المسغبة ولا يزال أهل معسكر يتناقلون ابا عن جد اخبار تلك الايام . ثم فتح للعمال من أهل تلك الناحية اعمالا عمرانية كثيرة لكي يكسبوا بواسطة العمل الشريف قوت عيالهم ، ومن تلك الاعمال تهديم المسجد العتيق واعادة بنائه بصفة بديعة بعد ان وسع مجاله . وكذلك تجديد جامع السوق واضافة رواقات جديدة بديعة إليه ، وجلب الماء في القنوات الى المدينة واجرائه في ميضات المساجد ، وبعد ذلك ابتدأ في بناء المسجد الاعظم الذى شيده

باسمه وانفق عليه من ماله الخاص واوقف عليه اوقافا واسعة والصق به مقبرة للمسلمين ثم ابتنى الى جانبه مدرسة فسيحة لتعليم العلوم العالية ورتب لها اوقافا ومدرسين ، وعمرت بالعلماء والمتعلمين ، ثم ابتاع قطعا من الارض تتبع فيها عيون ماء واوقفها على المسجد والمدرسة وجلب اليها مياهها في قنوات . فكانت المياه تتدفق في 16 حوضا . وابتنى الى جانب المدرسة مكتبة عامة عمرها بنفائس الكتب التى سعى في اقتنائها من كل بلاد وحبسها على المدرسة والطلبة وكل راغب في المطالعة . وكان رجال المسجد الاعظم الذين اوقف عليهم ارزاقا يشملون : إماما خطيباً واربعة مؤذنين ومسمع واربعة مدرسين ، وخصص كذلك اوقافا للطلبة الذين ينقطعون الى تلقي العلم بالمدرسة .

ومن مآثره الضريح الذى ابتناه على قبر الولي سيدى أحمد بن يوسف بمدينة مليانة والجسور التى تصل معسكر بما وراءها واسوار معسكر المسلحة وقنوات الماء التي تسقي قرية سيدي علي بن محمد قرب معسكر .

ثم اهتم بامر تلمسان فرمم مبانيها العمومية واهتم بصفة خاصة بمدرستها الشهيرة فجدد بناءها ورتب لها المدرسين واظهر اوقافها ورتب لها احباساً جديدة وتركها تعج بالطلبة ورجال العلم .

وكان حريصا جد الحرص على احياء ما اندرس من رسوم الادب العربي . فكان يجزل العطاء للعلماء والادباء الذين يؤمون ساحته . من ذلك أنه اعطى مائة دينار ذهبا الى الاديب الشاعر أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف لأنه لخص له في جزء واحد كتاب الاغاني . ومنحه خمسين ديناراً ذهباً لكتاب في علم الطب اقتبسه من مؤلفات أخرى . ومنحه جوائز أخرى سنية عندما قدم له كتابه في علم الادب : عقود المحاسن . وكتابه : شرح العقيقية . وكان يمنح الشعراء الذين يقفون ببابه منحاً وافرة . ولقد امتدحه مرة ابن علال اثر غزوة غزاها فالقى اليه خمسين محبوباً ذهبا . وجمع الباي في قصره جماعة من النساخين المشهورين بجودة الخط كانوا يشتغلون بصفة مستمرة بنسخ الكتب وتعمير مكتبة القصر الخاصة ومكتبة المسجد العامة . وكان في اوقات الراحة يركن الى مكتبته ويعتكف على المطالعة والدرس . فكان متضلعا في علوم العربية حافظاً لجانب عظيم من ادب

العرب متوسعاً في علوم الدين . وكان الى ذلك واسع الاطلاع على علم الطب . معوما بدراسته فكان يجهز بنفسه الادوية المختلفة ويوزعها على افراد الشعب ويفتخر بذلك فيقول : انا طبيب الفقراء . وكان الى جانب ذلك شديد التقوى كثير الورع يرسل كل سنة «هدية» مالية للحرمين الشريفين ويبعث كل سنة بمملوك لخدمة الحرم النبوي .

وكانت سياسته الداخلية مزيجاً من الشدة واللين : يخمد الثورات التى تقوم بها الجهات القاصية بعنف . ثم يبسط الرحمة والعدل . فلم تقع بعد ذلك ثورات ولا قلاقل في بلاده . وكانت صلاته الودية متينة مع الباشا محمد عثمان وباي تيطري وباي قسنطينة . كما كانت علاقته مع سلطان المغرب مولاى محمد بن عبد الله بن اسماعيل على احسن مايكون صفاء وولاء . وكانت الهدايا الثمينة دائمة التبادل بينهما .

اما مآثره الكبرى وميزته الخالدة فهي ما ابداه رحمه الله من صلابة وشدة في محاربة الاسبان بوهران وفي التضييق عليهم الى ان أتم الله النصر على يده فافتتح تلك المدينة (29 فيفري 1792) ونقل إليها كرسى البايليك وقضى بقية ايامه في ترميمها وتوسيعها ، وابتنى فيها المسجد الكبير تذكاراً لذلك الفتح المبين . فلم تمض الا مدة وجيزة حتى اصبحت وهران بعدما كانت خربة مدينة غنية زاهية زاهرة وارسل له الباشا ريشة ثمينة يضعها في عمامته ، ولم يضعها قبله ولا بعده أي باي لأنها من خصائص سلاطين آل عثمان وباشوات الجزائر . ومنحه رسمياً لقب «محمد باي الكبير» واستمر على اعماله العلمية والاصلاحية الى ان توفي الى رحمة الله ورضوانه سنة 1796 .

ولقد خلد تاريخه ومآثره احد كبار علماء عصره الشيخ أحمد بن محمد بن سحنون الشريف في كتابه «ابتسام الثغر الحماني في ابتسام الثغر الوهراني» وهذا الكتاب محفوظ عند احفاد الباي الكبير ، وأطلع عليه المؤرخ الفرنسى مسيو جورجيوس ولخصه في سلسلة ابحاث ضافية نشرها في المجلة الافريقية سنة 1856 ـ 57 ـ 58 ـ 59 ـ وفي هذه البحوث القيمة تفصيل شيق لحوادث فتح وهران .

رجال المخزن في دار الباي

(وهران ـ المدية ـ قسنطينة)

رأينا في مذكرات نقيب الاشراف ، وسنرى في مذكرات فونتيردي بارادي ـ كيف يتألف المخزن في مدينة الجزائر حول الداي والديوان . واليك القاب رجال الادارة الذين يتألف منهم المخزن في بلاد البايليك :

1 ـ الباي ـ يستمد سلطته ونفوذه من الديوان في الجزائر ، ويرجع في اموره للباشا رأساً وهو الذى يامر بولايته وعزله .

2 ـ الخليفة ـ وهو الذى يباشر ادارة البايليك ، واليه يرجع أمر القياد الذين يمثلون السلطة في مختلف جهات البلاد ، وعليه ان يقدم للجزائر مرتين في السنة لدفع الدنوش الصغير . اما الدنوش الكبير كل ثلاثة اعوام فيذهب له الباي بنفسه وللخليفة ان يتولى أمور عدة قبائل ويتخذ من رجالها اعواناً له .

3 ـ قائد الدار ـ وهو المكلف بحراسة المدينة وحفظها ومد الجند بالمرتبات والارزاق كل شهر ؛ والواقف على ضبط املاك الدولة والحاكم المطلق في امر المخالفات التى تقع بالمدينة .

4 ـ النجاد ـ وهو الخزناجي يتولى امور المالية كلها وله ديوان خاص للقبض والصرف .

5 ـ آغا الدائرة ـ وهو قائد فرق الفرسان من العرب التابعين للمخزن .

6 ـ الباش كاتب ـ يتولى كتابة رسائل الباي . ويمسك دفاتر المالية واملاك الدولة .

7 ـ الباش سيار ـ هو المكلف بحمل الرسائل بين الباي والباشا .

8 ـ الباش سائس ـ المكلف بخيول الدولة وتربيتها والوقوف عليها .

عندما تقدم الحامية الى بسكرة يسلم لها 80 صاعا قمحا (كيل القصباء) لكي تصنع البرغل والبشماط (خبز مجفف) اي 20 صاعا لكل سفرة (مائدة عسكرية) وكل سفرة تتسلم 40 رطلا سمنا و21 رطلا ونصفا زيتا و30 رطلا زيتونا كل صاع من القمح يصنع قنطاراً من البشماط ، فكل سفرة تسلم للخباز 6 اصواع من القمح ويسلم لها من بعد 6 قناطير من البشماط . هذه هي المؤون التي تسلم لكل سفرة أما مايزيد عن ذلك ، فهو مرسوم في باب آخر . وكتب هذا ليقع الرجوع اليه .

وكل عسكري (يولداش) يتسلم يومياً 3 خبزات ونصف رطل صابونا .

وكل يوم جمعة يأخذ كل عسكري نصف رطل صابونا زيادة ودرهما لاصلاح الثياب . والعسكر يقتسمون فيما بينهم ما ينوب رفقاءهم الغائبين أو الذين ماتوا . الا اذا كان الغياب برخصة رسمية ، ولا يقع الاقتسام الا في اللحم والمواد الغذائية وأما الصابون فلا .

كل يوم خميس وجمعة واربعاء يسلم الآغا (قائد الحامية) الى المحتسب مافضل عن السفارى من اللحم والخضر .

قائد المدينة وسكانها مسؤولون عن الاقوات التي يجب أن يمدوا بها الحامية وهم مجبورون على سد النقص الذى يقع في تسليمها ، وفي اليوم الآخر من كل شهر يتسلمون ثمن الأشياء المذكورة التي قدموها للحامية . وقد وقع تسعير السمن والزيت بثمن باطاق شيك للرطل .

في المولد النبوي يتسلم الجند من القائد 22 باطاق شيك يقع اقتسامها هكذا : نصف باطاق شيك للخوجة ـ 6 و3 من 8 باطاق شيك لسفرة الآغا ـ 5 و1 من 8 باطاق شيك لكل سفرة أخرى .

وكيل الحرج يتسلم من الاهالي الزيتون ويسلمه للخوجة فيوزعه هكذا : سفرة الآغا 4 ريالات ـ سفرة الكاهية 3 ريالات ـ سفرة باش بلوك باشى 2 ريالات والسفرة الرابعة 2 ريالات . وهذا التوزيع يقع حسبما يدفعه أهل كل قسم من اقسام المدينة حسب ابوابها : فسفرة الآغا تتسلم معلوم الباب الجديد . وسفرة الكاهية

تسلم معلوم باب الفكه . وسفرة بلوك باشى تتسلم معلوم باب الفتاح . والسفرة الرابعة تسلم معلوم باب الخويخة .

عندما تصل الحامية العسكرية الجديدة الى بسكرة تبقى ثلاثة أيام في ضيافة أهل البلد ، فيقدمون للعسكر الخبز والتمر في الصباح والكسكسو في المساء . وطائفة الدباغين تقدم للاغا ثلاثة جلود وستة أرطال صوفا وللكاهية زوج جلود واربعة ارطال صوفا ولكل من بقية الضباط : البلوك باشى والخوجة والاوداباشية الاربعة والشواش جلداً واحداً ورطلين من الصوف .

في خزينة الدولة :

يوم 22 شعبان 1191 وضع محمد باشا في الخزنة صندوقا وزنه 81 ، ويحتوي تقريباً على الفي قطعة ذهبا .

يوم 6 شوال 1191 دفع محمد باشا للخزينة 25 شكارة في كل واحدة ألف محبوب .

وفي هذا اليوم أيضا دفع محمد باشا للخزينة صندوقين يحتوي كل واحد منهما على عشرين ألف سلطاني ذهبا .

يوم 23 شوال 1201 دفع محمد باشا للخزينة 60 ألف بوجو ، وذلك من ماله الخاص وهوما تسلمه من الاسبان هدية بشمق بعد عقد الصلح .

دفع محمد باشا للخزينة 40 ألف سلطاني ذهبا ، ثم ثلاثين ألف سلطاني ذهبا ، ثم 12 ألف سلطاني ذهبا ، و82500 محبوب ذهبا .

عين الحامة :

اذا بحثنا عن عين ماء الحامة (تجاه حديقة التجاريب والى جانب متحف الفنون اليوم) علمنا ان هذه العين تخرج من منبعين : المنبع الاول الجنوبي يخرج من تحت المسجد ، والمنبع الثاني الشمالي يخرج من الجبل . ويلتقي الماء الخارج من المنبعين في غارمحكم الغلق ، ومن هذا الغاريخرج الماء ويجري نحوصهريج حديث الوضع ويعود للغار ، وبين هذا الغاروالصهريج مسافة 12 قدماً . وفي هذا

الغار يوجد صهريجان : الاول في اقصاه من الداخل . والآخر عند القبة ومنه يخرج الماء في قناة الى جهة المدرسة .

وكتب هذا سنة 1173 (1759) أيام ولاية علي باشا الذي امر باجراء البحث عن عين الحامة وبنى عليها البناءات ابتغاء الثواب من رب العباد وسائر المخلوقات ورحمته الابدية .

السيد محمد باشا أغدق الله عليه النعم . عزم بعون الله مولانا على اجراء ماء الحامة الى الجزائر فاستشار الخبراء في هذا الشأن وتفاهم مع معلمي البناء وقائد العيون فاشاروا كلهم بامكان هذا العمل ، وعليه فقد ابتدأ العمال بغاية النشاط حفر القناة التي تاتي بالماء من الحامة الى الجزائر واحاطتها بالبناء اعانهم الله تعالى كتب في 7 شوال سنة 1203 (1788)

سك النقود :

ان خلط المعادن الذى يقع في دارضرب النقود الحكومية يجب أن يكون على هذه الصورة : في كل مائة رطل يجب أن يوضع 60 رطلا من الفضة الخالصة و40 رطلا من النحاس ، هذا هو القانون وكتب هنا لكي يقع العمل به باستمرار .

والعمال الذين يشتغلون بضرب النقود ياخذون 400 صائمة عن كل قنطار . والاربعة وعشرون من اليهود الذين يعملون في دارضرب النقود يتناول كل واحد منهم يومياً ريالين .

واجرة صنع الذهب : الرطل من السلطاني 6 ريالات ، الرطل من النصف سلطاني 5 ريالات ، الرطل من الربع سلطاني 3 ريالات .

ومن كل قنطار من المعدن يسقط في عمليات الضرب 4 ارطال و6 أواق . وهذا هو الاسقاط القانوني الوحيد الذى يعمل به .

صناعة الحديد للدولة :

ثمن القنطار الكبير من الحديد 28 ريال والنار تسقط 18 رطلا من القنطار الكبير فيبقى من القنطار 82 رطلا يصنع منها صفائح (حدوات) صغيرة للبغال وزن

كل واحدة 10 اواق والمصاريف عليها من فحم وعمل تبلغ 14 دريهما للرطل فتكون الجملة 72 دريهما . أما حدوات الخيل فزنة الواحدة منها 15 اوقية ومصروف الرطل فحما وعملا 14 دريهما فتكون الجملة مع المصاريف الطارية لاتمام العمل 102 دريهمات .

الحدوات اللازمة لحيوانات الجر وحمل الاثقال تصنع في شرشال . وخوجة الخيل هو الذى يرسل الحديد اللازم لصنع هذه الحدوات . والقنطار من الحديد يصنع مائة حدوة مع اعتبار مايسقط من المعدن . والقنطار من الحديد يصنع 8000 مسمار . ونقل 100 حدوة على ظهر البغال يساوي نصف ريال . ونقل 1000 مسمار يساوي ثمن ريال وخروبة .

صانع السفن :

إن معلم السفائن يأخذ على كل سفينة جديدة يتم صنعها بوجوواحداً عن كل مجذاف فيها . ويأخذ على كل سفينة عندماتنزل لأول مرة في البحر مائة ريال . ويأخذ من قبطان تلك السفينة مائة ريال أخرى .

لصنع المدافع :

اشترى محمد باشا 12765 رطلا من النحاس الاحمر لكي يصنع منها مدافع للحصون . وهذا النحاس غنيمة بحرية بيعت على يد معلم السفائن ودفع له مائة ريال عن كل قنطار .

اشتراء المدافع من الانكليز :

وصل الى مدينة الجزائر من بلاد الانكليز 50 مدفعاً من الحديد اشتراها محمد باشا على حساب الخزينة هذا تفصيلها :

28 مدفعاً من عيار 12 يزن كل واحد منها 22 قنطاراً فالجملة 64565 رطلا .

6 مدافع من عيار 6 يزن كل واحد 12 قنطاراً فجملتها 7961 رطلا .

و16 مدفعاً من عيار 8 وزنها كلها 34950 رطلا .

فحملة وزن هذه المدافع 1074 قنطارا و75 رطلا ووقع دفع ثمن هذه المدافع قمحا : 5 كيلات قمحا لكل قنطار من المدافع . وكتب في 25 صفر 1192 .

ومن قبطان السفينة التي نقلت هذه المدافع وقع اشتراء 3 انجرات (جمع انجر وهو مخطاف السفينة) على سعر 5 كيلات قمحا لكل قنطار فحملة القمح الذي دفع ثمناً للمدافع 5373 كيلة ، وحملة القمح الذي دفع ثمناً للمخاطف 5506 ، وهذا القمح اخذ من عنابة . كتب في 25 صفر 1192

جاءت من جبل طارق سفينة تحمل 5 مدافع من النحاس اشترتها حكومتنا على سعر 22 كيلة قمحا للقنطار ، ووزن هذه المدافع جميعاً 32691 رطلا .

تعداد الجند التركي بالقطر الجزائري (1)

نوبة زمورة ـ سفرتان : 14 و 14	يساوي 28 رجلا
ـ مستغانم ـ 5 سفرات : 14 و 16 و 16 و 15 و 17	» 78
ـ وهران 10 سفرات : 15 و 14 و 16 و 16 و 16 و 15 و 16 و 16 و 16 و 16	» 156
ـ قسنطينة ـ 5 سفرات : 13 و 15 و 16 و 14 و 15	» 73
ـ عنابة ـ 5 سفرات : 14 و 14 و 15	» 71
ـ بسكرة ـ 4 سفرات : 15 و 16 و 16 و 15	» 63
ـ بجاية ـ 3 سفرات : 14 و 15 و 15	» 44
ـ تبسة ـ سفرتان : 15 و 14	» 29
ـ تلمسان ـ 5 سفرات : 13 و 16 و 15 و 16 و 16	» 76
ـ معسكر ـ 3 سفرات : 13 و 14 و 15	» 42
ـ جيجل ـ سفرتان : 14 و 15	» 29

(1) في دفتر تشريفات الاصل بيان مطول يشمل اسماء والقاب وصفات كل جندي من هؤلاء الجنود ، فاكتفى المترجم بذكر عدد السفرات ومقدار رجالها ومن هذا العدد القليل (3081) رجلا تدرك ان السلطة التركية في القطر الجزائري لم تكن احتلالا عسكريا اجنبيا ، بل كانت سلطة تعتمد على قوة أهل البلاد : الدواير والزمول والمخازنية ، وعلى نظام محكم مدقق ، وخاصة على نفوذ الخلافة الاسلامية العثمانية . فما بقي الاتراك في القطر الجزائري ثلاثة قرون الا برضى أهل البلاد ، وباسم الاسلام والخلافة .

نوبة حمزة ـ سفرة واحدة	» 15
ـ تنتزلة ـ 4 سفرات : 15 و 16 و 16 و 15	» 62
ـ تامانتفوس ـ سفرة واحدة	» 15
ـ كهف الرجالة ـ سفرتان : 14 و 15	» 29
ـ بني جنات ـ سفرتان : 15 و 15	» 30
ـ الفنار (المرسى) ـ سفرة واحدة	» 15
ـ برج الحاج علي باشا (رأس المول بالمرسى)	» 15
ـ مرسى الذبان (ابوانت بسكاد غربي الجزائر)	» 15

جملة الجند المستقر : 59 سفرة جملة رجالها :	884 رجلا
جند احتياطي	» 580
محلة تيطري 15 خيمة	» 195
محلة الشرق 80 خيمة	» 1092
محلة الغرب 60 خيمة	» 814
حامية القصر الحكومي وبرج القصباء	» 96
مجموع الجند التركي في كامل القطر الجزائري	» 3861

وأثر ذلك توظف في السفارة الفرنسية بدار الخلافة ومكث بها الى ان دعاه بونابارت لمشاركته في أعماله بمصر فسار اليه وصحبه واصبح لسانه الذى يتكلم به مع عموم أهل الشرق ، وكان له الفضل في ضم الكثير من القبائل العربية حول بونابارت . ومكث معاونا له حتى مرض ومات اثناء حصار مدينة عكاء عام 1799 . وقد ذكره الجبرتي في تاريخه وأثنى عليه وامتدح اخلاقه ومواهبه . ولقد ترك عدة مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بباريس . ومن بين مؤلفاته ترجمة كثير من الكتب العربية النادرة ، ومن أهم مانرجمه : تاريخ الخلفاء والمماليك بمصر للشيخ يوسف المقدسى ، والموجز الجغرافي التاريخي لدولة المماليك لابن شاهين الزبري . واليك ماعربناه من مذكراته :

وصف الداي :

منذ يوم 8 فيفري 1766 تولى بابا محمد بن عثمان رئاسة وجاق الجزائر ، واصله من بلاد قرمان التركية المواجهة لجزيرة رودس ، ونظراً لأنه كان عالماً بالقراءة والكتابة فهوحين قدومه للجزائر تمكن من الانضمام الى هياة «الخوجات» بعدما جمع الالف بطاق شيك التي يجب ان يدفعها لخزينة الدولة كل من ينضم الى تلك الهياة . مكث بعض اعوام في هذه الخطة بين المعسكرات وبين فرق الحرس ، ثم ارتقى لمنصب خوجة النوبتجية الذين يحرسون قصر الداي ليلا ونهاراً . ومن هذه الخطة التى لا يتولاها الا كبار الامناء رفعه علي باشا الى منصب الخزناجي وعهد له بالولاية من بعده . وبابا محمد ابن عثمان يجا وز الآن (سنة 1788) الثمانين عاما ، وهو مفرط الطول نحيف الجسم اذا مشى جر رجله اليسرى قليلا وذلك لتأثره بجرح اصابه في ركبته اثناء محاصرة وهران ، له نظرة حادة غير لطيفة ، ولا يزال سمعه وبصره على احسن حال ولم تضعف قواه العقلية اصلا ، اما صحته فحسنة وذلك بفضل عدم الانهماك في الشباب وما يستعمله من حمية فهو لم يتناول دواء قط طيلة حياته . وكان اذا أصابه مرض امتنع عن تناول الطعام واكتفى باحتساء الماء القراح الى أن يزول مابه من ألم . ولم يتزوج ولم يعرف عنه في شبابه أنه كان يجري وراء النساء والغلمان شأن بقية الاتراك في الجزائر . فكان عفيفاً نزيهاً متواضعاً في لباسه متورعاً زاهداً ضنيناً بسفك الدماء فلم يصدر حكم الاعدام

طيلة أيام ملكه الاعلى عدد قليل جداً من الناس . . . . والعيب الوحيد الذى فيه هو أنه كثير الاقتصاد شحيح بالمال بحيث لاهم له الا توفير المال في خزينة الدولة . وليس اصعب على نفسه من اخراج المال من تلك الخزينة . . . . وهولا يتحمل في داره التساهل مع الاخلاق ، ولا يقبل في الخدمة عنده الا اصحاب السلوك الطيب والسيرة المحمودة واذا ما ارتكب منهم احد شيئاً ضد الاخلاق بالغ في التكتم خشية ان يطلع الباشا على عمله . ثم هولم يذق الخمرة قط طول حياته ولم يدخن ولم يتناول نشوقا ، وكذلك كان افراد دائرته يبتعدون عن الخمرة وعن التدخين . وعندما استولى داياً في الجزائر ارسل الى بلاده وأتى بابني اخيه : فاما الاول فقد خصصه في القراءة والكتابة وجعله في الرتبة الثانية بديوان كبار الكتاب ، وأما الثاني فلم ينجح في التعلم ولذلك تركه في رتبة جندي بسيط (بولداش) وليس له من مورد يعيش منه إلا ما يتقاضاه من اجر عمله العسكري . لكن وكيل حرج البحر سيدي علي – وهو مملوك بابا محمد – كان يحسن الى ابن اخيه هذا نظراً لمركز عمه .

مالية الداي :

ليس للداي من مرتب إلا ما يتقاضاه على رتبته العسكرية (40 رغيفاً يسلمها له شيخ البلد) أو مايتقاضاه من العوائد من قناصل الدول أو من هدايا البايات والقياد . والدولة تقدم للداي مؤونته ومؤونة من حوله وتدعى ذلك : «الغرامة» فهي تقدم له القمح والضان والدجاج والسمن والارز والفواكه وذلك مما تنتجه نواحي البلاد . ولقد استعمل الداي (بابا محمد بن عثمان) الثروة التى جمعها اثناء حكمه الطويل في تشييد المسجد المقابل لقصره حيث يذهب لاقامة الصلاة كل جمعة ، وكذلك في تشييد عدة قلاع وحصون لحماية مرسى الجزائر . وعندما رجع الاسبانيون لرمي قنابلهم على مدينة الجزائر اثرحملتهم السالفة الخائبة طلب الكثير من الكبراء الى الباشا ان ينتقل الى حصن القصباء وذلك لأن قنبلتين سقطتا على قصره وان رصاصة اخترقت النافذة التي كان يشرف منها على اعمال الاسطول الاسباني . فعندما أجابهم لطلبهم وضع في خزينة الدولة 200000 سكة جزائرية (محبوب) كانت مخبأة عنده وهي ما اقتصده من ماله

الخاص . ولما سألوه بعد ذلك ان يسترجعها من الخزينة رفض قائلا : انه لا يحتاج شيئاً وأنه مادام سيترك بعد موته للخزينة جميع ما يملك فالاولى ان يسلم لها ذلك وهو بقيد الحياة .

لباس الداي :

كان الداي يرتدي في يومي العيدين الخلعة التي ارسلها اليه السلطان الاعظم بمناسبة ولايته وكان السلطان يجددها كل عامين أو ثلاثة اعوام وهي عبارة عن قفطان مفتوح اليدين مصنوع من قماش قطني وفي مقدمته قطعة قماش من الحرير الاصفر على شكل لهيب النار . وهذا القفطان زهيد الثمن من الناحية المادية حيث هو لا يساوي أكثر من 15 قرشاً تركياً . وكان السلاطين من آل عثمان يضعون فوق عمائمهم من ناحية الوسط ريشة صيغت من الماس ويكون وضعها منحرفا نوعا ما . ويزعم الاتراك انه لايحق للسلاطين ان يضعوا تلك الريشة وضعاً مستقيما الا بعد ما يخفق علم التوحيد الاسلامي فوق اقطار الارض .

فعندما انكسر الاسبان نهائياً عند جدران الجزائر – ارسل الخليفة الاعظم رسولا : قبجي باشا الى داي الجزائر يحمل له هدية : ريشة من الماس كالتي يلبسها السلاطين ، فكان الداي يضعها فوق العمامة عندما يرتدي القفطان ايام الاعياد .

اما فيما عدا ذلك فلم يكن للداي من لباس يميزه عن بقية الناس ، وكان يرتدي قميصاً فوقه صدريتان ومعطف قصير يدعى : (جابدولي) وكل ذلك من الجوخ (اللف) وسروال كبير يكون من الجوخ في الشتاء ومن قماش الكتان في الصيف ويضع فوق كل ذلك برنسا ابيض اللون وعلى رأسه عمامة مستديرة من الحرير الرقيق الأبيض فوق شاشية حمراء وينتعل بشمقاً من الجلد الاصفر فوق خف من ذلك اللون يدعى تربليك ، ولم يكن قط في اثوابه شيء من الذهب والفضة ، وفي فصل الشتاء كان يضع جوارب من القطن ترتفع الى نصف الساق ، ولطالما رآوه يرقع بنفسه جوربا أو يرتق فتقا في ثيابه . فكان الشح حتى في الاشياء التافهة هو نقطة الضعف في نفسه ، انما الامر الذي يكاد يبرر هذا الشح – هو أنه لا يقع الا قصد التوفير على خزينة الدولة وسعيا في ازدهارها . ولقد كانت حقوق الدولة (البايليك) مقدسة عنده ، ولم يتساهل قط مع اي انسان فيها .

نساء الداي :

لايجوز للداي ان يكون له نساء داخل دار الامارة ، فان تزوج فعليه ان يسكن زوجه في منزل آخر بالمدينة أو بضواحيها ودستور الحكومة الجزائرية يمنع الداي من الزواج ، فان تزوج الداي فيتساهل فقط من الديوان ، والفكرة التي اوجدت هذا القانون هي أن الداي يعتبر ابا لجميع الجنود في البلاد فلا يحق له ان يكون أبا لاولاد آخرين ، وأيضا خشية أن يستعمل موارد الدولة في الانفاق والتوسيع على عائلته . ولقد تزوج علي داي واسكن زوجه في منزل ملاصق لدار الحكومة(1) وفتح بين الدارين بابا ليجتاز من احداهن للاخرى بسهولة ، فتصادم من أجل ذلك مع الديوان ، واقنعه رجاله بأن دار الحكومة لايجب ان يكون لها الا باب واحد ، وان ما فعله انما هو مخالف للعوائد والتقاليد ، فاضطر علي داي للنزول عند رأيهم ، وسد ذلك الباب .

خزينة الدولة :

خزينة الدولة موجودة بقصر الحكومة ، وهي عبارة عن دهاليز مقوسة تحت الارض ، وبابها يفتح في صحن الدار حيث يجتمع الديوان . ويقع هذا الدهليز عن يمين الداخل ، وعلى بابها مقاعد خشبية يجلس عليها دواما ستة عشر نوبتجيا يسندون ظهورهم الى جدرانها . والخزناجي وحده هو الذى يسوغ له ان يدخل الى الخزنة . فوكيل حرج الصوف والصائجي يأتيان بالاكياس شاغرة ويضعانها عند مدخل الخزنة وهو يعمرها ، وهذا في حالة ما اذا كان المراد اخراج المال منها . وأما اذا كان المراد وضع المال بها فهما يأتيان بالاكياس مملوءة مالا ويضعانها عند الباب وهو يدخلها ويضعها في مكانها . ومفتاح الخزانة يؤمن عند الداي . فعند مطلع الشمس من كل يوم يفتح باب القصر ويسلم الداي المفتاح الى الخزناجي ، ويكون هذا مع رجال الديوان في سقيفة الدار جالسين فوق المقاعد المبنية . وعندما يفتح الباب الكبير الداخلي يدخلون كلهم وتبقى الخزنة مفتوحة الى الزوال فقط وعندها يوصد الخزناجي بابها ويسلم المفتاح الى الداي فهي لا تفتح اصلا في العشية ولو ايام دفع المرتبات ، أما في يومي الجمعة

---

(1) هذا المنزل لايزال موجوداً الآن وهو مقر ادارة الارشفيك رئيس الكنيسة في الجزائر ويقع تجاه قصر الشتاء والكنيسة الكبرى .

أما ما يدفعه من القمح والحبوب والشمع وغيره وعبيد وهران (من اسارى الاسبان) فهو لا يكلفه ثمناً باهضاً ، لأن الشمع لايساوي في بلاده أكثر من 50 بطاقا ، والقمح نصف سكة للكيلة . واسيروهران لايتكلف بثمن ، اما عند البايليك الجزائري فهو يساوي 500 سكة جزائرية (الف دورو) . ويدفع السنة قياد (جمع قائد في الاصطلاح الادارى) كل سنة 50 000 ريال .

أما قائد سباو فهو مثل البايات في محل قيادته ، ولا يدفع نقداً انما يدفع زيتاً وتيناً محففاً

وتيجة ضريبة الاسواق البرية كل سنة 12000 ريال

جزية اليهود يدفعها قائدهم 500 بطاق كل اسبوع = 08000

واليهود يدفعون فوق ذلك هدايا للداي ، وكبار المملكة في يومي العيدين ، ويدفعونها بهارات ومواد العطارة ، و25 سكة جزائرية لكل من الداي وكبراء رجال الدولة ، فجزيتهم السنوية تبلغ بهذا مقدار 20 000 ليرة (الليرة فرنك ذهبا أو 7 فرنكات اليوم) فيدفع منها فقير اليهود 10 ليرات ، ويدفع اغنياؤهم 300 أو 400 ليرة . وتدفع مدينة الجزائر كل أسبوع 200 قرش على يد «شيخ البلد»[1] وهي ضريبة على الحوانيت والحرف . أما ديار السكنى فلا تدفع اداء 11200 ريال

نتائج اختصاصات الحكومة ، ونتائج بيع الحيوانات التي لاحاجة للبايليك بها 12000 =

نتائج لزمة الجلود الواردة من داخل البلاد على يد خوجه مكلف بها 12000 =

ولاتدخل في لزمة الجلد جلود البقر التي تدبغ بمدينة الجزائر كل سنة ، وينتج نحو 40 الف جلد في العام ، فان تلك الجلود ترجع للبايليك رأسا ليصنع منها احذية الجنود معلوم الديوانة على ريش النعام ، والدخان ، والصوف ، واداء على الحيوانات المحملة التي تخرج من الجزائر على ذمة قائد اليهود : 1200 ريال

ديوانة البضائع الواردة للجزائر : 50000 =

---

(1) من مذكرات خطية بقلم جدى المرحوم أحمد بن محمد المدني : ان منصب «شيخ البلد» بالعاصمة الجزائرية قد اسنده محمد عثمان باشا رحمه الله لجدنا الشيخ المدني بن عمر القبى الاندلسى سنة 1196 هجرية ، وتوارث ابناؤه على الاكثر مشيخة البلد منذ ذلك العهد ، وكان آخرهم هو الشيخ محمد بن أحمد المدني الذى مات غريقاً أثناء رجوعه من الحج ، وذلك ثلاثة اعوام قبل الاحتلال . وكان ابنه جدى المذكور صغير السن فلم ينتخب للمشيخة

والخزناجي هو المكلف بادارة الديوانة ، والباشكاتب هو الذي يحدد الاسعار ويدفع قرمز[1] معسكر الصادر الى تونس كل سنة 02000 ريال

لكن هذا المقدار يستهلكه الكاتب على الاكثر . نتيجة بيع الملح (يشتريه الخوجة على سعر بطاق واحد للكيلة) - (الكيلة هي قنطاران من وزن مرسيليا) ويبيعه على سعر 2 بطاق 04000 ريال

مايدفعه المركز التجاري الفرنسى تحت اسم العشر وهو 10400 =

- من المرجان صندوقان في السنة 03000 =

وزيادة على هذا فان المركز التجاري الفرنسي (في القالة) يدفع عوائد كل عشرة اعوام 2000 ياستر للداي و 1300 ياستر لكبار الكتاب ويدفع قفاطين من الملف والذهب للداي ورجال الدولة ، وذلك يساوي تقريبا 14000 ليرة . ويدفع المركز سنويا هدية من التفاح والقصطل . والمزوار العربي يدفع ضريبة للبايليك عن بنات الهوى 40 سكة كل شهرين وعلى المزوار أن يعوضهن وان يطوف عليهن 0500 ريال بالليل للمراقبة وحفظ النظام .

مايدفع للاحراز على خطة خوجة في ادارات البر ولا يقبل في منصب 3000 ريال

خوجة الامن يدفع 1000 بطاق شبك لخزينة الدولة . ما تنتجه الموازين العامة التي يتولى امرها خوجة خاص : فالحرير يدفع صولديا ونصفا على الرطل ، والحديد يدفع 4 صولديات للقنطار 5000 ريال

والتين يدفع صولديا واحداً - بيت المالجي ولا يكون الاتركيا غيرمتزوج يدفع كل اسبوع 170 قرشا (ياستر) للخزينة 9000 ريال

اما الحلي وادوات الفضة والذهب وغيرها فهو يدفعها بنفسه للبايليك ، وبيت المالجى يضع يده على كل المواريث التى لاوارث لها من قار ومنقول ، ما عدا مواريث كبراء الدولة (وهي ترجع للخزينة أصالة إن لم يكن لهم وارث)

فجملة المداخيل الاخرى :	193300
مع ما يدفعه باي تيطري	067000
- - - قسنطينة	228000
- - - وهران	173000
الجملة ياستر (فرنكات حالية 250 17220)	661300

---

(1) القرمز مادة للصباغ الاحمر ، وهي أحسن ما يصبغ به الطربوش التونسى (الشاشية) على الطريقة الاندلسية العتيقة .

المحاكم والمساجد :

يوجد بمدينة الجزائر 12 مسجداً جامعاً بها المنابر والمنارات المرتفعة ، وعدد كبير من المساجد الصغيرة ، واهم هذه المساجد مخصص لمذهب مالك بن انس وهو الجامع الكبير . وفي هذا الجامع الكبير يجتمع القاضيان والمفتيان كل يوم خميس للنظر في القضايا الكبرى التى لم يقع البت فيها في المحاكم الشرعية ، وكذلك لتوزيع التركات حسب الفريضة ، ويدعى ذلك الاجتماع : «المجلس الشريف» فاذا كان المتقاضون من المسلمين فانهم يدخلون كلهم المسجد ، وان كان فيهم من النصارى واليهود فان اعضاء المجلس الشريف يخرجون الى صحن بجانب الجامع وهنالك يتقدم امامهم الخصوم . ويوم الثلاثاء هو يوم راحة عامة في المحاكم والحكومة ويذهب العظماء والكبراء الى بساتينهم في ضواحى المدينة قصد الراحة .

وفي كل منارة من منارات المساجد والجوامع يوجد عمود من الخشب ترتفع فوقه راية بيضاء عندما يبتدىء المؤذن في ندائه وتنزل الراية عندما ينتهى الاذان وذلك في الاوقات الخمس ، لكن عند صلاة الظهر ترتفع الراية عندما يبتدىء الاذان وتبقى مكانها الى الساعة الواحدة والنصف أي عند انتهاء وقت الظهر . وهذه عادة خاصة بمدينة الجزائر ، وفي ايام الجمعة ترتفع فوق المنارات اعلام خضراء من الساعة الحادية عشر الى الحادية عشر والنصف ، ثم ترتفع الراية البيضاء عند الاذان .

وفي الجزائر ثلاث مدارس جامعة كبرى تدرس على مذهب مالك بن انس .

عوائد اهل الجزائر :

يتناول الجزائريون الفطور على الساعة السادسة صباحاً والغذاء على الساعة التاسعة والعشاء على الساعة السادسة ، وعند الاغنياء واصحاب الحرف يقع الاعتناء بالعشاء اكثر من اوقات الطعام الاخرى (ولاتزال هذه العادة بالجزائر الى اليوم فيما يخص بالعشاء فقط) بحيث لا يطبخ اللحم غالبا للغذاء ، واطول اوقات الطعام لا يتجاوز اربع ساعات ، ومن العجب العجاب ما يأكله التركى وخاصة العربي في الوقت الواحد ، فان الرجل منهما يأكل وحده مقدار ما يأكل

ثلاثة رجالمنا ، فهل من الاكثار من الأكل كانت لهم هذه الصحة في الابدان ، ومايروي عنهم من العجائب في ميدان الغرام ؟ وعلى الساعة التاسعة ينام كل انسان ولا يستيقظون الا عند الفجر .

العقود والالتزامات :

كل كتب ممضى من الطرفين ولو كان يحمل شهادة شاهدين من العامة لا يعمل به ولا يعتبر وثيقة ، ويمكن انكاره امام المحكمة ولو كان يحمل ختما . فلا يكون الكتب صحيحا معترفا به قانونا الا اذا كان تحريره على يد عدلين رسميين . ولكل من القاضي المالكي والقاضي الحنفي 12 عدلا ، فهم الذين يحررون كل الكتائب في جميع المعاملات الخاصة ، ويمضي الوثيقة العدلان ويختمانها بختميهما ثم يضع عليها القاضي الطابع الضابط ، ويتسلم «الشاهد العدل» اجرة الكتب على مقتضى أهميته . إما باطاق شبك واما نصفه واما أكثر قليلا . انما الاجرة لاتتعدى ابداً سكة جزائرية ، ولا يتناول القاضي عن كل كتب لوضع الطابع الا موزونة فقط ، ولا تكون الاجور ارفع الا عندما يتعلق الامر ببيع عقار . لانه تلزم مراجعة الرسوم والتحري في الملكية . اما القاضي فلا يتناول الا الموزونة لاجل الطابع فقط . وفي قسمة المواريث يتناول القاضي 10 في المائة ، وبما ان القاضي هو الناطق باسم القانون في الكثير من الاشياء ، فتشترى عدالته ببعض الهدايا ، لكن للمتقاضين طلب الاعادة امام المجلس الشريف . اما مدة التسويغ بالنسبة للديار والبساتين والمزارع فهي قانونا لايجب ان تتعدى ثلاثة اعوام ، وهكذا جرت احكام التشريع الجزائري ، فالقاضي لا يستطيع ان يكتب أي كتب لمدة تجاوز ذلك ، ولو فرض ان اتفق الطرفان لمدة فوق ذلك وكتبها العدول ، فان الكتب يكون لغواً ولا عمل عليه للمدة التي فوق الثلاثة اعوام ، ولا يلزم الورثة بتنفيذ عقد يجاوز تلك المدة .

المياه العامة في المدينة :

البايلك هو الذي يتولى حراسة ورعاية القنوات التى تاتي بالماء للمدينة وتوزعه في حاراتها ، ويتولى ادارة المياه خوجة قلما يتغير ، وهي وظيفة قليلة الارباح . ولايستطيع انسان ان ياتي بالماء العمومي لداره الا ان كان من أكبر الكبراء

وبذل مساعي طائلة وانفق مالا كثيرا ، فسائر العيون التي توزع الماء على الحارات عمومية لجميع الناس ، واكثر ما يستطيع ان يتحصل عليه صاحب الجاه هوان توضع على مقربة من محل سكناه عين عمومية.

الجنائز :

إذا مات الرجل خارج المدينة في بستانه فليس لأهله ان يدخلوه الى المدينة ، فلا تدخل جثة الى المدينة اصلا (وهذه قاعدة صحية تعمل بها كل البلاد الآن) واذا مات رائس في البحر أو في المرسى خارج الاسوار فجثته تنقل الى المقبرة على طريق البحر . واول ما يشتغل به الاغنياء وكبار الدولة هو تهييئة القبور التي تأويهم بعد الموت ، فالرجل منهم يشترى ارضاً خارج باب الواد أوباب عزون ويبني حولها سوراً ويغرس بها بعض اشجار وزهور ، وفي وسطها يهيء قبره ، وان كان الماء قريباً منه فهو يجريه الى عين عند باب الضريح ليستقي منه ابناء السبيل . وهكذا احضر بابا محمد بن عثمان والخزناجي وكبراء الدولة اضرحتهم في ناحية باب عزون . واذا مات الرجل عن حريم وبنات فان النسوة يرتدين اللباس الذي يخرجن به للطريق ويمكثن بسقيفة الدار ثلاثة ايام لتلقي التعزية من القريبات والصديقات .

الودائع العمومية :

في الباتيستان ـ وهو الساحة التى تباع فيها غنائم البحر والعبيد ـ يوجد دكان يملكه وكيل املاك المسجد ، فهذا الدكان يعتبر حرما مقدساً لا تمتد اليه يد بسوء ، وهو مخصص لوضع الودائع العمومية ، فالرجل الذى يسافر والواقفون على اموال اليتامى وحتى الذين يخافون ان يعتدي اللصوص على مساكنهم الخاصة كل أولئك يضعون مالهم في ذلك الدكان امانة عند الوكيل ، ويكتبون اسماءهم فوق الشيء الذى اودعوا فيه المال ، ويفتح هذا الدكان مرتين كل اسبوع ، فاصحاب الودائع يمكنهم ان يذهبوا في ذينك اليومين لأخذ شيء مما اودعوه أو زيادة شيء فيه . أما وكلاء الايتام فلا يحق لهم ان يفتحوا ودائع القاصرين الا امام القاضي . وهو بنفسه يتولى صرف المبلغ المطلوب ثم يضع ختمه على الباقي ويرسله على الفور

الى دكان الوكيل ويقال ان الودائع التى بهذا الدكان تبلغ قيمتها عدة ملايين واذا مات احد اصحاب الودائع ولم يترك وارثا فبيت المالجي هو الذى يأخذ الوديعة .

سكان الجزائر :

لايمكننا ان نحصي سكان مدينة الجزائر إحصاء مدققاً ، لأن النساء محجبات ، انما نقول : إن في الجزائر نحو 50 الفا من السكان ، منهم اتراك 3000 وكوروغلية (ابناء اتراك من امهات عربيات) 6000 ويهود 7000 واسارى وغيرهم من المسيحيين 2000 وعرب 32000 منهم البساكرة الذين يشتغلون غالباً بحمل الماء ، والزواوة والميزابيون والجرابة .

الصناعة والتجارة بالجزائر :

تصنع بمدينة الجزائر اقمشة من الكتان خشنة يستعملها الاهالى ولا ترسل للخارج ، وتصنع حاشيات من الحرير مختلفة الالوان ومختلفة العرض ومنها مايبلغ عرضه شقة كاملة (نحو 1,30 ميتر) وهذه الحاشيات ذات الالوان البنفسجية وغيرها اتقن وأكثر متانة مما يصنع في اروبا ، وتستهلك المملكة الجزائرية كلها الكثير من هذه الاقمشة سواء لتوضع على اثاث البيوت أو تستعمل لتجميل ثياب السيدات ، فيضعن منها على فتحتي القميص . وتصنع في هذه المدينة «الشاشية الجزائرية» وتستعمل الصوف الخشنة المحلية ، ولهذا فهي دون جودة الشاشية التونسية التى تستعمل صوف اسبانيا ، فشاشية الجزائر لا تبلغ الا نصف ثمن شاشية تونس ، وتلبس النسوة في الجزائر نوعا من الشاشية المطرزة بالفضة والذهب ، وتدعى الصارمة او البنيقة . اما الحزوم (جمع حزام في الاصطلاح الجزائري ويدعى الشملة في تونس فهي من أهم صناعة الحرير في الجزائر ، وترسل منها كميات كبيرة لبلاد الشرق وبقية شمال افريقيا ، وتباع بالميزان ، وسعر الاوقية نحو ربع سكة ، وتصنع حزوم يبلغ ثمن الواحد منها 25 أو 30 سكة ، ومما يلاحظ ان هذه الحزوم ان كانت مزركشة بالذهب والفضة فهي خاصة للباس الرسمى ، ولا يجوز للعرب من الشعب وضعها ، وكذلك حمل السلاح . وصناعة الجلد مزدهرة بالجزائر ، فتصنع الجلود السوداء ، والحمراء ، والصفراء ، والبنفسجية ، انما لا يرسل منها للخارج ، ويوجد كثير صناعهم التطريز على الجلد ، فيصنعون

مصاريف الدولة :

لاتوجد دولة في الدنيا تقتصد في الانفاق من خزينتها كدولة الجزائر ، فلا تخرج من تلك الخزينة إلا الاموال المقررة منذ عهد قديم ، اما فيما عدا ذلك فسائر الاعمال تقع بواسطة السخرة مجاناً ، رغم ان الخزينة عامرة ، وعندما وقعت الحرب مع الدانمارك ومع اسبانيا تقرر ان تزاد الحصون حول مرسى الجزائر ، وفي واجهة البحر ، فسائر السكان عملوا في ذلك ، وكانوا ياتون بالحجارة من مقطع في ناحية باب الواد . وكان عظماء الدولة هم القدوة للشعب في ذلك ، وعندما توقع الجزائريون نزول الاسبان قرب الجزائر مرة ثانية باشر السكان حفر خنادق تمتد من باب عزون الى وادي الحراش ، فكل هياة من هيآت الحرف المختلفة كانت تخرج للخدمة يوما في ذلك ، وانقسم اليهود الى قسمين كل قسم يخرج للخدمة في يومه المعين . وعندما تحقق الديوان انه لا بد لحماية الجزائر من مراكب خفيفة تحمل المدافع لتصد سفن الاسبان عن الدنو من المرسى ، تبرع الداي وسائر رجال الدولة والاغنياء بثمن تلك المركب ، ولم يخرج اي شيء من الخزينة في ذلك السبيل . وعندما اندحر الاسبان وتركوا انحو الستمائة قتيل بادر الجند الى خيمة الخزناجي يطلبون عن كل رأس اسباني عشر سكات ، مثلما وقع عند احتلال تونس ، فارتاع الخزناجي امام كثرتهم والحاحهم في الطلب ، وقال لهم انه ليس هو صاحب الخزنة ، وعليهم ان يطلبوا ذلك من الداي نفسه . فقال الداي : انه لايجب دفع أي شيء لهم ، لأنهم انما دافعوا عن ديارهم وحريمهم ، لكن الخزناجي اقنعه بان يدفع لهم شيئا خوفاً من وقوع استياء عام ، فاقتنع بعد جهد ورضي بان يدفع لهم 5 سكات عن كل رأس انما على شرط ان يكتتب رجال الدولة والاغنياء بذلك ، ولا يخرج من الخزينة اي شيء ، ففتح كل احد كيسه : ودفع باي معسكر 20 آلف سكة ، ودفعت ارملة علي باشا المتوفي قبله 5 الاف ، وهكذا دفع البقية . وبعد ماتجمع المال اخذ الداي يوزع النقود على حاملي الرؤوس ، ويقال انه تمكن من الاقتصاد مع ذلك ، ووضع بقية المال في الخزينة .

اعضاء الحكومة في الجزائر :

ه الداي ـ محمد عثمان باشا ه الخزناجي ـ حسن ، وهو الوزير الاول

والمكلف بخزينة مال الدولة . ه محله آغاسي ـ أوآغا المحلة علي ، وهو القائد العام لقوات البر . ه آت خوجة سي ـ اوخوجة الخيل ـ مصطفى وهو المكلف بمداخيل البلاد وايراد املاك الدولة ، وبيع خيول وحيوانات الحكومة . ه بيت المالجي ـ علي المكلف بمواريث جميع الذين يموتون عن غيروارث ، ويدفع لخزينة الدولة عن ذلك 500 بطاق شيك كل اسبوع ، وعليه ان يكسو اسارى الداي كل سنة ، ويجب اساسياً ان يكون اعزبا انما في الوقت الحاضر اصبح التساهل كبيراً في مسألة الزواج ، ولبيت المالجى دكان (مكتب) خاص مثل بقية وزراء الدولة ، وعند موته ترث الخزينة وحدها جميع مايتركه من قار ومنقول . ه وكيل حرج البحرية ـ علي ، وهو وزير البحر . ه الباشكاتب ويلقب المقاطعجي ـ احمد خوجة ، ويضبط دفاتر الجند وموارد الحكومة . ه الباشدفترجي ـ وهو الكاتب الثاني ـ حسن ، وهو يضبط نسخة ثانية من دفتر الجند . ه الكاتب الثالث ـ يضبط نسخة ثانية من دفتر موارد الحكومة ه خوجة العشور ـ وهو الكاتب الرابع ـ يضبط مواريد الديوانة وجميع مايرد من البلاد المسيحية ، والمقاطعجى والكاتب الثالث هما اللذان يديران امور الديوانة .

ه الكتاب العرب ـ للداي كاتبان من العرب يقومان بتحرير الرسائل للبايات والقياد ، وباي تونس ، وسلطان المغرب ، وباي طرابلس . **وكل شيء من الرسائل الرسمية يكتب باللغة العربية حتى التذاكر (جمع تذكرة) وهي الاوامر اليومية للشؤون العامة** . اما الكتاب الاتراك الاربعة الذين سلف ذكرهم فهم لا يكتبون الا للباب العالي ، وللدول الاجنبية ، وهم كما سلف اعمال يقومون بها من ضبط الدفاتر والمواريد . ه كاتب السر ـ احد الكاتبين العربيين الآنفي الذكر يدعى : كاتب السر ، وهو الذى يقرأ الرسائل الواردة على الداي ويرد عليها ، واما الكاتب العربي الثاني فهو على الاغلب يشتغل مع خوجة الخيل لأن أعمال هذا الخوجة مع العرب كثيرة . ه وكيل الحرج الكبير ـ محمد ، وهو المكلف بمخازن الدولة التي تحتوي على الاقوات والمؤن والصوف وغيرها ، ولا يدفع ولا يقبض مالا ه وكيل الحرج الصغير ـ معاون للاول .

اعضاء الديوان :

في الجزائر الديوان الخاص ، وهو مجلس الدولة . والديوان العام وهو المجلس

. الداي – الخزناجي . ٥
العمومي ، واعضاء الديوان (300 عضو تقريباً) هم ، وايام
آغا الهلالين ، و آغا سركاجي ، وهو لا يقدم للديوان الا في ايام العيدين ، ويجلس
دفع الجرايات التي هي 14 يوماً لا يدخل فيها ايام الثلاثاء والجمعة . وعلى يمين الداي
الآغا الى يسار الداي ، ويليه الكاهية والضباط الآخرون ، أما الخزناجي فيجلس امام الداي مستديراً لهم (لكي يتولى
يجلس الكتاب الكبار ، وكيل حرج البحرية – وتحت إمرته اميرال البحر
المحاسبة والدفع وغير ذلك) ، وله 12 بلوك باشي يحملون مفاتيح المخازن التي تجمع لوازم
والرياس وقائد المرسى . الكاهية وهو المكلف دون الآغا بضبط مدينة الجزائر وحراستها . ٥
البحرية . ٥ البلوك باشين
اليايا باشين (جمع يايا باشي) وهم الذين يرتقون الى رتبة الكواهي . ٥ الاودا باشين (جمع اودا باشي)
(جمع بلوك باشي) ضباط كبار . ٥ آغا الصبائحية . ٥ ضباط كبار . وكل هؤلاء يجلسون حسب مراتبهم حول الداي . ويكون الشواش
واقفين على الاقدام امام الداي ، والباش شاوش يقف الى جانب الباشكاتب .

نظام الحياة الادارية :

الحياة الجزائرية حياة جد ، وعمل صعب ، والامور تسير بدقة مدهشة ، ومما يستلفت النظر في دقة الاعمال ادارية بالجزائر ان كل احد من رجال الادارة لايشتغل إلا بعمله فقط ، والذين يشغلون المراكز الكبرى في الحكومة هم أكثر اشتغالا وكداً من الآخرين ، حتى ان المرض الخفيف لا يعوقهم ابداً عن اتمام واجباتهم . فالداي يجب عليه ان يستيقظ قبل صلاة الصبح ، وعندئذ يفتح باب قصر الحكومة وينزل الداي من الطابق الاعلى حيث مسكنه الى الديوان ليقتبل رجال الحكومة . وقبل فتح الباب يكون الخزناجي والآغا وخوجة الخيل وكبار الكتاب جالسين على المقاعد المبنية عند مدخل الدار ، فعند مايفتح الباب يدخلون ، ويقبّلون يد الداي ويشربون القهوة ، وهم منذ تلك الساعة لا يبرحون ادارة الحكومة الا بعد صلاة العصر عند ماتصدح موسيقى الباشا بانغامها ، وعندما توصد ابواب القصر . ويوم الجمعة لا يقع الاشتغال باي شيء ، الا ان كل رجال الديوان واعضاء الحكومة يجب عليهم القدوم للذهاب بالداي الى الجامع . فهم من الساعة 11 الى الساعة الثانية بعد الزوال يكونون إما بالمسجد الجامع ، أوحول الداي في محادثات ،

وبعد ذلك هم احرار في الاستئذان ، ولا يرجعون الا قبل مطلع شمس الغد . أما يوم الثلاثاء فهو يوم الراحة الحقيقي لسائر الناس ، فكل احد منهم يذهب لقضاء اليوم ببستانه ، أو منتزهه . ويستمر اجتماع الديوان من صلاة الصبح الى الساعة التاسعة صباحاً ، ثم يذهب كل عضو من اعضاء الحكومة الى حانوته (مكتبه) وهو إما ملاصق لدار المملكة ، أوتجاهها ، اما الخزناجي فيبقى في الديوان ، وعند انتهاء الاجتماع يصعد الداي لمسكنه الخاص لتناول الفطور ، أما بقية رجال الديوان فانهم يتناولون الفطور الى جانب المطبخ في دار المملكة . أما النوم فيقع بين الساعة السابعة والثامنة ليلا (بعد صلاة العشاء)

مساكن الضباط :

أما الغرف التي يسكنها الضباط ، ورجال الادارة – خارج ديار حريمهم – فجدرانها محلاة بالسيوف والمكاحل والبطغانات ، وغير ذلك من انواع السلاح . ولا ابالغ ان قلت ان الجدران لا تكاد تظهر من كثرة ماعلق عليها من ذلك ، ففي كل غرفة تجد من 30 الى 40 بطغانا ، و7 أو 8 ازواج طبنجات (فرود) ونحو دزينة من المكاحل المحلاة بالمرجان والصدف . وكذلك صناديق البارود المطرزة ، وفي الغرفة 3 أو 4 ساعات كبيرة ومرآة ، وعلى الارض بساط ، وحواليه صفات (جمع صفة) للجلوس ، وهنالك ينامون ، ومنهم من يستعمل منبذة فيها نحو 12 أو 15 رطلا من الصوف لمنامه ومنهم من ينام فوق البساط (الزربية) بعد ان يفترش غطائين أو ثلاثة ، والداي نفسه لا يستعمل أكثر من ذلك ، فليس له من فراش الا منبذة صغيرة لا غير . أما المتزوجون من رجال الحكومة والضباط فلهم الى جانب هذه المنازل منازل أخرى بها الرباش والحريم . وعندما يموت رجل الحكومة ترث الدولة جميع ماعنده في الغرفة الخاصة ، أما دار الحريم فلا تمد الحكومة يدها إليها .

هندسة ديار الجزائر :

الجزائر مبنية على شكل سفح هرم ، فديارها مبنية بعضها فوق بعض ، بحيث أن البحر يرى من سطوح كافة الديار ، واسفل الدار مبني بالحجارة ، والاعلى بالآجر وتطلى الجدران بالجير مرة كل سنة على الاقل . ومدينة الجزائر تشمل نحو الخمسة

آلاف دار كلها مبنية على وتيرة واحدة ، بحيث إن رأيت الواحدة منها امكنك ان تصور البقية . سواء كانت كبيرة أم صغيرة ، واغلب الديار ليس لها الا طابق واحد (يدعى العلي) . فباب الدار يفتح على ردهة صغيرة أو كبيرة (تدعى السقيفة) وهنالك يجلس اصحاب الدار للتحدث مع الجيران . وبعد السقيفة يوجد باب آخر يفتح على وسط الدار الذى يكون مربع الشكل أو مستطيلا ، وارضه مرصفة بالحجارة أو الرخام ، وحول هذا الوسط 4 رواقات تعتمد على اساطين من الحجارة أو الرخام وفي الجهات الاربع من هذه الرواقات توجد البيوت ، وهي مستطيلة وضيقة ، ولا يدخلها النور الامن الباب ، أو من النافذتين اللتين الى جانبيه ، وفي الطابق الاعلى توجد مثل هذه الرواقات ، والبيوت التي به تدعى الغرف ، وهي كالبيوت السفلى والى جانب الدرج الصاعدة للطابق الاعلى ، وللسطح توجد مقاصير للخدم .

دار الملك (قصر الجنينة) :

وتدعى باللسان التركي «باشا قابوسى» اي باب الباشا ، وهي على مثل الهيأة السالفة الذكر ، وتقع في أكبر نهج في الجزائر ، وهو الممتد من باب عزون الى باب الواد ، ويدعى السوق الكبير ، لأن به اغلب المخازن والحوانيت وتمتاز دار الملك بالراية المرفوعة فوقها ، وعليها تفاحة من النحاس . ويرتفع فوق باب الدار قنديل كقناديل السفن الكبرى يتدلى من الطابق الأعلى ، ولهذه الدار باب جسيم من الحديد ، تتدلى فوقه (من اليمين للشمال ومرتبطة من الأعلى سلسلة ضخمة حديدية (كالسلسلة المشاهدة الى الآن على مدخل قصر القصباء) وعند العصر تقفل هذه السلسلة بواسطه قفل . لكن ذلك لايمنع امكان فتح الباب وراءها . وعلى الداخل بعدئذ ان ينحني تحتها لاجل الدخول . وواجهة هذه الدار مغطاة بالزليج اللماع ، وامام الدار ساحة صغيرة فيها فوارة ، ويظلل الساحة عريش كبير وحواليها حوانيت (مكاتب) في كل منها احد رجال الادارة أو الجند يعملون بها عند ما ينفض اجتماع الديوان الى العصر . والى يمين وشمال الباب الخارجي توجد مصطبتان فوقها حصائر يجلس عليها البولداش (الجند) النوبتجية . أما خوجة النوبتجية فهو يجلس بالسقيفة وينام فيها ، ومنصب خوجة النوبتجية منصب كبير لايعطى الا لاصحاب

الثقة ، والباشا الحالي كان خوجة نوبتجية ، ثم ارتقى الى خزناجي ثم الى منصب الداي ، لكنه مع ذلك منصب استعباد ، لأن الذي يتولاه يجب ان لا يفارق مكانه لاليلا ولا نهاراً . لانه هو المكلف بحراسة دار الملك وعنده مفاتيحها .

الجنود :

الجنود اليولداش – يقع الاتيان غالباً باليولداش من نواحي ازمير وقرمان . وعندما يقدم للجزائر يتسلم قميصاً من القماش الخشن وصدرية وسروالا من القطن ومعطفاً من الملف الخشن وشاشية جزائرية وحزاما احمر وحذاء وغطاء من الصوف نصيرا ضيقاً . وذلك كل ما يتسلمه من البايليك ، ثم يذهب الى «الكاشرية» أي الثكنة العسكرية (واصل هذه الكلمة : دار الانكشارية) وعدد هذه الكاشربات 12 بمدينة الجزائر . وهنالك يتسلم حصيراً لمنامه ، والدولة لا تسلم له السلاح ان لم يكن عنده ، بل تقدم له على وجه السلف سيفاً وبندقية وزوجا من الفرود ، فان لم يرجعها من بعد فان ثمنها يقطع عنه من جرايته . فان كان مخصصاً لاحدى الفرق المعسكرة خارج المدينة فانه يتسلم نعلين لترقيع حذائه وهو الذي يشترى البارود بنقوده فلا ياخذ الا رطلا من الرصاص عليه ان يذيبه وان يصنع منه الكرات . ولا يكتب الجنود صكا بالتطوع او الخدمة في الجيش ، بل عندما تنصب خيمة التطوع في بلاد الاتراك ياتي اليها الراغبون وهنالك ياكلون صباحاً ومساء الى ان تحين ساعة الرحيل ، لكن بعض الضباط المكلفين من قبل الجزائر بالاتيان بهم يوزعون عليهم احيانا بعض قروش ، ويحدثونهم طويلا عن المستقبل السعيد الذي ينتظرهم ، والمغانم الكثيرة التي يغنمونها من القرصنة ضد المسيحيين ، وما يكون لهم من امتيازات ، وما يستطيعون الحصول عليه من رتب عالية ان قاموا بعملهم بجد واخلاص . وعند ما يقدم للجزائر يقع ضبط أسمه بالدفتر الذى يمسكه الباشكاتب ، ويقع تعيين بلاده وتسجيل صفته وبنيته ، والثكنة التي يسكن بها ، والاوداباشي الذي يعمل تحت امرته ، والاورطة (الفرقة العسكرية) التي يتبعها من بين الاربعمائة وعشرين اورطة التي يتألف منها جند الاتراك ، وبعد ذلك يكتب أمام أسمه على التوالي الزيادات في مرتبه ، والملاحظات على خدمته .

الاجرة :

تبتدىء الاجرة النقدية باربعة عشر موزونة ، وهي 40 صولديا تقريباً . وكل سنة تزداد هذه الاجرة «ابزامة» أي 5 موزونات وذلك ان لم يقع حادث فوق العادة ، فان وقع ذلك كولاية داي جديد او ولاية سلطان جديد ، اوحرب ضد القبائل اوحرب اجنبية او اتيان قابجي باشي بالقفطان من السلطان للباشا ، فعندئذ يتناول كل بولداش 5 موزونات زائدة ، علاوة على الخمسة القانونية ، واقصى ما تدفعه الخزينة مرتبا هو400 موزونة لكل جندي ، (ولوكان للداي نفسه) . وتدفع المرتبات كل شهرين ، ويبلغ مقدار الجرابات 150000 سكة جزائرية باعتبار انه يوجد في الجند 12000 تركي وكورغلي يتناول كل واحد 2 سكات . اما جرابات جنود البحر فانها تدفع لهم في المرسى وعلي باشا هو الذى سن هذه السنة ، لأن اغلبهم من رجال الارناووط (الالبانيين) وهو يخشى اعتداءهم على الباشا ان دفعت لهم الجرابات داخل القصر . وهذه الجرابات كلها تدفع كل شهرين وتدعى الجرابات الصغرى ، اما الجراية الكبرى فتدفع مرة كل سنة ، ويدوم دفعها 40 يوما كاملة ليسمح لجنود داخل البلاد باخذ حصتهم منها ، ولا يعطى للجندي تسريح لرؤية عائلته الا بصعوبة . اما الامر الذى لايستطيع الداي رفضه ابداً للبولداش فهو الذهاب الى الحج .

السبايس :

وهم جنود اتراك لايعملون بمدينة الجزائر ، بل هم مخصصون الى العمل بجانب البايات ، ولا يسمح للاتراك الا بصعوبة ترك العسكرية في فرق المشاة والانضمام للفرسان ، لأن فرسان الدولة كلهم من العرب ، والسبايس تحت إمرة باش آغا يستقر بعاصمة الجزائر . وهم الذين يقومون بمهمات أنفسهم ومهمات خيولهم ، ولهم امتيازات عديدة ، منها انهم اذا كانوا اصحاب املاك فان املاكهم لاتدفع الضرائب ، وهم تحت حماية فعالة ولهم عوائد كثيرة يتناولونها . والى جانب هؤلاء توجد فرقة من الخيالة العرب في مدينة الجزائر تحت إمرة الآغا ، والآغا هو القائد العام للجند ، وفي ساعة الحرب او الحملات ينضم البايات له ويعملون

تحت إمرته ، والسبايس العرب الذين تحت إمرة الآغا عليهم كذلك ان يقوموا بمهماتهم ، انما لهم عوائد ومنح كثيرة يتقاضونها .

انتهى الكتاب

والحمد لله أولا وأخيرا

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ـ 1986

يذهب عند ذلك الى بيت خوندار فيجلس مقدار ربع ساعة ويعطي زوج شكاير بها الف دورو وبيت خوندار ليوزعها على المماليك . ويدخل الوكيل والباشكاتب الباشا يسلمون عليه ويخرجون مع الباي فينزلون في موضع الطباخ الكبير فيجلس الباي قليلا ويعطي للخدام الاحسان ويخرج الى داره ليستريح ولا يدخل عليه أحد الا بإذنه . وعلى بابه عسة من عسس دار الملك يتبدلون ساعة بعد ساعة لحراسته وخدمته.

فاذا اذن الظهر يأتيه الرجل الذي يتقدم امام الوزراء «ويسمونه قائد الزبل» يذهب به الى دار الملك فاذا وصل يتقدم في وسط العسة كما قدمنا ويسلم ويدخل ويجلس في سقيفة الملك مع خوجة الخيل اولا ، لأنه الوزير الثالث وذلك موضع حكمه فيجلس معه هنيهة ثم يدخل الى الخزناجي في موضع حكمه قريباً من الخزنة مقابل كرسي الملك فيجلس معه قليلا ويأتونهم بالقهوة فيشربون ويخرج من عنده الى السقيفة فيجلس مع خوجة الخيل . ويأتيه خوجة الباب فيجعل عليه البرنوس فيخرج من هنالك ويذهب الى حكومة الآغا «ويسمونها حانوت الآغا» وهو الوزير الثاني فيجلس عنده هنيهة ومن هناك يذهب لدار نزوله فيقيم ويستريح .

هدية الخزناجي :

فاذا صلى العصر – واحيانا يصلي في المسجد مع الآغا – يأمر بتوجيه هدية الخزناجي فيوجهونها إليه وهي مقدار الفي دورو أوما يقرب منها مع اثاث ومصوغ وخيل وعبيد وكسوة وحباك قرمز وبرانس زغداني وحباك حرير وشمع وعسل وأرزمن غير حصر . فاذا قرب المغرب يأتي قائد الزبل المذكورمن عند الخزناجي فيبلغه السلام ويستدعيه فيذهب معه والهدية من ورائه ومعه جميع كتابه وقواده واغواته ومماليكه .

وكل وزيرمن الوزراء له دارلاقامته عند انفصاله من دار الملك وهي الاعلية فيجلسون فيها لا ستراحتهم ولأشغالهم ، ولا يذهبون لديار الحريم الا بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الصبح يأتي كل وزير الى عليه ، ومن هنالك يذهبون الى دار الامارة . وعند كل وزير في العلي وكيل الحرج وامام ومماليك وطباخون وخدام . فاذا وصل الباي لعلي الخزناجي يتلقاه وكيل الحرج ويرحب به ويصعد به لسيده فاذا وصل يتلقاه ويسلم

عليه ويذهب به الى محله في العلي فيجلسان في مكان واحد . ثم يدخل الكتاب والاغوات والقياد فيسلمون على الخزناجي فيأمر امثال الاغوات والكتاب بالجلوس معهم والباقون يذهبون لمكان آخر .

ثم يدخل خدام الباي بالهدية فيضعونها قبالة بازاء الغرفة ويخرجون ويرحب الخزناجي بالحاضرين على حسب مراتبهم . فاذا اذن المغرب يأتي الإمام فيقيمون الصلاة ويفرش الخدام الزرابي للامام وللباي ولسيدهم ، اما بقية الحضور فيصلون على البساط الأصلي . وعند الفراغ من الصلاة يجلسون فتوضع لهم السفرة وعليها من الاطعمة انواع لاتوصف ويبدلون لهم الاواني التي فيها الطعام شيئا بعد شيء الى ان يكتفوا فيقدم لهم الطعام ولا يمدون اليه ايديهم ولا يبقى شيء من الطيبات الا وضع لهم . فعند الانتهاء من ذلك ترفع السفرة فيغسلون ايديهم ويؤتي لهم بالقهوة فيشربون وتؤخذ الفناجين من ايديهم . وعندئذ يقوم الكتاب والاغوات يسلمون على الخزناجي ويشكرونه ويخرجون الى صحن الدار ويقفون والوكيل معهم فيبقى الباي مع الخزناجي قليلا ثم يخرج لصحن الدارفيوضع له كرسي يجلس عليه ويوزع العوائد (العطايا) على خدام الخزناجي فيتقدم اولا وكيل الحرج ويأخذ عوائده ويتأخر . ويتقدم الامام فيأخذ كذلك ويتأخر . وهكذا يتقدم كل خدام الخزناجي على مراتبهم ويعطى الباى لكل واحد منهم ما يناسبه . فاذا اتمهم يذهب لداره وقائد الزبل وآغة القول والمزوار والبراح امامه وقدامهم القولجية والحرس يصرفون الناس الذين يأتون كل ليلة لأجل الصدقات يمينا وشمالا . فإذا دخل للدار وجلس يعطى لقائد الزبل والمزوار وخدامهم العوائد كل ليلة حتى يسافر . واما قائد الزبل فيعطيه في كل دخول وخروج ويعطي للوكيل والى شواشه الدراهم ليفرقها على أهل الصدقات وبعد هذا ينام .

عوائد الباشكاتب والكتاب :

ومن الغد يأتيه قائد الزبل قبل صلاة الصبح ليذهب مع الوزراء الى الباشا للسلام عليه . وبعد ذلك واداء الصلاة يرجع الى داره حتى وقت الغداء . وهكذا كل يوم الى ان يسافر . وفي اليوم الموالي يضيف عند الاغا ويهاديه مثل الخزناجي وربما أكثر منه . وفي اليوم الثالث بعد التصبيح على الباشا وشرب القهوة يخرج

كل واحد من الوزراء الى محكمه . ويدخل باشكاتب ومعه خزندار والخدام
يحملون الدراهم الى موضع باشكاتب الباشا . فيذهب الباي الى هنالك ويجلس
في موضع الباشكاتب ، والباشكاتب بازائه والى جانبه باشكاتب الباي ،
فيفرش سفرة من الجلد ويصب عليها الدراهم ويقف الصبائحي على الباب ويفتح
الباشكاتب الدفتر ويأخذ في توزيع العوائد وتسمى عوائد الثلاثة أيام وذلك بمناسبة مرور
ثلاثة أيام على لبسه الخلعة السلطانية فيأخذ كل احد ما يناسبه من العمال والكتاب
وخدام المحكمة وسائر الديوان من الشواش الذين يلبسون الطراطر على هذا
الشكل ١ وما بقي من الدراهم على السفرة بعد هذا التوزيع يعطيه لباشكاتب
الكبير وان بقي شيء قليل فانه يزيده عليه . وبعد ذلك يذهب لداره ويستريح
شيئا قليلا وبعد ذلك يأتيه الرسول للغذاء فيذهب ويتغذى مع الوزراء كما قلنا .
ثم يرجع لداره فيجيء هدية أخرى دراهم ومصوغ ويأتيه بعدئذ رسول الامير يطلبه
للاقاة فيذهب وامامه وكيله ووزراؤه وباشكاتبه فيدخل على الباشا بالطريقة
التي ذكرناها آنفا فيقيم معه نحو الساعة ويتكلم معه على احوال البلاد والرعية
وغير ذلك من الامور فاذا انفصل عن الامير دخل لبيت خزندار فيوزع الدراهم
على الخدام كما فعل أول مرة ثم يدخل الى بيت الطباخ الكبير فيوزع الدراهم أيضا .
ثم يرجع لداره . فاذا استراح يأمر عندئذ بتوزيع العوائد الكبار على أهل الدولة
والخواجة الترك والكتاب والترجمان ووكلاء الحرج والصبائحية والطباخ الكبير
وكاهيته وخزندار وخوجة الباب . اما الدراهم فانه يبلغها لهم قبل دخوله للجزائر
وذلك بواسطة وكيله بخلاف باي الشرق الذي لايدفع لهم المال الا في اليوم الثالث .
اما هذا الباي باي الغرب فانه لايوزع عليهم الا العبيد والحياك القرمز والحرير
والشمع والعسل والسمن والارز لا غير فيواصل كل واحد بعوائده فاذا اذن الظهر
جاءه قائد الزبل فيخرج لدار الامارة ويجلس شيئا قليلا مع كل وزير ويرجع لداره
قبل صلاة العصر فيجه الدراهم للشواش .

عوائد الشواش :

فاذا صلوا العصر انفصلوا من دار الامارة بعد انقضاء النوبة وعددهم سبعة
شواش ، وهم الشواش الكبار غير الشواش الصغار الذين يأتونه صبيحة اليوم

الرابع قبل الفجر . ويقال لهم شواش القصبة وهم ثلاثة واحد يلبس الطرطورة وواحد
يلبس العمامة المبرجة ويسميها أهل تونس والزرف والثالث يلبس الشاشية
ولباسهم كلهم قفاطين من الملف الاخضر واحذية حمراء كبيرة مسمر في قاعها
قطعة من الحديد ، أما شاوش آغة العسكر ويسمونه السراج فيلبس مثل الشواش
الا القفطان فهو من الملف لون الورد(1) وهو يأتي مع السبعة الشواش الكبار
فيجلسون عند الباي ويشربون القهوة وبعد ذلك يقوم اصغرهم فيفرش على الارض
سفرة من القطن - وهي خرقة كبيرة مدورة - فيلقي الباي امره الى خزنداره فيفرغ لهم
على تلك السفرة الدراهم من الشكائر مايزيد على الف دورو وروؤسهم مطرقة
الى الأرض مثل الثيران التي تتعلم الحرث وبعد حين يرفع باش شاوش رأسه ويقول
بالتركي : «ساواندار افندي» فيجيبه الباي بقوله «بركات» وعندئذ يرفع بقية الشواش
رؤوسهم ويقول باش شاوش : نعم بركات . لكن نحن سبعة وعندنا المصروف
كبير في هذه الخدمة . لأنهم كل سنة يذهب منهم اربعة في الامحال التي ذكرنا
اثنان بمحلة الشرق وواحد بمحلة الغرب وواحد بمحلة تيطري . لكن لهم عوائد
كبار تزيد على مصروفهم عشرات المرات الا أنهم قوم لا يقنعون فيأمر الباي بالزيادة لهم
قدرما أعطاهم أولا اومايقرب من ذلك فسكتوا قليلا ثم تكلم كاهية باش شاوش
وقال : سواندار افندي ! فأجابه الباي : بركات . واطالوا في الالحاح عليه واكثروا
ثم اخرجوا حقة النفة (الشمة) واعطوه وقالوا له : جاك برنوط افندي ! وهكذا
يستمرون يلحون عليه ويستحلفونه برأس الأمير ورأس السلطان فزادهم ثلث
ما اعطاهم . وهكذا حتى واصلهم باربعة آلاف دورو ، فاقتسموا الدراهم بينهم
من غير حساب وكل واحد منهم جعل حصته في منديل مابين القفطان وصدره .
وبعد ذلك تقدم الشاوش المسمى بالسراج (واضع السروج) ووضع منديلا بين يدي
الباي فامر باعطائه وبلغ عليه في الزيادة ويزيده ويتكلم بقية الشواش عن
رفيقهم فيزيده أيضا حتى وصل ماأعطاه سبعماية دورو واكثر . وعندئذ ينفتحون
له الباب ويخرجون من الغرفة بعدما يقبلون يده ويقفون صفا في الصحن وينادون
بأعلا اصواتهم وهي كأصوات الحمير او اكثر يقولون بلغتهم : الله اصعلوك افندي !
ويطولون فيها الى ان يخرجوا من باب الدار فيذهبون الى دار آغة العسكر وهي التي

---

(1) احمر لون الرمان .

هؤلاء هم الذين يتألف منهم المخزن الحكومي في دار الباي ويتذاكرون مع الباي باستمرار في امور الادارة . وتحت انظارهم جماعة من الموظفين الثانويين الذين لا يتصلون بالباي الا اذا طلبهم .

النقود الجزائرية في العصر التركي

الاسم	القيمة ذهبا قبل الحرب	القيمة سنة 1937
نوع ذهب السلطاني ـ 108 موزونات ـ 4 ريالات بوجو ونصف (3غرام) دينار	8,35	58.45
،،،،،، نصف سلطاني ـ ربع سلطاني (على النسبة المتقدمة)		
،،،،،، المحبوب (نقد مصري) 72 موزونة ـ 3 ريالات بوجو	5،85	39،06
،،،،،، نصف محبوب ـ ربع محبوب (على النسبة المتقدمة)		
فضة دورو جزائري (20غ) يدعوه الاوربيون : ياستر	3.72	26.04
،،،،،، الريال بوجو (10غ) 24 موزونة يدعى بطاقة قردا	1.86	13.02
،،،،،، ريال درهم ـ 8 موزونات بطاقة تشيكا	0.62	04:34
،،،،،، نصف ريال درهم (النسبة السابقة)		
،،،،،، ثمن بوجو ـ 3 موزونات ـ	0.232	1.627
،،،،،، الموزونة (نقد مغربي) قطع بيضوية الشكل	0.0775	0.542
نحاس قطع ذات اسبر اي 1 من 29 من موزونة وقطع أخرى اقل أهمية من ذلك		
الصائمة 50 اسبر	0.125	0.875

انشودة جزائرية شعبية في حرب الدانمارك

وجدت محفوظة في اوراق المستشرق فونتير دي بارادى بالمكتبة العامة بباريس . وفي بعض اباتها نقص واضح . لذلك اغفلناها فلم نثبت هنا الا الابيات الصحيحة :

بسم الله نبدا على وفا — هاذى القصة نعبانا
قصة البوبة المتلفا — كيف جابوها اعدانا
واصحاو على العدو واقفا — ما قربوا لحذانا

يارب يا عالم الخفا — اهزم جيش اعدانا
اسمعوا يا قوم ما طرا — في هاذي القصة نعيده
قصة هذا الكافر طاهرا — دبل المرك الحربو جده
حلفوا بامانات كفرهم — حتى ان نرد لهم ما شئنا
ولا نهدم بلادهم — جاوبها الطمع محرشا
الكفار ابليس غرهم — ظنوا في البهجا مشوشا
خدلهم ربي وذلهم — لاصلاح الاسلام كيف نسا
وكيف لحقوا الكفار بفارصوا — ارسلوا على البعد كلهم
وبعد ما ارساو ونزهوا — ينظروا فيما يجدهم
جاهم مرسول قنصول — من عند السلطان ما لهم
قال لهم جيتو تفرنصوا — ولا تبغوا الصلح منهم
قالوا جينا مكلفا — للطراد وتعبانا
ولا نصطلح بلا جفا — نردوا لنا ارزاقنا
كيف اسمع السلطان ها الخبر — اغتاض ولا ابالى كلامهم
قال نعطيهم الكور — والله ولو ايجيو كلهم
ما نرضى نعطيهم الحجر — بلعن باباهم وجدهم
امر في الساعة بلا فتر — جات رجال الحرب كلهم
سلطان البهجا الهيفا — من نصر مولانا
عذب الكفار كافا — بجيوشه الفنانا
كيف شاف السلطان ذا العدو — نادي لاهل الحرب كلهم
قالهم اتهيوا وجدوا — في الابراج اللي يخصهم
واملاهم برجال يوكدوا — من كل صنايع من اهلهم
والمدافع نيران يوقدوا — يضبعوا اللي جا قبالهم
يرميو على كل شايفا — من برج وطبانة
والرجال على الحرب واقفا — كي السبوع غضبانة
ولت البهجة كما الجمر — ترمي الموت بنار شاعلة
تحرق من الابعاد من كفر — بانفاض اسبوع مقابلة
وعدوها لو جا ينكسر — وجيوشه بفحار نازله
البهجة اللي حازت النصر — ظنوها الخزبان ساهله
جاوها بسفن عاجفه — نحبهم جبانه

لي وليت ترمي مرادها   بصراعق برانا
حاوسي الروم بحصروا   بلاد الجربفات ماية
اهبوا الكفار بكدبوا   بالمدافع يربيو بومبة
ما الحق فيما نعذبوا   وامثات الخزبان خاية
والله لو كان قربوا   لهاروا جبطان راية
لكن قوم الروم خابفا   ذاقوا الموت عيانا
ما صابوا للصلح سعفا   وامشاو في إهانا
يبوصا ب ابعاو يردموا   الاسلام يلاتك عازمين
عرفوا الكفار عوموا   ذاك اليوم امشاو هاربين
والله يا لو كان داوموا   لكانوا الكفار حاصلين
باري بجاه من اسمو   محمد الصادق الامين
أحمي مرغا من الافا   واجعلها مطمان
بجاه اللي فيها من اهل العفا   الرجال الاعيان
انفقت الاسلام للجهاد   وصاروا بالفرح يخدموا
في المارز حاوبين عناد   بلا سيف القوم يعزموا
واهل العلم مصابيح البلاد   معاهم زادوا اتحزموا
ثبات الرياس واقفا   نربط في البرانة
يقلوب على الحرب لاهفا   ماهيش شعانا
كيفاش الكفار يطمعوا   في البهجة سلطانة المدن
من فيها رجال يدفعوا   عنها كل البلا والفتن
كل واحد يرمي بمدفعوا   ما يخطى من قابلوا مطن
بعد ما كانوا فزعوا   انفق النصر لهذا الوطن
جازت نرها في بلادنا   والابراج ثبات زاهيا
بكبائر ومضارب الغنا   والرجال على الحرب ماضيا
الاغا واصحابه شحنا   نيران على الحرب قاريا
والخزناجي صدكانا   واصحابو اسود ثابيا
زبلوا وكيل الحرج في الثنا   سلطان المرسى المساويا
والخوجا من فاز بالهنا   وغنم سر الجود والحيا
هلوهم أهل السلطنا   لطراد الكفار هاويا
ثبات الرياس واقفا   ما تغفل سهران

يقلوب على الحرب لاهفا   تخفق كما لهفان
تمت ذا القصة الموافقة   في شهر المولد عن يقين
بعد الميا والالف لاحقة   في الرابع من الثمانين
تاريخ البوسه المخففة   سقطت ظاهرا باسا معين
(ولد عمر) يبغي كما شفا   تدعيوله دعا صالح زين

القسم الثالث

مقتطفات من «دفتر تشريفات» الرسمى

سجلت في عهد محمد عثمان باشا رحمه الله

(دفتر تشريفات)

«دفتر تشريفات» هو اسم السجل الرسمى الحكومى الذى كانت الادارة التركية الجزائرية ترسم فيه اعمالها ومذكراتها العامة وما تقرره من نظم وقوانين ، وهو سجل محفوظ في خزائن الباشوات ويتولى الباشكاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه ، فهذا السجل يعتبر وثيقة من اغرب واثرى الوثائق المتعلقة بتاريخ العصر التركي الجزائري .

وعندما وقع الاحتلال ضبط هذا الدفتر مع جملة اوراق ودفاتر الحكومة التركية ووضع في خزينة «املاك الدولة» وأهمل امره في اوائل العهد ، الا ان حافظ الاوراق العربية بخزينة املاك الدولة مسيو (دوفولكس) رأى مافي هذا السجل من قيمة عظيمة ومافيه من بيانات تاريخية حافلة فعني به وترجمه عن التركية والعربية باعانة السيد محمد بن مصطفى الموظف بتلك الادارة وقدمه للوالي العام الكونت راندون في 15 ديسمبر 1852 فامر بطبعه وطبع بمطبعة الحكومة الجزائرية في هذه العاصمة .

ولقد تصرف مسيو دوفولكس في تبويب الكتاب تصرفا ازال به التسلسل التاريخي فبدل ان يترجمه من اوله الى آخره كما هومكتوب عمد الى تبويبه وتقسيمه

حسب المواضيع فالقسم الاول للحوادث التاريخية وفيه ما وقع تسجيله من حوادث الحرب مع المغرب الاقصى ومع تونس وبعض الوقائع البحرية . والقسم الثاني يتعلق بالجند والادارة والاسطول وفيه اقسام ثانوية كثيرة ، فهذا التبويب قد افقد الكتاب صبغته الاولى . ولو ان مسيودوفولكس نقله الى الفرنسية كماهو ، محافظا على سلسلته التاريخية ثم ذيله بفهرس للمواضيع حسب التقسيم الذي ارتآه لكان عمله افيد وفائدته اجزل . لكنه اجتهد ولكل مجتهد نصيب ، ولا يسعنا الا ان نعترف له بالفضل الجزيل في حفظه هذا الاثر النفيس والعناية بترجمته ، واليك أهم مارسم في دفتر تشريفات اثناء ولاية محمد عثمان باشا :

هدية الباشا الاولى لجلالة السلطان

تفصيل الهدية التى ارسلها لاستانبول محمد داي مع احمد خوجة لتقدم الى جلالة السلطان : 40 زربية من زرابي الصحراء ـ 15 غطاء من الصوف ـ 10 بنادق و 10 جرابات لوضع الرصاص و 10 مناطق للسيوف و 10 ازواج فرود (PISTOLET) و 10 صناديق من الذهب والفضة لوضع البارود و 50 حزاما حريرا و 150 شكارة من الحرير المطرز بالذهب لوضع الدخان و 20 حائكا احمر و 20 حائكا ورقليا احمر و 33 حائكا ورقليا ابيض و 75 سبحة من المرجان وسبحة من العاج خاصة لجلالة السلطان وسبحة من العنبر خاصة لجلالة السلطان و 20 طزينة من الشواشي التونسية و 36 حائكا مصبوغا و 10 حياك خفيفة للسيدات و 50 من العبيد الكفار وساعة مرصعة وخاتم بفص من الالماس وزنجيان خصيان ونقود مسلمة عينا 7140 سلطاني (417333 فرنك حاليا) والسفينة التي ذهبت بهذه الهدية وقع استئجارها بمبلغ 7725 بطاقة شبك (33520 من نقود اليوم) تسلم القبطان منها مقدما 1274 بطاقة شبك يوم 2 شوال 1179 ، ثم تسلم بقية المبلغ . حرر يوم 18 شوال 1180 .

هدية استانبول للباشا :

يوم 15 رجب 1180 وصلت سفينة هولاندية تحمل الهدايا (للديوان) من استانبول وهي : ـ 2 مدافع (MORTIER) من عيار 200 و 2 مدافع من عيار

100 و 2 مدافع نحاس من عيار 32 و 2 مدافع نحاس من عيار 24 و 19 صاريا كبير و 38 صاري صغير و 250 مجداف صغير و 250 عود للحمالين و 22 عودا لدفة السفن و 60 عجلة للمدافع و 200 مجداف كبير و 1577 فتلة للمدافع ومائة قنطار من العلك اليابس .

ويوم 25 شوال 1180 وصلت سفينة فرنسية تحمل من استانبول هذه الهدية : 10 قطع من الخشب لصنع مراكز المدافع المورتي و 6 مراس للسفن و 26 قاعدة للسفن و 193 مجدافا كبيرا و 3030 رطلا من حديد و 500 فتلة و 22 صاريا و 87 قاعدة خشب لعربات المدافع و 250 مجدافا صغيرا و 2000 منفذ dégorgoir و 3715 رطلا من القنب chanore لصنع الحبال و 2540 قنطارا من مسامير الحديد و 150 برميلا من العلك .

ويوم 25 شوال 1180 (أيضا) وصلت سفينة ساردية تحمل بقية هذه الهدية وهي : 45670 رطل حديد و 7000 رطل مسامير نحاس و 17880 رطل قصدير و 145 قاعدة مدفع من الخشب و 3000 منفذ و 50 قربة من الزفت ، أو القار المعدني .

هدية ثانية لسلطان استانبول :

في ولاية محمد باشا حمل السيد حسان وكيل حرج البحرية الى استانبول الهدايا الآتي بيانها وذلك يوم 6 شوال 1189 :

52 حزاما حريرا و 60 سبحة من المرجان و 60 سبحة من العاج و 2 سبحات من العنبر و 22 غطاء من الصوف الرطب و 10 مناطق للسيوف و 10 فرود و 10 مكاحل و 10 صنادق لوضع البارود و 10 جرابات لوضع الرصاص و 10 ساعات وخاتم لجلالة السلطان و 60 حايكا حريرا و 30 حائكا احمر بسكريا و 10 حياك للسيدات من صنع المغرب و 50 حايكا احمر و 60 زربية من الصحراء و 15 من السباع و 10 زنجيات و 16 زنجيا مماليك و 70 مملوكا من الاسارى المسيحيين .

ودفع الباشا من كيسه الخاص 16000 محبوب ذهبا (625000 فرنك) و 2000 دينار ذهبا (117000 فرنك) لأشتراء برونز النحاس (لصنع المدافع)

هدايا اخرى من استانبول للجزائر

تفضل مولانا سلطان العالم بارسال الاشياء الآتي بيانها الى وجاق الجزائر، وتسلمها الحاج مصطفى خوجة يوم 5 رجب 1198 (1784):

500 قنطار نحاساً و 18 عوداً مثلثاً لصواري المؤخرة و 6 صواري كبيرة و 104 قواعد للمدافع و 500 قنطار من اسلاك الحديد و 200 قنطار من القار المعدني (الزفت) و 452 مجذاف و 205 اعواد للحمالين و 538 قنطارا من البارود و 200 قنطار من العلك وقد وقع استئجار سفينة سردية بمبلغ 6150 قروش، ودفع حسان وكيل الحرج هذا المبلغ يوم 6 رجب 1198، ودفع كذلك لمصطفى خوجة يوم 21 رجب 1198 مقدار 1025 محبوب وذلك بقية ما اشتراه لمحمد باشا.

* * *

تفضل مولانا سلطان العالم بارسال الهدية الآتي بيانها لوجاق الجزائر وتسلمها سليم آغا يوم 2 شوال 1199 (1785):

450 قنطاراً من البارود و 300 قنطار رجينة (علك) و 200 يد بندقية و 17 عوداً مثلثا لصواري المؤخرة و 50 مجذافا و 50 قنطارا نحاسا و 20 ألف قنبلة و 10 مدافع.

وقد أتى سليم آغا بهذه الهدية فوق سفينة سردية وقع استئجارها بمبلغ 7000 قرش، وسلم السيد حسان وكيل الحرج هذا المقدار لقبطان السفينة المذكورة يوم 13 شوال 1199.

هدايا انكليزية:

في ولاية محمد باشا ارسل ملك الانكليز هدية لوجاق الجزائر 4 مدافع وما يلزمها، وهذه المدافع من عيار 40 رطلا، ومع هذه المدافع 200 برميل من البارود مطوقة بالنحاس كل برميل به نصف قنطار و 400 قنبلة من عيار المدافع (ثم اسماء فنية لأدوات المدافع لا فائدة في ذكرها) وكل هذه الاشياء مفصلة في الرسالة التي صحبت الهدية. وقد حملت ذلك سفينة حربية انكليزية.
كتب في 3 شعبان 1201

توزيع الغنائم وقيمتها:

الرصاص الذي يأتي للجزائر من الغنائم البحرية تأخذه الحكومة لاستعمالها الخاص حسب العادة القديمة، ويقع وزن هذا الرصاص بالقنطار الكبير (200 رطل) فعن كل 8 قناطير تأخذ الحكومة قنطاراً والباقي تشتريه على سعر 10 صائمات للقنطار.

وفي ولاية محمد باشا وقع رفع قيمة القنطار الى 15 ريال وذلك في 20 شوال 1164 وفي ولاية علي باشا صار سعر القنطار 20 ريالا (80 فرنكا حاليا).

والمدافع التي تأتي من الغنائم تشتريها الحكومة على سعر (5) بوجو للقنطار.

والحديد تشتريه الحكمومة على سعر (5) كذلك. وفي ولاية محمد باشا صارت تشتريه بقيمة 22 ريال ونصف للقنطار (107,75 فرنك حالي)

وفي المراكب التي يغنمها الرياس توجد احيانا صوارى تشتريها الحكومة على مقتضى هذه الاسعار: الصاري الكبير 1000 صائمة والصارى المتوسط 200 والصارى الصغير 140 وهذه هي الاسعار في ولاية محمد باشا سنة 1162.

البارود الوارد من الغنائم يأخذه البايليك كله ويدفع 55 صائمة عن كل قنطار. وذلك لأن تجارة البارود ممنوعة. وكتب هذا لكيلا تقع مخالفته.

في ولاية محمد باشا اصبح سعر القنطار من البارود الوارد من الغنائم 55 ريالا.

الشمع الوارد من الغنائم يشتريه البايليك على سعر 55 (4,81) صائمة للقنطار وكتب هذا لكيلا تقع مخالفته.

في ولاية محمد باشا صار سعر القنطار من الشمع الوارد من الغنائم 55 ريالا 23 شوال 1169.

تجارة الملح:

خلافا للعادة القديمة ـ فان محمد باشا قرر جعل تجارة الملح حرة وذلك في 20 رمضان 1203.

القسم الرابع

«مقتطفات من مذكرات فونتيردى بارادى المتعلقة بهذا العصر»

فونتيردى بارادى :

ولد بمرسيليا من عائلة شريفة سنة 1739 ودرس اللغات الشرقية وخاصة التركية والعربية فألم بها إلماماً واسعاً . ثم سار الى استانبول فاتقن هنالك التركية واصبح فيها معاوناً لممثل فرنسا ، وفي سنة 1770 عين مساعداً لرئيس التراجمة الفرنسيين بمصر فتعرف بعلي بك الكبير صاحبها ، وتوطدت بينهما صلاة المودة ثم ارسل ممثلا لفرنسا لدى بلاط المغرب الأقصى وعين بعدها رئيساً لديوان الترجمة بتونس الخضراء ، وأخيراً صدر امر الملك لويز السادس عشر برفعه الى منصب مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية . وسنة 1788 في عهد محمد عثمان باشا قدس الله روحه : اوفدت فرنسا فونتير للجزائر لتسوية خلافات شجرت بين الطرفين فاقام سنتين بالعاصمة الجزائرية درس خلالها نظمها وتراتيبها وكتب عنها المذكرات القيمة التى اقتطفنا بعض فصولها ثم درس اللغة البربرية دراسة واسعة وألف قاموساً يترجم الفرنسية الى العربية والبربرية على هذا النمط :

Arabe	Berbère		Français
قدرة	ثسلت تقدورت	Thesilt Tacdourt	Chaudron
اقرع	امز وط	Amzout	Chauve

والثلاثاء فهي لا تفتح اصلا ويعين الخزناجي موظفين من أهل الجزائر يطلق عليهما لقب : «الصائجي» لعد النقود الداخلة للخزينة او الخارجة منها ، وفي وسط الدار يقف ايام دفع المرتبات يهوديان يكلفهما اصحاب الجرابات بفحص النقود الفضية والذهبية ، فان وجدا بها غشاً أو نقصاً فالخزناجي يعوضها بغيرها ، وان خرج قابض المال من القصر فان الخزناجي لا يعترف له من بعد بأي دعوى ، فان كان عرض القطع على اليهوديين وشهدا بانها سليمة ثم ظهرت مغشوشة أو ناقصة ـ فهما اللذان يدفعانها صحيحة . وفي هذه الخزنة توضع السيوف الذهبية والخناجر والبنادق المرصعة والحلي والجواهر واليواقيت التي ترجع للدولة عندما يموت احد كبراء الديوان . وفي هذه الخزينة اشياء لا تقدر بثمن ، ويقال انها لم تعمر إلا عند عقد الصلح مع تونس سنة 1755 حيث وضع فيها جميع ما وقع الاستحواذ عليه في قصور باردو من حلي وأدوات الذهب والفضة ، ومن المعلوم ان بلاط تونس كان ضخم الغنى كبير البذخ .

ماتدفعه الدول للجزائر :

دولة هولاندا تدفع كل سنة 10 آلاف سكة جزائرية وذلك بضائع مختلفة من بارود وحبال وقنابل واخشاب ، وتدفع كل عامين هدية قنصلية من ساعات وخواتم وقفاطين وملف بما يبلغ مقداره 30 الف سكة جزائرية . ودولة الدانمارك تدفع سنوياً 20 الف سكة بضاعة يقع تحديد سعرها من قبل بغاية الضبط وعند الاتصال بالبضائع تقع دائما مماكسة ونزاع من حيث جودة البضائع وحسنها وينتهي دائما لفائدة الجزائر ، وكل عامين تدفع الهدية القنصلية مثل هولاندا بمقدار 30 الف سكة . وجمهورية البندقية تدفع مثل ذلك سنوياً وكل عامين ، وقدارادت أن تتخلص مما يدفع كل سنتين إلا أن بابا محمد : (محمد عثمان باشا) ارغمها على التمادي ، بل فرض عليها غرامة صلح فوق ذلك مقدارها 30 الف سكة . ودولة السويد لاتدفع الجزية السنوية نظراً لأنها حليفة للباب العالي انما تدفع كل عامين الهدية القنصلية بما قيمته 30 الف سكة . ودولة انكلترا تدفع الهدية القنصلية كل خمسة اعوام عندما يتغير القنصل وتدفع سنوياً اشياء تافهة ، وتونس تدفع سنوياً 250 جرة زيت ، و 50 جرة من السمن ، و 20 جرة من الصابون

الاثاع مع هدايا لعظماء الدولة : منها شواشي ، وسراويح مطرزة ، وبلاغي كذلك ، وشيلان (جمع شال) من الحرير الرفيع ، وعطر الورد ونحو ذلك . ويبلغ مقدار الجميع نحو 50 الف دورو . ودولة فرنسا تدفع الهدية القنصلية كل عشرة أو سبعة اعوام ، وذلك علاوة عن الهدايا الودية الصغيرة ثم هي تدفع أيضاً جزيتها السنوية بما يبلغ مقداره سبعة آلاف ليرة من التفاح ، والكمثرى (الاجاص) ، والعاجين ، والاسماك المقددة ، والشروبوات وترسل ذلك كل شهر يناير غرفة مرسيليا التجارية وتوزع هذه الاشياء على نحو من ستين شخصاً ، وهم كبار وصغار رجال الحكومة بالجزائر ، وكل واحد منهم يتناول منها على حسب مرتبته .

المداخيل القارة للدولة الجزائرية

يدفع باي قسنطينة بواسطة وكيله مرتين في السنة : 80 000 ياستر

ويدفع في العشرة اشهر الباقية من السنة كل شهر 4000 قرش = 40 000

ويدفع الدنوش عندما يقدم كل ثلاثة اعوام 120000 قرش في العام = 40 000

ـ كل عام 600 قفيز قمحا سعر القفيز 30 ياستر = 18 000

ـ كل سنة بواسطة وكيله في الجزائر من الصوف والبقر والغنم والابل والخيل والبغال واقمشة الصوف للباس الجنود والاسارى ماقيمته 50000 ياستر

فما يدفعه سنوياً باي قسنطينة لخزينة الدولة : = 228 000

ويدفع باي الغرب (معسكر قبل فتح وهران) كل سنة = 40 000

ويدفع كل ثلاثة اعوام عندما يقدم للدنوش 120000 ياستر في العام = 40 000

ـ سنويا عشرة آلاف كيلة قمح سعر الكيلة 2 ياستر = 20 000

ـ مائة قنطار من شمع النحل = 53 000

ـ من البقر والغنم والابل واسارى وهران (20 كل سنة) ماقيمته = 120 000

فما يدفعه سنوياً باي الغرب : = 273 000

ويدفع باي تيطري (عمالة الجزائر وعاصمتها المدية) عن كرتين 50000 ياستر

في ماي وسبتمبر كل سنة بواسطة خليفته = 16000

ويدفع كل ثلاثة اعوام دنوشه 48 الف ياستر ففي السنة بواسطة وكيله

ـ يدفعها بنفسه 01000 =

ـ ـ ـ

= 67 000

احذية للسيدات ونوعا من محافظ للاوراق ولوضع النقود تدعى (دزدان) وهي ذات جمال وحسن مطرزة بالفضة والذهب ، وخرائط مزركشة كذلك (تدعى بالعامية جبيرة) ويرسل منها الكثير الى بلاد الشرق . وتصنع كذلك في مختلف جهات الجزائر الزرابي لكنها دون رقة واتقان زرابي الشرق ، وهي تصنع على الاكثر في العلاي على مسيرة يوم من معسكر وتصنع كذلك في كل الجهات الحياك من الصوف ، وهي تستعمل للباس الرجال والنساء في داخل البلاد الجزائرية ، ومنها تصنع البرانس كذلك .

المحصولات والصادرات الجزائرية

أهم ماتصدر البلاد الجزائرية للخارج هو القمح والشعير والخضر ، وسفينة او سفينتان من الزيت والشمع والصوف والجلد ، وثلاثة او اربعمائة قنطار من القرمز الذي يقتطف بناحية معسكر . وارض القطر الجزائري خصبة جداً ، الا ان نصفها تقريباً غير محترث ، واغنى الجهات فيها هي جهة قسنطينة ، وبعدها جهة معسكر وافقرها هي جهة تيطري . يخرج من عاصمة الجزائر كل سنة الى اروبا نحو 8 آلاف قنطار جزائري من الصوف الوارد في الاغلب من جهة تيطري . ويخرج من مرسى عنابة كل سنة 12 الف قنطار من الصوف ، ومن مرسى الجزائر يخرج سنويا نحو 25 ألف جلد ، يبلغ ثمنها نحو مائة ألف ليرة (700000 فرنك) وفي سنة 1788 خرج من مراسي الجزائر وعنابة وارزو الذى هو مرسى معسكر وتادلس (دلس) 150 ألف حمولة من القمح والشعير والخضر ، والقمح لا يخرج الا بعد الحصول على رخصة خاصة من الداي ، والقمح الجزائري صلب جداً وفيه كمية كبيرة من السميد ، وهو يستعمل للعجين في جنوة ، ويصنع منه الرغيف البحري الحاف ، واحسن انواع القمح هو القمح القسنطيني ، فلا يفوقه الاقمح ناحية سردينية ، ويزرع الارز في ناحية مدينة ذات سور تدعى مليانة ، ومنذ أعوام وقعت زراعة الارز في جهة مينة ، وينتج من الجهتين نحو 6 آلاف قنطار سنوياً وهي كافية للاستهلاك المحلي ، وقد وقع تحجير دخول الارز المصري حتى ان مسيو جيمون التاجر الفرنسي اتى بكمية من ارز دمياط فلم يستطع بيعه الا بعد ان تحمل خسارة وارجع اكثره الى مرسيليا ، وثمن الارز الجزائري يبلغ 10 او 12 فرنكا للقنطار ،

وهو يباع بالكيل ، فالصاع يساوي قنطارين والصاع هو الكيلة ، ومن الممكن زيادة الاعتناء بزراعة الارز والكتان ، على ان الكتان قد اصبح محل عناية كبرى وتصنع الآن منه اقمشة تستعمل في البلاد وترسل منها احيانا الهدايا الى استامبول . ومن أهم محصولات الجزائر الدخان ، فما ينتج منه على مقربة من العاصمة فهو اطيب نوع للتدخين ، ويرسل منه الكثير الى تونس وطرابلس وخاصة من دخان عنابة لأنه قوي ، وسعر الدخان 2 موزونات للرطل (16 اوقية) من النوع العادي ، و3 موزونات للنوع الرفيع ، وبالجملة يباع بالمائة قة ، وكل قة فيها نحو الرطل . وبين وهران وارزيو توجد سباخ غنية تمد المملكة كلها بالملح فاذا مرت السفن من هنالك ولم يكن لها ماتحمله ، عمرت جوفها بالملح ، وأتت به للجزائر فيشتريه البايليك منها على سعر 22 صولديا ونصفاً للقنطار ، وهو يبيعه على سعر 45 صولديا . والسفينة التى ترسو بارزيو تدفع معلوما 25 سكة جزائرية ، وتدفع واحداً في المائة معلوما لقبطان المرسى .

تأجير املاك الدولة :

البايليك يسوغ الارض الدولية للفلاحين على سعر 3 أو 4 أو 5 باطاق قردة (65 فرنكا اليوم) للماشية (10 هكتارات تقريباً) ومن المحصول ياخذ البايليك العشر واحيانا الثمن . وهنالك اراض يحرثها البايليك على حسابه الخاص ، فتعمل بها القبائل والعرب تحت إدارة وكيل تركي ، والبايات يؤجرون للقياد العرب قطعاً من ارض الدولة ، وهؤلاء القياد يؤجرونها لفلاحين من العرب . أما سعر الارض فهو يختلف باختلاف الموقع ، والقرب من المدينة . وناحية الجزائر تنتج الكثير من العنب الجيد ، ويسوغ لاي انسان ان يشتري العنب ليعصره ، والبايليك هو الذى يحدد سعر العنب حسب نتيجة الصابة . ففي سنة 1788 حدد سعر القنطار بـ 23 موزونة .

والعبيد المسيحيون الذين يتولون إدارة الحانات ، يجب عليهم ان يدخروا كمية من الخل تكفي حاجة البايليك والقرصان والمعسكرات .

اسعار المواد الغذائية :

الخبز العسكري يصنع من دقيق القمح ودقيق الشعير على التساوي ،

وزن الخبزة 10 اوقيات ، والجندي يتناول 4 خبزات يوميا ، وله أن يبيعها ويشتري خبزاً من السميد الخالص ، ويباع الخبز العسكري في الطريق العام ، فيشتريه البدو على حساب صولدي للعشر خبزات ، والكثير من الناس يشترون هذا الخبز لاطعام الدجاج والبقر الخ . أما الخضر التي يصنع منها الحساء وكذلك الثمار فهي تكاد تعطى مجانا والطابق (الربع) من الكبش يساوي 20 أو 24 صولديا ، وفي الشتاء 30 ، والكبش يساوي في الصيف 5 أو 6 ليرات وفي الشتاء 30 ، أما الدجاجة فثمنها نحو بوجو أو 9 صولديات ، والخبز الرفيع يساوي صولديا للخبزة التي وزنها 10 اوقيات ، والزوج حمام 9 صولديات ، واجرة الدار المتوسطة 30 أو 40 فرنكا في السنة . والتركي لا ياكل في الغالب الا لحم الضان ، ولا ياكل الدجاج ولا أي طائر ، ماعدا البط الوحشي . وكذلك لا يهتم للاسماك كثيراً ، ولا ياكل لحم البقر الامضطراً ويفضل عنه لحم البعير

تعين الرايس وعوائد القرصنة :

الداي هو الذي يعين الرياس (جمع رايس اي قائد السفينة الحربية في الاصطلاح الجزائري) فاذا عزم الداي على تعيين شخص لمنصب الرياسة أعلم بذلك وكيل حرج البحرية (وزير البحر) فعندما يجتمع الرياس كعادتهم صباح كل يوم في كشك وكيل الحرج - يشعرهم هذا باختيار الباشا لأحدهم لتولي قيادة السفينة الفلانية ، فيشكر الرايس الجديد ، ثم يرفع يديه لتلاوة الفاتحة ويرفع وكيل الحرج وكل الحاضرين ايديهم فيقرأون فاتحة الكتاب بوقار عظيم وخشوع هائل ، ثم ينهض الرايس الجديد فيذهب للسفينة المعدة له ، ويبادر برفع العلم فوقها ، ثم يامر باطلاق 5 مدافع ، ويمتطي كل احد من الرياس سفينته فيرفع العلم ، ويحيون رفيقهم الجديد باطلاق 5 مدافع أيضا . والرياس الذين يدركهم الهرم ، أو يفقدون مراكبهم ، أو الذين لم يصحبهم السعد اثناء غزواتهم يقع تعيينهم تراجمة في ديار قناصل الدول ، وهذا المنصب يدر عليهم ارباحا طائلة وخاصة عند قناصل فرنسا واسبانيا والبندقية نظراً لكثرة السفن التجارية الواردة من هذه البلاد ، وللقوافل الواردة الى الجزائر . وهم يتقاضون معلوم رسو السفينة وهو 3 سكات محبوبا ، وياخذون نصيبهم من العوائد التي يدفعها قناصل الدول .

ولهم مرتب قار 700 أو 800 ليرة ، وياخذون مائة ليرة اذا جاءت سفينة ملوكية وكذلك يقع تعيين الرايس الذى لامركب له في منصب دليل للسفن التي تقوم بالملاحة على السواحل الجزائرية ، ويجب على كل سفينة تخرج من الجزائر الى احدى المراسى الجزائرية الاخرى ان تكون مصحوبة بدليل طوعا أو كرها ، ويتقاضى هذا الدليل من ربان السفينة 10 سكات جزائرية ، وعندما يصل الى المرسى المقصودة وينتهي عمله يسلم له باي تلك الجهة هدية ويرجعه على نفقته الى الجزائر . وقد كان الرياس كلهم من العرب الجزائريين ، أو من المسيحيين الذين يعتنقون الاسلام ، لكن في ايام ولاية بابا علي ابتدأ الاتراك يدخلون ضمن هيأة الرياس ، واصبح كل الرياس اليوم من الاتراك المشارقة . واذا خرج أحد الرياس للقرصنة واسر سفينة للعدو ، وكانت مدة غزوه في البحر لم تنته بعد - فانه يسلم السفينة المأسورة الى أحد رجاله الذين يثق بهم ، ويرسله عليها للجزائر ، فان وصل بالغنيمة الى العاصمة فانه يقع تعيينه رايسا في الحين ، وتطلق المدافع من كل سفن المملكة ثلاث طلقات احتفاءبه . وكان عدد هيأة الرياس عظيما ، لكنهم لايعملون كلهم .

اقسام غنائم البحر :

إذا ضبط القرصان سفينة للعدو فان جموع البحارة يهاجمون تلك السفينة ويتسابقون الى انتهاب ركابها ، اما جميع مافي غرفة السفينة (لعله يقصد حجرة القبطان) فهويصبح ملكا خاصاً للرايس ، لكن لا يحق للرايس ولالأحد من البحارة الذين معه ان يمدوا يدهم الى مافي السفينة من بضائع واثاث . واذا كانت سفينة العدو قد سلمت نفسها للقرصان دون مقاومة فانه لا يقع فيها (قوه بورطه) أي نهب الركاب ، ولا يحق للرايس ان يبيع شيئا من محتويات السفينة ، وعليه ان يقودها بنفسه ، أو يرسلها الى الجزائرمع أحد رجاله . فعندما تصل السفينة الاسيرة الى الجزائريقع ضبط مافيها ويحصى ، ثم يباع كل ذلك في الحين ، سواءكان بضائع أواسارى يباعون عبيداً ، وخزينة الدولة تاخذ 12 في المائة من متحصل البيع الصافي ولخلاص ديوانة الاسارى ياخذ البايليك من نصيبه الخاص : قبطان السفينة وكاتبها ودليلها ورئيس العملة فيها أما بقية الاسارى فيباعون بالمزاد العلني ، ويحق للاتراك والعرب واليهود ان يدخلوا المزايدة ، واذا زاد ثمن الاسير عن مئتين سكة جزائرية

فان خزينة الدولة هي التي تاخذ المقدار الزائد عن ذلك ، واذا كان اسارى السفينة لايتجاوزون الثمانية فالبايليك يأخذ القبطان وحده ، وان كانوا 11 اخذ القبطان والكاتب . وبعد مايقع بيع البضاعة والاسارى وتاخذ الخزينة حصتها من المتحصل وهو12 في المائة يقع اقسام الباقي ، فالنصف من الباقي يكون نصيباً لاصحاب السفينة ، سواء كانوا من الرعايا ،أو كانت الحكومة نفسها هي صاحبة السفينة ، والنصف الآخر تقع قسمته على بحارة السفينة الظافرة على حسب درجاتهم اما السفينة الاسيرة نفسها فهي تصبح ملكا لاصحاب السفينة التى اسرتها ، والمدافع وادوات الحرب التى بالسفينة الاسيرة تكون ملكا للدولة . أما قسمة النصف على رجال السفينة فهي تقع على هذه النسبة : للرائس 40 في المائة ، ولكل من البحارة والجنود 3 في المائة ، وللكاتب كذلك ، وللاسارى المسيحيين الذين يعملون في السفينة الغازية 3 في المائة ، ولقبطان المدفعية 3 ولبقية الرجال 2 و1 ونصف في المائة .

الأسارى :

والاسير الذى يمكنه ان يصل بسيرته الحميدة الى درجة كاتب في البحرية ، أوكاتب سجن اسارى الدولة ، أوصاحب حانة ، أو الاسير الذى يعمل عند عائلة غنية يستطيع في مدة وجيزة جمع المال الكافي لعتق نفسه واسترجاع حريته لكن اغلب هؤلاء الاسارى ينفقون اموالهم عن سعة في المآكل الطيبة والتهتك والفجور ، وقليل منهم من يفكر في جمع المال لاسترجاع حريته . والاسارى الذين يرثى لحالهم هم الذين يشتغلون في اعمال المنافع العامة . انما يجب استثناء اصحاب الصناعات ، اما الاسارى الذين يعملون عند الداي وعند كبراء الدولة ، وعند اغنياء الترك والعرب واليهود ، أوعند القناصل ، أوفي المستشفى ، أوعند آباء البعثة ـ فان هؤلاء ليس لهم مايذلهم إلا تذكرهم بانهم اسارى ، فهم يرتدون افخر الثياب ، ويأكلون أشهى الأطعمة ، ولا يعملون الا اعمالا طفيفة ، ويمكنهم في مدة قليلة جمع المال الذي يفتدون به انفسهم .

والاسير الذى يتولى خطة باشكاتب سجن الاساري يكون سعيداً لو امكنه البقاء في منصبه طول حياته لو استطاع ان ينسى انه اسير ، والذي يتولى هذه السنة

(1788) هذا المنصب قد تحصل عليه عن جدارة واستحقاق ، ويلزم ان يكون صاحب هذه الوظيفة عارفا بالقراءة والكتابة وضبط سجل الاسارى وتعيين اماكنهم وعادة لايتولى هذا المنصب الا من يدفع لخزينة الدولة الف سكة جزائرية ، انما له امتيازات عظيمة منها انه يستطيع ان يدير حانة حرة لاضريبة عليها ، ومنها انه ان وقع استرجاع الاسارى من أي أمة كانت كان له حق السبق على الآخرين . اما مداخيله فهي الف سكة جزائرية ، وهذا الباشكاتب له علاوة على مدخول حانته نصيب في فدية الاسارى ، وله نصيب من عوائد البابات والقياد . والاسارى الذين في خدمة الداي يدفع اكساؤهم كل سنة ، والذين يتولون منهم خطة قابودى غرفة أو قهواجي أو طباخ الداي فانهم يتحصلون على مقدار كبير من المال يمكنهم من استرجاع حريتهم ، لكنهم ينفقون المال عن سعة لاقتناء احسن الاثواب المزركشة التي تساوي من 40 الى 50 سكة ، واحسن المناطق (الحزوم) التي تساوي من 10 الى 12 سكة ، والقابودى غرفة هو الذي يذهب بالقفطان الى البابات عند قدومهم ، وهو يتناول عن ذلك 100 سكة محبوبا ، والقهواجي يتناول نحو20 سكة عن قهوة شربها الباي . الخ

افتداء الاسرى :

لايجوز لاحد سواء كان تركياً أوعربيا أومسيحيا ان يغادر القطر الجزائري دون ترخيص له في ذلك وعندما وقع الصلح مع اسبانيا قدمت «هيأة أباء الشكر» لاسترجاع الاسارى الاسبان وعرضت على الباشا ان تستبدل بهم الاسارى المسلمين من ترك وعرب ، لكن الداي لم يدخل في هذه المناقشة فاخذ ثمن الاسارى الاسبان وترك الترك والعرب في اسر الاسبان الى ان افتداهم سلطان المغرب مولاي محمد ، والبقية منهم اطلقها ملك اسبانيا اكراما له ؛ وذلك لأن قانون اتراك الجزائر يمنعهم من استرجاع الاسير كيفما كان امره ، ويتناول الاسير في سجن الاسارى 4 خبزات (وزنها رطلين وربع تقريبا) من الخبز الذى يتناوله الجنود انما لايقدم لهم الحساء ، ويتناول الاسير عند حلوله بالجزائر قميصا خشنا وصدرية من الملف الخشن وسروالا وقفطانا من ذلك القماش يصل الى الركبتين وشاشية حمراء وحذاء وغطاء من الصوف ، وعليه ان يحتفظ بذلك مادام في الجزائر .

مسك الختام

لشاعر الاسلام والعروبة والوطنية بالقطر الجزائري

الشيخ الاستاذ (محمد العيد)

إبحث فلن نعدم من يخبر ... قد تنشر الأيام ما تقبر

واستخبر التاريخ عن دولة ... مرت على إجلالها الأعصر

كان لها في أرض مزغنة ... ملك وسلطان بها يزخر

كانت به تفخر مزهوة ... وكان مزهواً بها يفخر

حدث عن الترك وعن بأسهم ... فبأسهم في الحرب لا ينكر

حدث - خلاك الذم - عن عسكر ... لم يخلوا ، ما مثلهم عسكر

من كل جندي يخوض الوغى ... كأنه في ساحها قسور

أو قائد راياته تعتلي ... أو (رايس) أسطوله يمخر

و(الداي) فيهم مورد مصدر ... ما يورد الديوان أو يصدر

حكومة الديوان دلت على ... عدل من الترك لهم يشكر

قامت على الشورى فما دونها ... وال بأمر الحكم يستأثر

قف حول بحر الروم مستفسراً ... فكم وعى الأخبار مستفسر

وقل له مستطلعاً قل له ... هل تذكر الأتراك هل تذكر ؟؟

هل تذكر (الرياس) تغزوهم ... قرصانك العظمى وتستأسر ؟

صالوا فلا الإسبان تثنيهم ... ولا الفرنسيس بهم تظفر

عرش على الدأماء قد شاده ... من لا يخاف الموت أو يحذر

جرى الدم الأحمر من حوله ... فكاد يخفي سره الأخضر

يامصر في مهدك خلف مضى فهل لصوت الخلف أم تعذر؟
مرفهة حولك مأربها ويسرها المرجو منعسر
لا عسر فيها في كل حين بها ضرب ولا يسر يسرها يبرير
قد ادبر الفضل من امرها وحكمها مد أفضل التدبير
فكل أرض غصة حديثة وكل ربع عامر مقفر
ضاقت بنا الدنيا على رحبها وما انا المطر ، والمخبر
هل زلزلت أرض بنا فدفدة أم عصفت ريح بناصر صر؟
وحي من الاحداث ملنا بها لليأس لولا بارق يظهر
ومعشر من نبت مرفهة في السر لم يلحق بهم معشر
لاحوا على اليمن بآفاقها كما يلوح العارض المطر
من عالم في نصحها لاينى أو كاتب عن حقها يجهر
أو باحث في درس تاريخها يبدأ كالأملاك لا يفتر
أما ترى (احمد) كيف احتفل للترك عصراً نيراً يبهر
(محمد عثمان باشا) به ينهى بسيف الحق أو يأمر
وبشر الجد متعمرا كالليث في أشباله يزأر
حكومة زهراء في عصرها دل عليها كوكب أزهر!
دل عليها كاتب ماهر كأنما انجب عبقر
لا يحرس الأبطال حقا ولا يمس بالأعمال بتكثر
تلك الأيادي لا دعاو بها يهذر كالمحموم من يهذر
فاهنأ أخي (توفيق) واشر وكن أحذر من يهنا أو يبشر
وضعت في الميزان جيلا مضى مابه ، تشوق ولا تخر
وقمت بالتبشير في امة لباك منها السامع المبصر
فادأب على التاريخ واكشف به حضارة عن أهلها تنشر
نحن لأدواح العلا ننتمي وفرع شانئنا هو الأبتر
من كل خسران بنا محدق نعوذ بالله ، ونستنصر
نصبر ما استكبر أعداؤنا في الأرض ، والعقبى لمن يصبر
فمجدنا أعظم من مجدهم والله من أكبرهم أكبر

الفهرس